الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس:
اللسانيات العربية

المستوى: السنة الثالثة ليسانس

تخصص: لسانيات عامة

إعداد الدكتور: علي بلول

الموسم الجامعي: 2026/2025م.

تقديـــم:

ارتبط البحث اللغوي عند العرب بالقرآن الكريم ارتباطا عضويا، فقد كان هدفه الأول خدمة النص القرآني وصونه من اللحن الذي كثر وانتشر بدخول الأعاجم في هذا الدين الحنيف، وقد اعتمد النحاة الأوائل في بحوثهم اللغوية على وسائل تحليلية نقدية آنية تعتمد على العقل بالدرجة الأولى وعلى فهمهم ووعيهم بلغتهم، فلم يكن هناك منهج واضح في الدراسة والبحث، فكان هذا الجهد عبارة عن تأملات نحوية ونقاشات لغوية ظرفية لم يكن همها خدمة اللغة العربية في حد ذاتها بل خدمة النص القرآني بالمقام الأول. لكن باتساع رقعة الدولة الإسلامية انتشر اللحن أكثر وتعدى العجم إلى العرب أنفسهم، فانتقل هدف البحث اللغوي من خدمة النص القرآني إلى خدمة اللغة العربية في حد ذاتها، حينها بدأت مرحلة جديدة تمثلت في الجمع المنتظم للغة عن طريق السماع والتدوين الواسع للكلام العربي، فتوسع مجال البحث وتنوعت موضوعاته وتعددت مجالاته لتشمل كل مستويات اللغة صوتا وصرفا وتركيبا ومعجما وأسلوبا... وطال مجال البحث كل اللهجات العربية، غير أنه مرّ بعد ذلك بمرحلة من التخلف والجمود بسبب عوامل عديدة أثرت سلبا في مسار البحث اللغوي كالفلسفة وعصر الضعف والاستعمار...

وفي العصر الحديث ومع ظهور علم اللسانيات عند الغرب واحتكاك الباحثين العرب بهذه الثقافة الجديدة دخل البحث اللغوي العربي في مرحلة جديدة تميزت بالانتعاش والتحرك بعد فترة طويلة من الجمود والسبات ولا يمكن أن ننعت الفترة الجديدة بأنها تغير جذري وتطور حاسم للبحث اللغوي العربي لأنها وبكل موضوعية لم تكن كذلك مع الحديث عن تحسن نسبي في بعض الجوانب سيتم الإشارة إليها وسيدركها الطالب في صلب هذه المحاضرات المعنونة باللسانيات العربية.

إن مقياس اللسانيات العربية مقياس جديد ومهم ، غير أن استعمال مصطلح اللسانيات العربية في الثقافة العربية ورغم حداثته لارتباطه بعلم جديد هو اللسانيات المحددة زمانا ومكانا والمتميزة فكرا ومنهجا قد تجاوز في دلالته واستعماله هذه المسألة الجوهرية ما يطرح مشكلة في المنطلق تتعلق بدلالة هذا المصطلح وطبيعة توظيفه في الثقافة العربية سيتم الحديث عنها في سياق هذه المطبوعة، حيث تجمع مفردات المقياس بين الجهود اللغوية العربية القديمة والحديثة دون حرج منهجي أو فكري! علما أننا سنتقيد بالبرنامج باعتبار اللسانيات العربية تشمل البحث اللغوي العربي قديمه وحديثة ويبقى واجبنا هو تنبيه الطالب لمثل هذه الإشكالات التي يدلي فيها الأستاذ والطالب على حد سواء برأيهما دون إكراه مع واجب تقديم الحجة والدليل والبينة كمبدأ علمي لا حياد عنه.

في هذه المطبوعة البيداغوجية سأقدم لطلبتي الأعزاء في السنة الثالثة ليسانس تخصص لسانيات عامة مجموعة من المحاضرات في مقياس اللسانيات العربية وفق البرنامج الرسمي، وهي مواضيع تشمل البحث اللغوي عند العرب قديما وحديثا بل وتستشرف المستقبل، من خلال الحديث عن النشأة والتطور والتأثير والتأثر وصولا إلى الحاضر ودخول اللسانيات للفكر العربي والمشكلات اللغوية التي تواجه الباحثين في هذا المجال وصولا إلى استشراف المستقبل بالحديث عن آفاق البحث اللساني العربي وقد اجتهدت في إعداد هذه الدروس ما وسعني الاجتهاد، معتمدا على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع دونتها في نهاية هذه المطبوعة، وعلى خبرة بحثية أكادمية محترمة، فمجال اللسانيات العربية لقي اهتمامي الخاص في بَحْثَيْ الماجستير الذي تناولت فيه نظرية العامل عند صاحب النظرية الخليلية"عبد الرحمان الحاج صالح" كنموذج لربط التراث النحوي العربي باللسانيات الحديثة، والنظرية الخليلية الحديثة تقع في صلب اللسانيات العربية، والدكتوراه التي كان موضوعها دراسة المنجز اللساني المغاربي المعاصر انطلاقا من ثنائية التراث واللسانيات، والجهود المغاربية في اللسانيات أحدثت الطفرة والتميز في البحث اللساني العربي الحديث ، آملا أن يجد الطلبة مبتغاهم في هذا المقياس الواسع والمتشعب بصورته الحالية، وهي إشكالية أخرى تضاف إلى مشكلة المصطلح التي ذكرناها سابقا، سائلا الله العلي القدير التوفيق والسداد.

فهرس المحتويات:

الرقم	عنوان المحاضرة	الصفحة
	تقديم	02
	فهرس المحتويات	03
01	مدخل نظري:تحديد المصطلحات اللغوية التراثية(النحو، علم العربية، علوم العربية الإعراب، فقه اللغة).	04
02	نشأة اللسانيات العربية.	11
03	تطور اللسانيات العربية.	21
04	الفكر اللساني في التراث.	30
05	المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية.	41
06	اللسانيات العربية والغربية: التّأثير.	52
07	اللسانيات العربية والغربية: التأثّر.	59
08	اللسانيات التمهيدية واللسانيات المتخصصة.	74
09	البحوث اللسانية العربية الحديثة.	83
10	اللسانيات الصوتية.	95
11	اللسانيات الصرفية.	104
12	اللسانيات التركيبية.	111
13	اللسانيات الدلالية.	121
14	اللسانيات العربية والمشكلات اللغوية.	132
15	آفاق البحث اللساني العربي.	142
	خاتمة	146
	قائمة المصادر والمراجع.	147

المحاضرة الأولى: تحديـــــد المصطلحات اللغويـــــة التراثيـــة:

(النحو، علم العربية، علوم العربية، الإعراب، فقه اللغة).

تمهيـــــــد:

قبل الحديث عن المصطلحات اللغوية التراثية القديمة، ينبغي الحديث عن مفهوم التراث أولا

- مفهوم التّراث :

التُّرَاثُ **لغة** مأخوذة من وَرِثَ، والتّاء في التُّرَاثِ مبدلة من الواو، فالعرب يقولون وَرِثْتُ الشّيء من أبي أَرِثُهُ وِرَاثَةً وَإِرْثًا،[1] وقد وردت كلمة التّراث في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله تعالى:﴿كَلاَّ بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، وَلَا تَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾الفجر(18-20)، أمّا كلمة ميراث فقد وردت في القرآن الكريم مرّتين في قوله تعالى: ﴿ولِلَّه ميرَاثُ السّمَوَاتِ وَالأَرضِ﴾ آل عمران(180)، الحديد(10) بمعنى أنّه تعالى يرث كل شيء فيهما لا يبقى منهما باق لأحد من مال أو غيره.[2]

ويذهب بعضهم إلى أن التُّراث قد اكتسى في الخطاب العربي الحديث والمعاصر معنىً مختلفًا مباينًا لمعنى مرادفه الميراث في الاصطلاح العربي القديم، ذلك أنّه لَمَّا كان لفظ الميراث يفيد التَّركة الّتي تُوزَّع على الورثة أو نصيب كل واحد منهم، أصبح لفظ التّراث يشير اليوم إلى ما هو مشترك بين العرب، أي التَّركة الّتي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعًا خَلَفًا لسلف، فإذا كان الإرْثُ أو المِيرَاثُ هو عنوان اختفاء الأب وحلول الابن محلّه، فإنَّ التُّراث أصبح بالنّسبة للوعي العربي المعاصر عنوانًا على حضور الأب في الابن، حضور السّلف في الخلف، حضور الماضي في الحاضر.[3]

أمّا **اصطلاحًا** فينبغي أن نشير إلى جملة من المفاهيم المترابطة، وهي على التّوالي:

- يشمل التّراث الأمور المادّيّة والمعنويّة، فهو يشمل كلّ ما خلّفته لنا الأجيال السّابقة في مختلف الميادين الفكريّة والأثريّة والمعماريّة، متمثّلا في الأرض الّتي نحيا عليها، وما أُنشئ على هذه الأرض من معالم وآثار، وما حفظ في داخلها من خيرات، وما ابتدعته عقول الأمّة من مبتكرات ومؤلّفات ورسوم، وغير ذلك.[4]

وهناك من الباحثين من يرى أنّ مفهوم التّراث يحمل معنيين مترابطين يتولّد ثانيهما عن أوّلهما، وأوّل هذين المعنيين أن التّراث هو المنجز التّاريخي لاجتماع إنساني في المعرفة والقيم والتّنظيم والصّنع، ويتجسّد هذا المفهوم في تراثنا في قطاعات أربعة رئيسة، وهي:[5]

*- **القطاع المعرفي:** يشمل مختلف العلوم والمعارف من علوم لغويّة وطبيعيّة ودينيّة...إلخ.

*- **قطاع القيم:** من أنماط السّلوك والتّفكير والعادات والأخلاق...إلخ.

*- **قطاع النُّظم والمؤسّسات:** ويشمل المؤسّسات والنُّظم الّتي تستند إليها الشّؤون العلميّة والاجتماعيّة والقانونيّة والإداريّة كالأسرة والمدرسة والمسجد والدّيوان والوزارة...إلخ.

*- **قطاع الإبداع والصّنع:** يشمل الإبداع الفنّي والأدبي الّذي يوحي بالحسن والجمال، ويمتدّ إلى كل ما أبدعت اليد بصنعه من أعمال يدويّة، ويشمل الأدب بأشكاله المختلفة كالغناء، الموسيقى، والموروث الشّعبي...إلخ.

وبهذا يظهر التّراث كأنّه هو الحضارة ذاتها أو أنّه هو المادّة والثّانية هي الصّورة، والفرق بين المصطلحين أنّ مفهوم الحضارة ذو دلالة معنويّة ونظرة شاملة للعالم، أمّا مفهوم التّراث فيدلّ على مجموعة مخصوصة من المنجزات.

أمّا المعنى الثّاني للتّراث، فيتمثّل في كونه هو كل ما هو حاضر في وعينا الشّامل، وفي تشخيصنا الحاضر ممّا ينحدر إلينا من التّجارب الماضية في المعرفة والقيم والنّظم والمصنوعات.[6]

---

[1] - الدرس اللغوي في النصف الأول من القرن العشرين ، ميمونة عوني، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015م، ص214.

[2] - ينظر: التراث والحداثة دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م، ص22.

[3] - دراسات في المعاصرة والتراث، ص100.

[4] - ينظر: دراسات في المعاصرة والتراث، محمود أحمد السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد، دمشق، دط، 2013م، ص97-98.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص98-99.

[6] - ينظر: دراسات في المعاصرة والتراث، ص99.

وصفوة القول أنّ التّراث- بما هو منجز إنساني تاريخي- متفاوت في قيمته البقائيّة، ولكنّ شطرًا عظيمًا منه – على تعاقب القرون- ما يزال صالحًا باقيًا بل معاصرًا بل مرشّحًا للخلود، ويمثّل رافدًا لبقاء العربيّة واستمرارها على مرّ الزّمان.[1]

– مفهوم التّراث اللّغوي :التّراث اللّغوي العربي يمثّل منظومة خاصّة بالثّقافة العربيّة الإسلاميّة، فهو نسق فكريٌّ وضع في مرحلة تاريخيّة محدّدة نتيجة ظروف خاصّة، وقام على أسس فكريّة معيّنة بوصفه يمثّل جزءًا من بيئة ثقافيّة عامّة هي الثّقافة العربيّة بمختلف مكوّناتها الفكريّة والاجتماعيّة والمعرفيّة والثّقافية والسّياسيّة ويشمل: مصنفات النحو وما تشتمل عليه من قواعد للتركيب وبنية الكلمات وخصائص أصواتها، إضافة إلى أصول النحو، والموروث البلاغي وجملة المعاجم[2].

أولا - مفهوم النحو:

- النّحو: يعني القصد والطّريق الّذي يُتَّبَعُ، يقال: نَحَوْتُ نَحْوَكَ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ [3].

- « النّحو: الطَّرِيقُ والجِهَةُ ج أَنْحَاء ونُحُو والقصد يكون ظرفًا واسمًا، ومنه نَحْوُ العربيّة وجمعه نَحُوٌ »[4].

وتجدر الإشارة أنّ مصطلح النّحو لم يكن معروفًا حتّى أواخر القرن الأوّل للهجرة، وإنّما الّذي كان يتردّد على الألسن في الرّوايات والأقوال هو الإعراب والعربيّة، فما وضعه أبو الأسود الدّؤلي من نقط سُمِّيَ عربيّة، وإذا ذكر النّحو فهو لا يتعدّى هذا المعنى كما ورد عن الحسن البصري(ت 110 هـ)، ثمّ تطوّر المصطلح وأخذ يعني الملاحظات اللّغويّة في مجال تصحيح الأخطاء الّتي يقع فيها المتكلّم.[5]

- عرّفه ابن جني بقوله: «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتصغير والتكبير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذ عنها ردّ به إليها.»[6].

- النّحو علم من العلوم التّصويرية وهو يدرس مستوى محدّدًا من مستويات النّشاط اللّغوي، هو مستوى الجملة، أي تركيب الكلمات في نطاق الجملة، وما ينتج عن هذا التّركيب من علاقات [7].

- وعرّفه مازن الوعر مستعملاً مصطلح علم التّركيب بقوله: « علم التّركيب Syntaxهو الطّريقة الّتي من خلالها تنظّم وترتّب الكلمات لتَبِين العلاقات الدّلالية داخل الجملة وبين الجمل، ويرجع مصطلح Syntax إلى الكلمة اليونانيّة Syntaxis الّتي تعني التّركيب أو التّنظيم Arrangement، ولقد ركّزت معظم الدّراسات التّركيبيّة النّحويّة على بنية الجملة، ذلك لأنّ العلاقات القواعديّة تتجلّى أكثر ما تتجلّى في هذه البنية»[8].

لذا فإنّ علم النحو(Syntaxe)، يُبحث فيه عن أحكام بنية الجملة العربية بعد الإسناد، حيث يترتّب على علاقة التّأثير والتّأثر بين أقسام الكلام(الاسم والفعل والحرف) ما لا يكاد يتناهى من جمل أصلية وجمل معدّلة، يتحقّق بها غرض مطابقة الكلام لمقتضى الحال[9].

- تقويم مفهوم النّحو:

وهو في اعتقادي مصطلح أوسع ممّا ورد في التّعاريف وممّا عَلِقَ بأذهاننا، فالنّحو العربي هو الطّريق أو السُّنن أو الضّوابط (القوانين والقواعد النّاظمة للكلام العربي)، وهو بهذا لا يعني فقط الجانب التّركيبي، بل يتعدّاه إلى الجانب الصّوتي والصّرفي والمعجمي والدّلالي، بل هو لا يعنى فقط تلك القوانين النّاظمة أو الضّابطة للّغة العربية، بل يشمل طبيعة التّفكير النّحوي العربي القديم وفلسفته، فلابدّ أن نميّز بين النّحو التّعليمي والنّحو العلمي، والتّراث يشمل المكوّنين معًا، بل إنّ الرّوايات

---

[1] - ينظر: اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، نهاد الموسى، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م، ص54.

[2] - التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول والاتجاهات، خالد خليل هويدي، مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2012م، ص288.

[3] - ينظر:لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، ج15، ص309-310.

[4] - القاموس المحيط، الفيرز ابادي، الفيروزبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8(طبعة فنية منقحة ومفهرسة)، 2005م،ص1337(بتصرف).

[5] - في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986م، ص44-45.

[6] - الخصائص، أبو الفتح عثمان (ابن جني)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د ط،2000م، ج1 ص34.

[7] - المدخل إلى دراسة النحو العربي، علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 2006م، ص43-44.

[8] - دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، مازن الوعر، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2001م، ص11.

[9] - ينظر: مصادر التراث العربي، صبري متولي متولي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2005م، ص108.

المشهورة حول نشأة النّحو العربي، ومفهوم "مصطلح النّحو" فهي تذكر مثلاً رواية عن الإمام علي كرّم الله وجهه، حيث ذكر لأبي الأسود الدّؤلي:"الكلام كلّه اسم وفعل وحرف انح هذا النّحو"، وهذه الرّواية لا تشير إلى مستوى معيّن، ثمّ إنّ ذِكر حركات الإعراب والإعجام في هذا السّياق لا يوحي بذلك أيضًا، ولعلّ ربط النّحو بالإعراب والعربية كان بسبب تلك الرّوايات الّتي تتحدّث عن الأخطاء الّتي بدأت تتسرّب إلى العربيّة ولغة الذّكر الحكيم، ورُبطت بالرّفع والجرّ والنّصب(حركات الإعراب)، ومنه الرّواية الّتي تتحدّث عن ذلك القارئ الّذي قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُه﴾التّوبة(3) بجرّ "رسولِه"، وهذا خطأ جسيم لا يُغتفر ولا يُقبل، فارتبط النّحو بالإعراب وبجانب تركيب الجمل، وفي اعتقادي إنّ هذه التّسمية ارتبطت بذلك الظّرف(ظرفيّة) حيث كان يتردّد على الألسن في بداية ظهور هذا العلم مصطلحات مثل:"الإعراب والعربيّة"، وإذا ذُكِر النّحو فهو لا يتعدّى هذا المعنى لكن من الخطأ الاحتفاظ بهذا المفهوم كلّ هذا الوقت، لذا يُستحسن أن نستخدم مصطلح التّركيب بدل النّحو للدلالة على المفهوم الّذي ترسّخ بأذهاننا.

ممّا سبق نستطيع القول بأنّ **التّراث النحوي** هو كلّ ما تركه لنا أجدادنا النّحاة من كتب ومصنّفات ومخطوطات وشروح وتحليلات وآراء وتعليقات وتفسيرات للغة العربيّة في كلّ مستوياتها التّركيبي والصّوتي والصّرفي والمعجمي والدّلالي علمًا أنّ التّراث النّحوي قيمته تتفاوت صعودًا ونزولًا، فهناك الأصيل وغير الأصيل، وهناك العميق وغير العميق(السّطحي السّاذج)، لذلك يفرّق بعض الباحثين ومنهم أستاذنا عبد الرحمان الحاج صالح وعبد القادر المهيري وأحمد العلوي بين مستويين من التّراث النّحوي العربي، سنفصّل في هذه المسألة في حينها.

ثانيا: علم العربية:

تطلق كلمة علم Science اصطلاحا على كل بحث موضوعه دراسة طائفة معينة من الظواهر لبيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها وتطورها ووظائفها والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها، وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها[1].والبحث العلمي في اللغة يعد ظاهرة حديثة نسبيا، شأن البحث العلمي في شتى ميادين المعرفة المختلفة، فالإنسان يتنفس منذ وجد، لكنة عرف جهاز التنفس وعملياته وما يرتبط به من عمليات فسيولوجية في جسم الإنسان تعد من الحقائق التي اكتشفها البحث العلمي في الوقت القريب، واللغة قديمة قدم الإنسان نفسه لكن البحث فيها مرتبط بالتقدم العلمي وهو أمر حديث في التاريخ الإنساني[2].

ولقد أطلق علماء اللغة على دراسة بنية اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية(التركيبية) مصطلحين اثنين هما" النحو" و"علم العربية" ومن هؤلاء ابن النديم وابن فارس وابن الأنباري ولكنهم كانوا أميل لمصطلح النحو،[3] يقول ابن فارس: «...وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أنّ القائل إذا قال:"ما أحسن زيد" لم يفرّق بين التّعجّب والاستفهام والجزم إلا بالإعراب».[4] لكن المغاربة والأندلسيين كانوا يفضلون مصطلح العربية أو علم العربية على نحو ما فعل الزبيدي وابن خلدون هذا الأخير الذي أطلق على القواعد النحوية مصطلحين مترادفين هما:"قوانين العربية:و"القوانين النحوية.[5] كما صنّف كتاب سيبويه بأنّه في علم العربية وكذلك شأن ألفية ابن مالك.

ثالثا: علوم العربية:

علوم اللغة العربية وتسمى أيضا بعلم الأدب، وهي علوم يحترز بها عن الخلل في كلام العرب لفظا أو كتابة، وقسمها علماء اللغة العربية إلى اثني عشر قسما أو علما أو أكثر، منها**الأصول** وهي العمدة في ذلك الاحتراز ، فالبحث إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها؛فعلم اللغة، أو من حيث صورها وهيئاتها؛ فعلم التصريف، أو من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية؛فعلم الاشتقاق. وإمّا عن المركّبات على الإطلاق، فأمّا باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها للمعاني الأصلية؛فعلم النحو، أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى؛فعلم المعاني، أو باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح؛فعلم البيان. وأمّا عن المركّبات الموزونة، فأما من حيث وزنها؛فعلم العروض، أو من حيث أواخر أبياتها؛فعلم القافية

---

[1] - علم اللغة، على عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2004م، ص24.

[2] - ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، 1997م، ص9-10.

[3] - ينظر:أسس علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، 2003م، ص59-60.

[4] - ينظر: فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، ص40.

[5] - ينظر: أسس علم اللغة العربية ، ص62-64.

ومنها **الفروع**، والبحث فيها إمّا أن يتعلّق بنقوش الكتابة؛فعلم الخط، أو يختص بالمنظوم؛فعلم قرض الشعر، أو بالمنثور؛فعلم إنشاء النثر من الرسائل والخطب، أو لا يختص بشيء منها؛فعلم المحاضرات ومنه التواريخ[1].

وقد جمعت في قولهم:

صرف بيان معاني النحو قافية شعر عروض اشتقاق الخط إنشاء

محـــاضرات وثاني عشرها لغـة تلك العلـــوم لها الأداب أسمـــــاء

أساسها أربعة جمعها الشيخ الإثيوبي في قوله من نظم "التحفة المرضية":

نحو وصرف واشتقاق ولغة هذه الأساس فاجتهد أن تبلغه

ومن العلماء العرب البارزين الذين فصّلوا في هذه العلوم ابن خلدون في مقدّمته المشهورة، حيث ذكر بأن علوم اللسان العربي(اللغة العربية)، هي اللغة والنحو والبيان والأدب، إذ يقول:«أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها في الكتاب والسنة وهي بلغة العرب....والذي يتحصّل أنّ الأهم المقدّم منها هو النحو إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة...وكان من حق علم اللغة التّقدّم لولا أنّ أكثر الأوضاع باقية في مواضعها لم تتغير لولا الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه فإنه تغير بالجملة ولم يبق له أثر، فلذلك كان علم النحو أهم من علم اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللّغة»[2] سنشرحها بشكل وجيز كما وردت من وجهة نظره في المقدمة[3]:

1-علم النحو:

يعد ابن خلدون اللغة تعبيرا عن مقصود متكلمها وهي فعل لساني ناشئ قصد إفادة السّامع، واللغة أحسن ملكات العرب، ولمّا جاء الإسلام تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات للمستعربين، والسّمع أبو الملكات اللسانية ففسدت الألسنة، وخشي العرب أن تفسد تلك الملكة ويصيب اللحن القرآن الكريم والحديث، فاستنبطوا من كلامهم قوانين لتلك الملكة اللسانية مطردة تشبه الكليات والقواعد التي يقيسون عليها، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ورأوا أن الدلالة تتغير بتغيّر الحركات فاصطلحوا على تسميته إعرابا والموجب لذلك التغير عاملا، واصطلحوا على هذا العلم تسمية علم النحو، وأول من كتب فيه أبو الأسود الدؤلي، وأن الخليل هو الذي هذب هذا العلم وأكمل أبوابه وأخذ عنه تلميذه سيبويه الذي أكمل تفريعاته واستكثر من الأدلة والشواهد في كتابه المشهور الذي صار إماما لكل من جاء بعده، لكن الكلام فيه طال وظهر بعد ذلك الخلاف بين الأمصار فتعددت مدارسه واتجاهاته.

2- علم اللغة(المعجم):

وهو بيان للموضوعات اللغوية فإذا كان النحو هو قانون يعالج فساد ملكة اللسان العربي في حركات الإعراب، فإن الفساد تعدى إلى دلالات ومعاني الألفاظ نفسها ففسدت موضوعات الألفاظ واستعمل المستعربون كلام العرب في غير موضعه وخالفوا في ذلك صريح العربية وهو أمر لا يقل خطورة عن الأول ولعله أخطر، فقام كثير من أئمة اللسان وألفوا الدواوين لحماية المعجم العربي، على غرار ما فعل الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه "معجم العين" حيث أحصى فيه مركّبات حروف العجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي معتمدا على التركيب بالتقليب فانحصرت له ألفاظ العربية ورتب أبواب كتابه على حروف المعجم، معتمدا على ترتيب المخارج بداية بالحلق ثم الحنك وصولا للشفتين جاعلا حروف العلة آخرا، لذلك بدأ بحرف العين الذي سمى به كتابه، وقد بين الخليل المهمل من المستعمل، ذاكرا أن أكثر المهمل من الرباعي والخماسي والثنائي لقلة دورانه، وأن الاستعمال كان أكثر في الثلاثي كثرته دورانه في الألسنة، ثم جاء بعده أبو بكر الزبيدي والجوهري وابن سيدة وابن دريد وابن الأنباري وغيرهم، معتبرا هذه المؤلفات أصول كتب اللغة.

3- علم البيان:

يتبع علمي النحو واللغة علم البيان وهو يتعلق بالألفاظ والعبارات وما تفيده، وكلام العرب واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة، إن ابن خلدون يعتبر البحث عن الهيئات والأحوال الّتي تطابق باللفظ جميع مقتضيات

---

[1] - ينظر: موقع شبكة الألوكة، بتاريخ:2022/09/25م، الساعة12:37.

[2] - مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2009م، ص616-617.

[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص617-625.

الحال من علم البلاغة، وأن البحث عن الدلالة عن اللازم اللفظي ومدلوله من استعارة وكناية من علم البيان وأن ثمرة هذا الفن هي فهم إعجاز القرآن لأنه وافي الدلالة بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهذا الإعجاز يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه، وأن تزيين الكلام وتنميقه إما بسجع أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى خفي لاشتراك اللفظ من علم البديع، وأطلق الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان، وأن أهل المغرب اختصوا بعلم البديع وفرغوا له ألقابا وعدّوا أبوابا ونوّعوا أنواعا، وذلك لسهولة مأخذه مقارنة مآخذ البلاغة والبيان لدقتهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما، ومن ذلك كتاب "العمدة لابن رشيق"، هذا ويعد ابن خلدون تفسير جار الله الزمخشري أكثر التفاسير تقيدا بأحكام هذا الفن رغم ملاحظاته عنه بأنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن.

4- علم الأدب:

وهو الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة ومتفرقة أثناء ذلك، فالأدب كما يقول ابن خلدون هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كلّ علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو علوم الشريعة من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث الشريف، وأصول هذا العلم وأركانه أربعة دواوين وهي:"أدب الكاتب لابن قتيبة"، وكتاب:"الكامل للمبرد"، "البيان والتبيين للجاحظ"، وكتاب:"النوادر لأبي علي القالي البغدادي"، وما سواها فهي تبع لها وفروع.

والغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لأنه تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه، وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصفهاني كتابه في الأغاني، وجمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولتهم، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوتا التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم الاستيعاب وأوفاه، معتبرا هذا الكتاب جامعا أشتات المحاسن الّتي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعادله كتاب في ذلك.

رابعا- الإعراب:

الإعراب والتعريب لغة معناهما واحد هو الإبانة والإفصاح، يقال:"أعرب عنه لسانه وعرّب أي أبان وأفصح وأعرب عن الرجل أي بيّن عنه وعرّب عنه، وإنّما سمّي الإعراب إعرابا لتبيينه وتوضيحه، وعرّب منطقه أي هذّبه من اللحن، والإعراب الّذي هو النّحو، إنّما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب[1].

تمتاز اللغة العربية في شؤون التنظيمSyntqxe بتلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الإعراب والّتي يتمثل معظمها في أصوات مد قصيرة تلحق أواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة، وهذا النظام لا يوجد له نظير في أي أخت من أخواتها السّاميّة، اللهم إلا بعض الآثار الضئيلة البدائية في العبرية والآرامية والحبشية[2]، والإعراب -كما يقول مهدي المخزومي- بيان ما للكلمة أو الجملة من وظيفة نحويّة، أو من قيمة نحوية، ككونها مسندا إليه، أو مضافا إليه، أو فاعلا، أو مفعولا، أو حالا، أو غير ذلك من الوظائف الّتي تؤديها الكلمات في ثنايا الجمل ، وتؤديها الجمل في ثنايا الكلام أيضا[3]، فاللغة العربية تعد لغة متصرّفة بمعنى الكلمة محافظة على نهايات الإعراب والتصرّفات المختلفة، كالضمة في حالة الرّفع والكسرة في حالة الجر، والفتحة في حالة النصب...إلخ وهذا التّغير في العلامات في آخر الألفاظ داخل التركيب بسبب تغيّر العوامل الّتي تتحكّم في التركيب وتحدّد معناه[4]، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الإعراب كانت متعلّقة أكثر بلغة الآداب(شعرا، وخطابة، ونثرا)، أمّا اللهجات فكانت غير معربة منذ القديم، أو أنها لم تكن تهتم بها كما يحدث في لغة الأدب، ودليل هؤلاء في ذلك يتمثل في أمرين[5]:

---

[1] - ينظر: لسان العرب، ج1، ص588-589.

[2] - فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 2004م، 161.

[3] - في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م، ص67.

[4] - ينظر:العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك مع تعليقات المستشرق الألماني شبيتالر، ترجمة وتقديم، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط 1980م، ص14.

[5] - ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي ، ص161.

1- أحدهما دليل لغوي أن جميع اللهجات العامية المتشعبة من العربية والتي تستخدم اليوم في الحجاز ونجد واليمن ومصر والعراق والشام وبلاد المغرب العربي مجردة من الإعراب، ولو كانت قديما معربة لانتقل بعض من نظامها إلى اللجات المستعملة اليوم أو إلى بعضها على الأقل.

2- الثاني دليل منطقي عقلي أن القواعد متشعبة ودقيقة وصعبة التطبيق فهي تتطلب شدة الانتباه وملاحظة عناصر الجملة والعلاقات بينها، وهو أمر لا يعقل أن يتم في اللهجات بتلك الصرامة الموجودة في لغة الأدب، فاللهجات تميل إلى السهولة والبساطة.

خامسا- فقه اللغة:

فقه اللغة(Philology)، الفقه في اللغة الفهم، وقد فقه الرّجل صار فقيها، وفاقهه باحثه في العلم، والفقيه العالم الفطن،قال ابن فارس وكلّ علم بشيء فهو فقه، فلفظة"فقه" في المعجمات العربية تعني "العلم، و"فقه اللغة فيها هو"علم اللغة"، وقد ظهر هذا المصطلح في القرن الرّابع الهجري عند ابن فارس(ت395ه) وأطلقه على كتابه المشهور"الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، بيد أن هذا المصطلح لم ينتشر الانتشار الواسع، حيث ظهر بعد مدّة عند أبي منصور الثعالبي(ت429ه) وأطلقه أيضا على كتابه:"فقه اللغة وسر العربية"[1].

وقد بين ابن فارس في مقدّمه كتابه المذكور أن المقصود بفقه اللغة هو:«القول على موضوع اللغة وأوّليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطبتها وما لها من الافتنان تحقيقا ومجازا».، أمّا الثعالبي فكان يقصد به:"إيراد مجموعة من الألفاظ الّتي تقال في موضوع معيّن كالنبات أو الشّجر مثلا"، وهذا المصطلح عربي صرف، ويشمل دراسة مفردات اللغة وما تشتمله من معان ويدخل في ذلك الحقول الدلالية سواء كانت هذه الحقول ظواهر طبيعية، كالأنواء والسحاب والمطر والغيث، أم نباتية كالنبات والنخيل والشّجر والكرم، أم حيوانية كالإبل والشاء والخيل، وهلم جرّا، ويدخل تحت ذلك الغريب، كما في: "غريب اللغة" لابن قتيبة، ويدخل في ذلك المشترك اللفظي، والترادف والتضاد والفروق وأنواع المعاجم، كما يطلق هذا المصطلح على الدراسة المقارنة للغة العربية واللغات السامية، وتاريخ اللغات السامية، كما يطلق على عملية مقارنة الألفاظ الفصيحة بغير الفصيحة، كما يطلق على دراسة اللهجات كما فعل إبراهيم أنيس في كتابه: "اللهجات العربية" ، كما يطلق على دراسة الأصوات ككتاب ابن جني:"سر صناعة الإعراب" وكتاب ابن سينا:"أسباب حدوث الحروف [2]. أما منهج البحث في فقه اللغة فإنّه منهج وصفي استقرائي يعرف به موطن اللغة الأول وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة، الشقيقة أو الأجنبية، وخصائص أصواتها، وّأبنية مفرداتها وتراكيبها، وعناصر لهجاتها، وتطوّر دلالتها، ومدى نمائها قراءة وكتابة، والبحوث الأساسية المذكورة في التعريف تتعلّق بعلوم ثلاثة[3]:

1- التاريخ لمعرفة موطن اللغة الأول، وروابط القربى بينها وبين اللغات الإنسانية الأخرى، وتنوع لهجاتها وتطور خطّها وكتابتها.

2- علم الصوت، لبحث لهجات اللغة وأصواتها، ومعرفة أنواع التطوّر الصوتي فيها.

3- علم الدلالة، لبحث تطوّر ألفاظها وما تفيده من المعاني

وفي العصر الحديث استخدم هذا المصطلح استخدامات عديدة منها[4]:

1- تم استخدامه في مقابل المصطلح الأجنبيPhilology وهو يختص أساسا بدراسة النصوص القديمة مفسرا لها ومبينا محتواها اللغوي والأدبي والحضاري.

2- تم استخدامه بمعنى البحوث الّتي تختص بدراسة فقه اللغات السامية أو إحدى هذه اللغات، على غرار صنيع علي عبد الواحد وافي في كتابه:"فقه اللغة.

3- كما استخدم مرادفا لعلم اللغة كما فعل الأنطاكي في كتابه: "الوجيز في علم اللغة".

4- واستخدم مردفا لعلم المفردات اللغوية"المعجم"Lexicography".

---

[1] - ينظر: فقه اللغة، حاتم صالح الضامن، مكتبة مازن عبد القادر المبارك، دط، 1990م، ص10.

[2] - ينظر: الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2000م، ص 240-241.

[3] - دراسات في فقه اللغة، ص22.

[4] - ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية،عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، الجرسي للكنبيوتر والطباعة والتصوير، القاهرة، ط2، دت، ص9-10.

وإذا كان من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة، لأن جلّ مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب، قديما وحديثا، وقد سمح هذا التداخل أحيانا بإطلاق كلا التسميتين على الأخرى، حتى غدا العلماء يسردون البحوث اللغويّة الّتي تسلك عادة في علم اللغة، ثم يقولون:"وفقه اللغة يشمل معظم العلوم السابقة، ولا سيما إذا قورنت هذه البحوث بين لغتين أو لغات متعددة"[1].

ويرى تمام حسان أنّ فقه اللغة من قبيل المعارف لا الصّناعات، وهو ينتمي إلى العلوم غير المضبوطة، لا إلى العلوم المضبوطة، فهو بذلك أقرب إلى الفيلولوجيا منه إلى علم اللغة، غير أنّه يختلف عنها من حيث فكرة القدم ليست دائما من عناصر فهمه، بل نلمح فيه عنصرا مستقبليا هو ما يطلق عليه إثراء اللغة، وهذا العنصر بالّذات هو مجال نشاط المجامع اللغوية[2].

ولقد حدد العلماء الفرق الواضح بين الصناعات(العلوم المضبوطة) والمعارف(العلوم غير المضبوطة)، وإذا كان من خصائص الدراسة العلمية المضبوطة: الشمول والموضوعية والتماسك والاقتصاد، يحق لنا التساؤل هل يتصف البحث في أبواب فقه اللغة بأنّه علم من العلوم؟، فإذا حاولنا تطبيق خصائص العلم على فقه اللغة فسنجد بأنّه يتصف ببعضها، ونقصد تحديدا الموضوعية والتّماسك، أمّا الشمول واستنباط القواعد العامة من الظواهر الخاصة وما يترتب على ذلك من حتمية صدق النتائج، فهو أمر لا يمكن أن يتصف به فقه اللغة، وذلك لأن الحتمية والاستقراء الناقص متلازمان، أما سمة الاقتصاد فمما نفتقده في فقه اللغة[3].

ومن كتب فقه اللغة في تراثنا اللغوي الّتي تبعث على الإعجاب والفخر والإكبار، إذ يظهر في شيء غير قليل من قضاياها سبق بعض علمائنا القدامى لأحدث النظريات اللغوية الحديثة بألف عام أو يزيد، ومنها ما كتبه ابن جني(ت 392ه) في كتابيه:"الخصائص"و"سر صناعة الإعراب"، وابن فارس(ت 395ه) في كتابه:"الصاحبي في فقه اللغة"، والسيوطي(ت 911ه) في كتابه:"المزهر في علوم اللغة وأنواعها"[4].

---

[1] - دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 2009م، ص19.

[2] - ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية، ص12.

[3] - المرجع نفسه، 11-12.

[4] - ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، 1994م، ص173.

المحاضرة الثانية:(نشأة اللسانيات العربية)

تمهيـــــد(كلمة في مصطلح اللسانيات العربية):

مع بداية الثّمانينيات من القرن العشرين بدأ استعمال عبارتي"اللّسانيات العربيّة"،و"لسانيات العربية" في الانتشار وقد هيمنت العبارة الأولى تدريجيًّا على الكتابات العربية الّتي لها صلة بموضوع الدّرس اللّغوي العربي قديمه وحديثه دون أن تختفي العبارات الأخرى نهائيًّا من سوق الاستعمال،[1] ويزداد الخلط والغموض عندما نجد أن اللّسانيات العربية تبدأ من سيبويه والجرجاني والسّكاكي وابن خلدون وغيرهم، ورغم الاعتراف بمكانة هؤلاء –يقول غلفان-فإنّه لا يمكن أن نطلق على التّراث اللّغوي العربي تسمية اللّسانيات الّتي تحمل دلالات نظريّة ومنهجيّة مختلفة ومحدّدة زمانًا ومكانًا[2].

أمّا الفرق بين"لسانيات العربية"،و "اللّسانيات العربيّة"، فهو فرق في الموضوع المشتغل به، فلسانيات العربيّة تشتغل بمختلف مستويات تحليل اللّغة العربية موضوعًا لها، بغض النظر عن اللغة التي تكتب بها عربية أم غير عربية، أما اللّسانيات العربية فتتناول كل ما يكتب في اللّسانيات باللغة العربية سواء أتعلّق الأمر باللّسانيات العامّة أم بلسانيات العربيّة، أم بلسانيات أي لغة طبيعية أخرى[3]. فاللغة العربية تشكل هدف الدراسة في لسانيات العربية بينما تمثل اللغة العربية في اللسانيات العربية لغة الدراسة وإن شملت اللسانيات العربية اللغة العربية نفسها باعتبارها لغة طبيعية كغيرها من اللغات.

إن هذا المصطلح ملتبس عند الكثيرين وتجنبا لأي إشكال يمكن اعتماد مصطلحات من قبيل "اللسانيات العربية القديمة"و"اللسانيات العربية الحديثة"أو" الدرسات اللغوية عند العرب" أو "الدرس اللغوي العربي" أو "الدّرس النحوي العربي"أو "البحث اللساني العربي"أو"البحث اللغوي عند العرب"، الذي اعتمدناه في هذه المحاضرة تماشيا مع مفردات المقياس رغم أنّ رأي غلفان وجيه وحقيق بأن يعتمد فاللسانيات العربية مرتبطة بظهور علم اللسانيات الحديث فهي حديثة حداثة اللسانيات على الأقل كمصطلح.

أولا-نشأة البحث اللغوي عند العرب:

قبل نشأة أي علم من العلوم لا بد من إرهاصات ودلائل تسبق هذه النشأة، هذه الإرهاصات تتمثل في التفكير والتأمل حين يكون المجتمع متهيئا لظهور هذا العلم ومحتاجا إليه في مجال المعرفة والحياة، وكانت حياة العرب بعد ظهور الإسلام قد جدّت فيها ظروف وأحوال في المجالات المختلفة الفكرية والاجتماعية[4]. فحين هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة دخل النص القرآني في ظروف جديدة، فقد توسع الإسلام وتكاثر المسلمون، ومعلوم أنّ العرب أنفسهم كان بين لهجاتها تباين وخلاف، وكانت هذه اللهجات تتميز بظواهر لغوية في مجال الأصوات والصرف والنحو والدّلالة، وهذه الاختلافات انعكست على قراءة القرآن الكريم، ما أثار الانتباه والتفكير بدليل أنها وصلت إلى النبي ﷺإلا أنه أجازها واستصوبها"ما لم تجعل رحمة عذابا وعذابا رحمة" وقد روي حديث الأحرف السبعة، وهو قوله ﷺ:"أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه".[5]

وبعد وفاتهﷺ ازدادت رقعة الإسلام أكثر فتكاثر المسلمون من غير العرب فصار الخلاف في قراءة القرآن مدعاة لزيادة التفكير في الحفاظ على لغة الذكر الحكيم(وقد تكلمنا في المحاضرة السابقة عن مظاهر اللحن التي وقع فيها المسلمون وخاصة الأعاجم منهم، ومن مظاهر اللحن التي تذكرها الروايات نذكر[6]:

- تسكين أواخر الكلمات وترك الإعراب خوفا من اللحن، ومن ذلك ما حكي أن مهدي بن مهلهل كان يقول:"حدّثنا هشامْ بنْ حسانْ".

- الانحراف في نطق بعض الأصوات كنطق الظاء ضادا، وكنطق الصاد سينا، فقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ مر برجلين يرميان فقال أحدهما للآخر:"أسبت"، فقال سيدنا عمر ﷺ:"سوء اللحن أشد من سوء الرمي"، ومثال ذلك ما روي عن مولى زياد أنّه كان ينطق الحاء هاء، فكان يقول:"أهدى لنا هِمار وهِش" يقصد:"حمار وحش".

---

[1] - اللسانيات العربية أسئلة المنهج ، مصطفى غلفان، داروورد الأردنية للنشروالتوزيع، ط1، 2006م، ص43.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص44.

[3] - ينظر: المرجع نفسه ، ص46-47.

[4] - في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986م، ص11.

[5] - ينظر المرجع نفسه، ص12-13.

[6] - ينظر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثيروالتأثر، أحمد مختارعمر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988م، ص86-87.

- الخطأ في قواعد النحو كما يروى أن مؤذنا كان يقول:"أشهد أن محمدا رسولَ الله" بنصب رسول، فقال له أعرابي: ويحك ماذا تفعل، وما روي أن أبا عمرو بن العلاء مرّ بالبصرة فإذا أعدال مطروحة مكتوب عليها: "لأبو فلان: فقال: يا رب يلحنون ويرزقون؟ وما يروى أن رجلا دخل على زياد فقال له:" إن أبينا هلك وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال له زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك.

- الخطأ في بنية الكلمة، كما يقال إن أول لحن سمع في البادية قولهم:"هذه عصاتي) والأصح أن يقول: عصاي لأنها من عصا وليس من عصاة، وهو أمر دفع إلى التفكير في جمع النص القرآني ثم توحيده، وقد بدأ هذا العمل العظيم في عهد سيدنا أبي بكرﷺ حين دعا زيدا بن ثابت إلى ذلك بمساعدة الصحابة الكرام، وكان من أوائل المشجعين على هذه الخطوة سيدنا عمر ﷺ واستمرت هذه الجهود إلى توحيد القرآن الكريم في عهد سيدنا عثمان ﷺ ثمّ نسخ ووزع على الأمصار كمكة والبصرة والكوفة والشام، وطلب من معلّميه اتخاذ هذه النسخة الموحدة العثمانية أساسا في ذلك[1].

إلى هذه اللحظة-في غالب الظن-(نهاية عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا) لم يكن المصحف الكريم معربا ولا منقوطا، فقد كان خاليا من أي نوع من العلامات التي تبيّن حركات أواخر كلمه(حركات الإعراب) أو تميّز بين المتشابه من حروفه في الرسم(حركات الإعجام)، ذلك أن افتقار المصحف الكريم إلى هذه الضوابط كان سببا في وقوع اللحن في تلاوته، فقد ضعفت السليقة واختلطت الألسن والثقافات، فجاءت جهود أبي الأسود الدؤلي(ت69 هـ) في وضع نقط الإعراب، وتلميذه نصر بن عاصم الليثي (ت 89 هـ)حين وضع نقط الإعجام، وقد ظهر هذا الجهد في عهد الإمام علي ﷺ بشكل جلي لأن الخلفاء من قبله كان جهدهم منصبا على توحيد النص القرآني، وهو عمل غير يسير[2] إن هذه الجهود العظيمة التي قام بها هؤلاء لم تكن كافية لحماية النص القرآني والكلام العربي، فبدأ التفكير بعدها في وضع أبواب النّحو، وهو أمر يسند في بداياته إلى نخبة من اللغويين العرب بما فيهم الإمام علي كرّم الله وجهه، وأبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمان بن هرمز والخليل بن أحمد الفراهيدي الذي هذب القواعد ووضع الأبواب الأساسية للنحو العربي، وصولا إلى تلميذه الفذ سيبويه الّذي فرّع الأبواب وتوسّع في وضع الشواهد والبراهين...

ثانيا- عوامل نشأة البحث اللغوي عند العرب:

1- العامل الديني:

لم تكن اللغة العربية قبل الإسلام تتبع كيانا سياسيا موحّدا، يدافع عنها ويرتقي بها، ويحافظ عليها، لأنها إذ ذاك كانت لغة قبائل متفرّقة في جزيرة العرب، لكنها بمجيء الإسلام أصبحت لغة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة، وأصبح أمر حمايتها والحفاظ عليها واجبا من واجبات تلك الدولة، ولا سيما أن أساس الدولة القرآن الكريم الذي لا يجوز تحريفه أو تغيير سمته لمراعاة أي تطور يطرأ على اللغة العربية لاحقا[3].

إن هذا العامل هو الأساس، بحيث إنه سيأتي أكله فيما بعد عندما تتهيأ الظروف والأسباب للتّعبير العلمي عن ارتباط اللغة العربية بالإسلام، وأهمية وجود الدولة في الحفاظ على اللغة والدفاع عنها[4]، وهو ما حدث بالفعل فيما بعد، عند اتساع رقعة هذه الدولة الفتية، ودخول الأعاجم الإسلام، وبسبب اختلاطهم بالعرب ضعفت السليقة اللغوية العربية، فتسرّب اللحن إذ ذاك إلى العربية وانتشر، والعرب كما قرر ابن جني أشد استنكارا لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة، فقد ينطق العربي بالدخيل والمولد، ولكنه لاينطق بخلاف النحو، وهو بمثابة الجرم العظيم الذي لا يغتفر، ولذلك اشتد بلال بن أبي بردة على خالد بن صفوان لما رآه يلحن في حديثه العفوي معه، فقال له أتحدثني أحاديث الخلفاء، وتلحن لحن السقاءات ؟[5].

ولقد كان اللحن في صدر الإسلام قليلا جدا، ثم بدأ يشيع بشكل رهيب حيث إن الحجاج، هذا الخطيب البارع الذي اشتهر بفصاحته وبلاغته، سأل يحي بن يعمر، هل يلحن في بعض نطقه؟، فقال له يحي: بأنه يلحن في حرف من القرآن الكريم، إذ

---

[1] - ينظر: - في التفكير النحوي عند العرب، ص13-14.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص15-16.

[3] - التفكير العلمي في النحو العربي(الاستقراء، التحليل، التفسير)، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، ط1 2002م، ص61.

[4] - المرجع نفسه، ص61.

[5] - ينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني،.ص15.

كان يقرأ قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُم وَأَبْنَاؤُكُم ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿ أَحَبَّ ﴾ بضم أحب، والوجه أن تقرأ بالنصب، لأنها خبر لكان، لا بالرفع [2].

ويذكر هذا الأمر الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" حيث إن اللحن لم يمس العامة فقط، بل إن المثقفين من الأمة وأعيانهم وقعوا فيه، حيث إن أبا حنيفة (ت 150 هـ) لحن هو ومالك بن أنس (ت 179 هـ)ﷺ، ومنذ القرن الثاني الهجري اتهم الخلفاء باللحن، فهذا يحي بن نوفل الحميري يحقر خالدا بن عبد الله القسري والي العراق(ت 120 هـ)، بقوله:

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب.

يضاف إلى العامل الديني مجموعة من العوامل المحركة لهذا الأمر، منها:

2- العامل الاجتماعي:

ويتمثل في اختلاط العرب بغيرهم إثر انتشار الإسلام، واستقرار الفتوح، وقد اقتضى ذلك أن يتخذ الناس في مختلف الأقاليم لغة يتخاطبون بها، فهذه القضية حاجة اجتماعية وفكرية وحضارية للأمة[3].

3- العامل القومي:

ويتمثل في عدم قبول العرب وعدم رضاهم عن الخلط الذي أصاب لغتهم، بسبب انتقال اللغة نفسها إلى مواطن أجنبية بعد الفتوحات، بل إن العرب أنفسهم عندما نزلوا الأمصار الإسلامية أخذت سليقتهم تضعف، لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة.[4]

4- العامل السياسي:

حيث إن ازدهار أي علم لابد أن يواكبه اهتمام سياسي من القادة، وهو أمر معروف فيما تعلق بهذا العلم وجمع تراث اللغة سواء في عهد الخلفاء رضي الله عنهم، أو من تلاهم، ولعل تركيز كثير من المصادر التاريخية على دور أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه دليل وجيه على ذلك، فالحفاظ على القرآن دستور الدولة، والعربية لغتها من أعظم وأهم مهام وأدوار القائمين عليها، ولو كان هذا السبب ليس مباشرا، فإننا دون شك لا يمكن أن نغفل ما يمثله هذا الأمر من دافع قوي ، وما يوفره من ظروف مناسبة للباحثين في هذا المجال

5- السبب التعليمي:

حيث بدأ النحو لغرض ديني وسياسي واجتماعي وتعليمي، فكان بسيطا في أوله يتخذ منحى عمليا في الحفاظ على اللغة وتعليمها، ولكنه انتقل بعد ذلك إلى نشاط خاص مال أصحابه لإعمال الذهن، وحتى الفلسفة فيما بعد ، وربما لم يكونوا قصدوا ذلك قصدا[5].

ثالثا- الأطوار والمراحل التي مر بها البحث اللغوي العربي:

تكلم علي الطنطاوي في كتابه "نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة"، عن أطوار أربعة مر بها النحو العربي، وهي طور الوضع والتكوين (بصري خالص)، طور النشوء والنمو (بصري كوفي)، وطور النضج والكمال (بصري كوفي كذلك) ،وطور الترجيح والبسط في التصنيف (بغدادي وأندلسي ومصري وشامي)، وأضاف علي أبو المكارم طورين جديدين، هما: طور التجمد أو الجمود، وطور التحرك[6].علما أنه لا يمكن الحديث عن تاريخ محدد يقف عنده طور ويبدأ ثان، وإنما هذه الأطوار متداخلة فيما بينها[7]، ولعلنا عند الحديث عن نشأة البحث اللغوي عند العرب سنركّز عن الطورين الأول والثاني:

1- طور الوضع والتكوين:

---

[1] - سورة التوبة، الآية (24).

[2] - ينظر: طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984م، ص28، وينظر: المدارس النحوية ، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة،ط7، 1992م ص11-12.

[3] - ينظر: نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، ص226.، وينظر كذلك: في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص37.

[4] - ينظر: في التراث العربي، محمد عبد القادر أحمد، ص55.

[5] - ينظر: الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، د: علي مزهر الياسري، مجمع البتراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2011م، ص423.

[6] - ينظر: المدخل إلى دراسة النحو العربي ، علي أبو المكارم ، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م ، ص99-100.

[7] - ينظر:نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص36.

يمتد هذا الطور من عهد أبي الأسود الدؤلي إلى أول عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي [1].

وهذا الطور تميّز باستئثار البصرة، حيث كان لها الشرف في احتضان أول ثمار رجالها في مجال الدراسة اللغوية، وقد استغرق هذا الطور نحوا من قرن ونصف قرن، ولعل أهمية هذه الفترة تعود إلى أنها شهدت بدء محاولات استكشاف الظواهر اللغوية عقب نقط أبي الأسود للمصحف، حتى لا يخطئ فيه قارئ، كما تم فيها المحاولات الأولى لصياغة ما استكشف من الظواهر في القواعد، ثم تصوير هذه القواعد في شكل بعض المصنفات الصغيرة التي أتاحت الفرصة لمناقشة الظواهر والقواعد معا[2]، وقد فتح هذا الأمر لآخر أجيال هذه الفترة الباب لوضع الأسس المنهجية التي كان لها تأثير فيما بعد وتتلخص هذه الأسس في أمور ثلاثة هي:[3]

أ- الخلط بين المستويات اللغوية، وقياس القواعد على ما يسمع من كلام العرب، لا إلى ما يطرد .

ب- استخدام التأويل لتصحيح ما يخالف قياس النحو من نصوص.

ج- افتراض واقع لغوي لا يعتمد على ما في اللغة من ظواهر، إنما يستند بصورة مباشرة إلى القواعد اللغوية المرنة المستنبطة من المستويات اللغوية المختلطة.

وقد اشتغل في هذا الطور طبقتان من البصريين بعد أبي الأسود الدؤلي، حتى تأصّلت أصول منه كثيرة وعرفت بعض أبوابه.[4]

***- الطبقة الأولى:**

أخذت عن أبي الأسود، واستمرت في تثمير ما تلقته عنه ووقفت إلى استنباط الكثير من أحكامه، وقامت بقسط كبير في نشره وإذاعته بين الناس وكان من أنداد هذه الطبقة عنبسة بن معدان الفيل[5]، ونصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمان بن هرمز، ويحي بن يعمر العدواني [6]، ولم يدرك أحد من رجال هذه الطبقة الدولة العباسية ويغلب على الظن، أن ما تكوّن من نحو هذه الطبقة فضلا عن قلّته كان الرّواية للمسموع، فلم تنبت بينهم فكرة القياس ولم تقو حركة التصنيف بينهم، إذ كان جل اعتمادهم على حفظهم في صدورهم، ورواياتهم بلسانهم، وهذا هو الراجح.[7]

***-الطبقة الثانية:**

أضافت كثيرا من القواعد، ونشأت حركة النقاش بينها، فجدت هذه الطبقة في تتبع النصوص، واستخراج الضوابط منها، واستطاعت أن تصنف في النحو كتبا مفيدة، وكان من هؤلاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت117ه)[8]، وعيسى بن عمر الثقفي[9]، صاحب الكتابين في النحو الجامع والإكمال، وقد نوه الخليل بفضلهما بقوله:

ذَهَبَ النَّحوُ جَمِيعا كلُّـهُ غَيرَ ما أحدثَ عيسى بن عُمَرْ

ذاكَ إكمال، وَهذَا جَامِع فَهمَا للنّاس شَمس وقمـــرْ [10]

ولم ينقض هذا الطور، حتى وضعت طائفة كثيرة من الأصول فاختصرت فكرة التعليل عند ابن أبي إسحاق كما أنه أول من نشط القياس وأعمل فكرة فيه، ووافقه عيسى بن عمر[11]، وخالفهما بعض من عاصرهما فأفسح ميدان القول في هذا العلم، فقد كان مزيجا من النحو والصرف واللغة والأدب، وما إلى ذلك من علوم العربية .[12]

---

[1]- ينظر:المرجع السابق، ص37.

[2]- المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص93، وينظر: الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، علي مزهر الياسري، ص372.

[3]- المرجع نفسه، ص93.

[4]- ينظر:نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص37.

[5]- للاطلاع على ترجمة، ينظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي، ص74.

[6]- للاطلاع على ترجمة ينظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي، ص73.

[7]- ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص38.

[8]- للاطلاع على ترجمة، ينظر: المرجع السابق، ص75-76، و أيضا: طبقات النحويين واللغويين، ص31-33، و أيضا: المدارس النحوية، ص23-25.

[9]- للاطلاع على ترجمة، ينظر، المرجع نفسه، ص75-76.

[10]- المرجع نفسه، ص39.

[11]- للاطلاع على ترجمة، ينظر: أخبار النحويين البصريين، ص81-82، و أيضا: طبقات النحويين واللغويين ص40-45.

[12] ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص39.

2- طور النشوء والنمو (بصري كوفي):

هذا الطور يمتد من عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (100-170هـ)[1] وأبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي[2]، إلى أول عصر المازني البصري[3]، وابن السكيت الكوفي، ففي هذا الطور اشتراك بين المدرستين في النهوض بهذا الفن والمنافسة فيه فقد تلاقت فيه الطبقة الثالثة البصرية برئاسة الخليل بن أحمد الفراهيدي، والأولى الكوفية بزعامة الرؤاسي، فكان هذا الطور بحق طور النشوء والنمو، حيث انفصل النحو والصرف عن اللغة والأدب والأخبار والشعر[4]، نشط نحاة هذا الطور نشاطا كبيرا في التقصي واستقراء كلام العرب، وفي إعمال الفكرواستخراج القواعد، وكان مبعث ذلك النشاط، هو التنافس بين البصرة والكوفة، فجمع الخليل الأصول، وساق الشواهد، وعلّل الأحكام، وبلغ في ذلك غاية محمودة.[5]

وحمل الراية من البصريين مع الخليل يونس بن حبيب(ت182هـ) فكانت له حلقات دراسة يؤمها فصحاء العرب، وأهل العلم، وكان له في النحو أقيسة ومذاهب تفرد بها، وعاصرهما الرؤاسي شيخ الطبقة الأولى من الكوفة الذي تلقى عن الطبقة الثانية البصرية، وألّف الرؤاسي الفيصل[6]، حيث روى ابن النديم، قال الرؤاسي:«بعث الخليل إلي يطب كتابي، فبعثت به إليه فقرأه وكل ما في كتاب سيبويه، وقال الكوفي كذا، فإنما يعني الرؤاسي»[7].

تكوّن على يد الإمامين الخليل، ومن معه من البصريين والرؤاسي ومن معه من الكوفيين مدرسة خاصة، فتتابعت الطبقات المتعاصرة من كلا البلدين، فسطع في سماء البصرة نجوم متألقة، تألق منها عقد الطبقة الرابعة بزعامة سيبويه (ت 188هـ)[8]، الذي وهب ملكة التصنيف والتنسيق، فأبدع كتابا ليس كغيره من الكتب، أطلق عليه لقب قرآن النحو، ونعنى بذلك الكتاب، فلم يدع للمتأخرين استدراكا عليه، وعاصرته الطبقة الثانية الكوفية بقيادة الكسائي(ت189هـ)[9]، فتكون للكوفيين جبهة قوية ثبتت أمام الجبهة البصرية، ووقفت معها الند للند، فهو المؤسس الحقيقي للمذهب الكوفي أو المدرسة الكوفية واشتد الصراع بين المدرستين وأصبح ظاهرا.[10]

ثم جاء الأخفش(ت215هـ)[11]، شيخ الطبقة الخامسة البصرية، وعاصره الفراء(ت207هـ)[12]، أستاذ الطّبقة الثالثة الكوفية الذي غمره المأمون بالعطايا وحفزّه على نشر العلم، وقد امتد لهيب الصراع بين المدرستين إلى نهاية الطور الثالث .

وعلى العموم فقد قطع النحو شوطا كبيرا شارف فيه على النهاية في هذا الطور، وكثرت فيه المؤلّفات التي أزيل منها ما ليس من فن النحو، ولقد بهر العلماء كتاب سيبويه، فلم يروا إلا الطّواف حوله، تعليقا وشرحا واختصارا، وانتقادا، واستدراكا، ولعله بسبب تعلق العلماء به، جعلهم يمزجون بين فني النّحو، والصرف، واستمر ذلك طويلا، حتى عهد ابن مالك، ومن بعده .[13]

أما الكوفيون فقد ألّفوا أبوبا خاصّة بالصرف، اعتناء بشأنها، لكن جهدهم هذا لم يجعل الصرف منفردا عن النحو في التأليف، فصنّف الرؤاسي كتاب "التّصغير"، والكسائي كتاب "المصادر"، والفراء كتاب "فعل وأفعل" على أن الصرف بدأ يستقل فعليا على النحو، في مستهل الطور الثالث الذي سيأتي الحديث عنه[14].

---

[1] - هو:الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمان الفراهيدي الأزدي من أشهر النحاة الأوائل على الإطلاق، وهو أستاذ سيبويه؛ وكل ما قاله سيبويه في كتابه ، (وسألته)، (قال)، من غير أن يذكر قائله، فهو يقصد الخليل، وللاطلاع أكثر على ترجمته، ينظر:أخبار النحويين البصريين، ص86- 87، و أيضا: طبقات النحويين واللغويين،ص47-51، و أيضا، ينظر: المدارس النحوية، ص30- 56.

[2] - للاطلاع على ترجمة، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص125، و أيضا: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص115.

[3] - للاطلاع على ترجمة، ينظر:أخبار النحويين البصريين، ص113-121، و أيضا: طبقات النحويين واللغويين ص87-93.، و أيضا: المدارس النحوية، ص115-122.

[4] - ينظر:نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص40-41.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص42.

[6] - ينظر: المرجع نفسه ، ص43.

[7] - المرجع نفسه، ص43

[8] - هو: سيبويه ، واسمه عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، وسيبويه بالفارسية تعني رائحة التفاح، وهو تلميذ سيبويه، وصاحب أشهر كتاب في النحو (الكتاب)، ويطلق عليه قرآن النحو تعظيما لشأنه، وللاطلاع على ترجمته أكثر ينظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي، ص92- 94.، و أيضا: طبقات النحويين واللغويين، ص66-72. و أيضا، ينظر: المدارس النحوية، ص57- 93 .

[9] - هو: هو علي بن حمزة من أصل فارسي ولد بالكوفة سن119 للهجرة من أشهر نحاة الكوفة، للاطلاع على ترجمته أكثر، ينظر: المدارس النحوية، ص172- 191.

[10] - ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص43-44.

[11] - للاطلاع على ترجمة، ينظر:أخبار النحويين البصريين، ص94، و أيضا، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص72-74.

[12] - للاطلاع على ترجمة، ينظر طبقات النحويين واللغويين، ص131-133، و أيضا، ينظر: ينظر: المدارس النحوية، ص192-223.

[13] - ينظر:نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص45.

[14] - ينظر: المرجع نفسه، ص46.

رابعا-مصادر الاحتجاج:

من المنطقي أن يبدأ البحث اللغوي عند العرب بجمع المادة اللغويّة(اللغة والأدب والأخبار)، أو ما يعرف بمتن اللغة، وأن يسبق ذلك الدرس النحوي ووضع قواعد اللغة العربية، وقد تمّ هذا الجمع أولا بطرق المشافهة والحفظ دون منهج معين في ترتيب المادة المجموعة أو تبويبها، أو على حدّ تعبير أحمد أمين:" كان المدونون الأولون للغة في هذا العصر يدونون المفردات حيثما اتفق، وكما يتيسر لهم سماعها، فقد يسمعون كلمة في الفرس، وأخرى في الغيث، وثالثة في الرجل القصير، وهكذا فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب"[1]. غير أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى**:كان العلماء يدونون كل ما يسمعونه من الأعراب من غير ترتيب، أو تصنيف، إلا ترتيب السماع.

- **المرحلة الثانية**:تتمثل في ضم المتشابهات والنظائر اللغوية، والتأليف بينها في رسالة واحدة، كما فعل أبو زيد الأنصاري حين ألف كتاب المطر، وما يلحق به من الأنواء والغيوم، والرعد، والبرق، وكتاب اللبأ واللبن، وكما فعل الأصمعي حين جمع وألف كتاب الدارات والنبات والشجر والنخل والكرم، وأغلب ما ألف كان على هذا النحو.

- **المرحلة الثالثة**: تتمثل في وضع المعجم الذي يشتمل الكلمات ومعانيها واشتقاقاتها، ليرجع إليه من أراد البحث عن معاني الكلمات[2].

فبعد عملية الجمع بدأت مرحلة التبويب والتصنيف والتقسيم ورد النظير إلى النظير، كل بطريقته التي رآها فمنهم من صنفها حسب الموضوعات"الحقول الدلالية مثلا" ومنهم من قام بشرح المفردات الصعبة في الشعر الجاهلي والإسلامي، ومنهم من اهتم بتسجيل بعض الظواهر الخاصة التي لاحظها في بعض القبائل العربية...إلخ، وتوجت هذه الجهود الأولى بظهور معجم العين للخيل بن أحمد الفراهيدي وهو أول المعاجم التي جمعت الكلام العربي المهمل منه والمستعمل، أما المصادر التي اعتمدها اللغويون العرب في ذلك فهي:

1- القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف، وعلوم البلاغة ، وقراءاته جميعا الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة ، أما طرقه المختلفة في الآداء فهي كذلك، إذ أنها مروية عن الصحابة وقراء التابعين رضوان الله عنهم أجمعين ، وهم جميعا ممن يحتج بكلامهم العادي عدا قراءاتهم التي تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعونها من الرسول ﷺ، كما أن أئمة القراء، كأبي عمرو بن العلاء والكسائي ويعقوب الحضرمي هم أئمة في اللغة والنحو أيضا[3] ، وقد جرى عرف العلماء على الاحتجاج برواياته سواء أكانت متواترة أم رواية آحاد، أم شاذة، والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتج بها في اللغة والنحو[4] إذ هي على كل حال أقوى سندا وأصح نقلا من كل ما يحتج به العلماء من كلام العرب غير القرآن، والملاحظة التي يجب ذكرها هنا أن النحاة عند جمع اللغة والتدوين اضطربوا من الناحية المنهجية [5]، وقد ذكرنا هذا عند حديثنا عن مراحل التدوين والجمع.

أما القراء فقد سلكوا مسلكا علميا صارما ومنهجية دقيقة، حيث إن أقل ما يشترط القراء لصحة القراءة شروطا ثلاثة:

أ-صحة السند بها إلى الرسول ﷺ.

ب- موافقتها رسم المصحف المجمع عليه.

ج- موافقتها لوجه من الوجوه العربية[6].

---

[1] - البحث اللغوي عند العرب، ص81.

[2] - ينظر: في التراث العربي، محمد عبد القادر أحمد، ص53.

[3] - في أصول النحو سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعي، مصر،دط،1994م، ص27-28.

[4] - ينظر: مدخل إلى أصول النحو محمد خان، ص15.

[5] - في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص29.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص29-30، ولمزيد من الاطلاع ينظر: في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص26، وكذلك:في أدلة النحو، عفاف حسنين، المكتبة الأكادمية، القاهرة، طبعة جديدة،1996م، ص30-72.

2-الحديث النبوي الشريف:

لقد كان أولى أن يكون الحديث الشريف بعد القرآن مباشرة في الاحتجاج، وأن يتقدم سائر كلام العرب نثرا وشعرا، إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بيانا أبلغ من الكلام النبوي ولا أروع تأثيرا، ولا أفعل في النفس ولا أصح لفظا ولا أقوم معنى، ولكن ذلك لم يقع كما ينبغي لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى الشعر، فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودرايته بقية، فتعللوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلل مختلفة، ومع إجماع اللغويين والنحاة عامة على أن النبي ﷺ أفصح العرب قاطبة، فإنهم انقسموا فيما يروى من الأحاديث فريقين، فريق غلب على ظنه أنها لفظه عليه الصلاة والسلام، فأجاز الاحتجاج بها، وفريق قال بأنها رويت بالمعنى لا باللفظ، فلم يحتج به[1]، وقد أوضح السيوطي جوانب هذه المشكلة بقوله:« إن غالب الأحاديث مروي بالمعنى وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عبراتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة[2] »

والحقيقة أن ما ذهب إليه القدماء من حذر في قبول الحديث في اللغة، أو الامتناع عن الاستشهاد به قد زال سببه لأن العلماء المحدثين قد صححوا كثيرا من الأحاديث، وهي معروفة المصادر.[3]

3- كلام العرب(من شعرونثر):

إن الباحث في معاجم اللغة وكتب النحو يراها أوفر حظا في الاستشهاد بالشعر والنثر على السواء في إثبات معنى أو استعمال كلمة، ويجد النحاة يكادون يقتصرون على الشعر، وزادت عنايتهم بالشواهد الشعرية مع الزمن، مع أن الشواهد النثرية كانت نادرة أصلا[4].

أما حد الزمان: حددوا الفترة الزمانية التي يحتج بها وبلغتها ثلاثة قرون من 150 قبل الإسلام، و150بعده، وقد قال الأصمعي في هذا الشأن : ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة(ت176ه)، وهو معاصر لسيبويه، وربما كان انقضى أجل سيبويه، وهو الذي جعل الشاهد الشعري يقف عند هذا الشاعر، فما يعتبر حجة في اللغة يتوقف على نصوص الأدب الجاهلي أو المخضرم، أو الإسلامي، أو الأموي، ويخرج بذلك من دائرة الاستشهاد ما كان عباسيا، وما كان مولدا، وما جاء بعد هذه العصور، فلا احتجاج بشعر المتنبي، ولا لابن الرومي، ولا للمعري ![5]

وقد قسم الشعراء الذين يستشهد بشعرهم إلى طبقات أربع:

- **الطبقة الأولى**: الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.
- **الطبقة الثانية:** المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد بن ربيعة العامري، وحسان بن ثابث.
- **الطبقة الثالثة:** المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجرير والفرزدق.
- **الطبقة الرابعة**: المولدون ويقال لهم المحدثون، وهم من بعدهم، كبشار بن برد، وأبي نواس[6].

وقد أجمعوا على صحة الاستشهاد بالطبقتين الأولى والثانية، وقد اختلفوا في الاستشهاد بالثالثة، أما الرابعة فقد أجمعوا تقريبا على عدم الاستشهاد بشعرها، وإن اختار الزمخشري الاستشهاد بمن يوثق به منهم[7].

والحقيقة إن لغة الشعر لا تصلح دائما لتقعيد القواعد، لأنها محل الضرورات والضرورات عند النحاة تختلف عن اللحن والخطأ، ذلك أن مستعملها يحاول وجها من وجوه القياس، أو يراجع أصلا متروكا من أصول اللغة.[8]

---

[1] - في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص46-47، وللتوسع في الموضوع، ينظر: الاستدلال بالحديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية، مكاتبة بينبدر الدين الدماميني، وسراج الدين البلقيني، دراسة وتحقيق، د: رياض بن حسن الخوام، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998م، ص5-23.

[2] - الاقتراح، السيوطي، ص16

[3] - مدخل إلى أصول النحو، محمد خان ، ص20، وللتوسع في الموضوع، ينظر: في أدلة النحو، عفاف حسانين، ص72-85.

[4] - ينظر: في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص59-60.

[5] - ينظر: مدخل إلى أصول النحو، محمد خان، ص8.

[6] - مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي، جعفر نايف عبابنة، ص53.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص54.

[8] - مدخل إلى أصول النحو، محمد خان، ص25.

خامسا-الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام علوم اللغة العربية ومؤسسها:

يعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام علم النحو وعلوم اللغة العربية كلّها، وهو مخترع علم العروض وواضع أسس المعجم اللغوي عن طريق عملية حسابية عجيبة تلفت الأنظار وتذهل العقول، وكان من نتائج فكره أن أملى علم النحو على تلميذه سيبويه الذي دونه في كتابه المشهور بقرآن النحو. ولم يجمع مؤرخو العربية على التنويه بأحد مثل إجماعهم على التنويه بالخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، فقد قال عنه أبو الطيب اللغوي:"إنه لم يكن قبله، ولا بعده مثله، ولم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى منه، فكان أعلم الناس وأفضل الناس وأتقى الناس، فكان مفتاح العلوم ومصرّفها"، وقال عنه سفيان الثوري:"من أراد أن ينظر إلى رجل خلقه الله من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل"[1]. وما يثبت هذا كلّه أنّه أجرى عددًا من العمليات الرّياضيّة، ورسم رسومًا كالدّوائر واستعمل عددًا من الرّموز، كالفاء والعين واللام في تمثيل الحروف الأصليّة(فعل)، وبعض المصطلحات،كالجداء ووجوه التّصرّف، والجدير بالذّكر أنّ تفكيره كان أصيلاً يعبّر عن أفكاره هو، لأنّه لا يمكن أن يجري هذه العمليات ولا أن يرسم هذه الدّوائر بهذا الشّكل، وبهذا التّعليق إلاّ من قد وضع الأصول الّتي يؤسّس عليها كلّ هذا[2].

لقد استطاع الخليل بذكائه العجيب أن يستنبط مقاييس التركيب العام للكلام العملي، وأن يفحص مادّته الّتي صيغ منها وهي الحروف(الأصوات)، ولبناته التي شيد منها وهي الكلمات، ونسقه المميز وهو التركيب الإعرابي، وفيما يلي نماذج مقتضبة من أعماله على مستوى الأصوات والمقاطع والكلمات والجمل والمعجم.

1- مستوى الأصوات:

إن الملاحظ لمعجم العين يرى الطريقة العجيبة في تكوينة وترتيبه، حيث كان ذلك اعتمادا على الأصوات الأبجدية العربيةيرى الحاج صالح أنّ ما اكتشفة الخليل في الجانب الصّوتي أي ميدان حدوث الأصوات دقيق جدًّا، وهو موجود في باب الإدغام في كتاب سيبويه، وبعضها مفرّقة على بقيّة الأبواب، كالإمالة والوقف وغير ذلك، وامتاز العرب في المجال الصّوتي بخصائص لم يذكرها الهنود كمفهوم الحركة، كما وصفوا جهاز أو آلة الصّوت وصفًا دقيقًا وعجيبًا.

وقد أحصى سيبويه تسعة وعشرين (29)صوتًا(حرفًا) تامًّا في نظام اللّغة العربيّة وثلاثة أخرى ناقصة، وكانوا يعنون بالأولى الحروف الصّوامت وحروف المد الثّلاثة، وبالثانية حركات الأصوات الثّلاثة، كما أحصوا الحروف الفرعيّة، وهي تنوّعات منها اللّهجيّة وغير اللّهجيّة كالهمزة المسهّلة والنّون المخفاة، وأنواع الممال والمفخّم، وأحصوا منها ستّة أصوات كثيرة الدّوران، كالّتي ذكرناها يضاف إليها الشّين الّتي كالجّيم والصّاد الّتي كالزّاي، وقال عنها سيبويه، وهي كثيرة يؤخذ بها، وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهكذا هي الحروف الأصول التّسعة والعشرون، لكنّها مطّردة في الاستعمال وهذه أقلّ منها، وأحصوا سبعة أحرف لا تدخل في نظام العربيّة، لأنّها كما قال سيبويه:«غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته»[3].

2- مستوى المقاطع:

أثناء وضع علم العروض لاحظ الخليل أنه إلى جانب الأصوات التي تؤلف الكلمة، رأى أن هناك وحدات أخرى أكبر وهي المقاطع، وعبر عنها بالأسباب والأوتاد في علم العروض، منها ما هو ذو مغزى إيقاعي فقط، إذا كان المقطع جزءا لا يتجزّأ من الكلمة المجرّدة، ومنها ما يدلّ على معنى زائد في الكلمة سواء كان هذا المقطع لفظا مستقلا كحروف المعاني أو كان من زوائد الكلمة التي تغير معناها في صيغتها الأصلية ، مثل في من فيهم، وحرفي السين والتاء من استحسن كما لاحظ أن المقاطع قد تجتمع لتؤلف الكلمة، فقال: إنّ "لن" أصلها" لا أن"، وإن"مهما" مؤلفة من "ما ما" أبدلت ألف ما الأولى هاء تسهيلا للنطق، وأن أكثر هذه التغييرات تقع نتيجة كثرة الاستعمال[4].

3- مستوى الكلمة:

لقد جمع الخليل كلم العربية بطريقة رياضية في معجم العين وفرق بين أصول الكلمة وزوائدها وبين أثر هذه الزوائد على قواعد الصرف ومنعه وعلى صيغ التثنية وجمع التكسير وعلى أمثلة التصغير، كما وطد الخليل قاعدة وضع الأوزان من حروف

---

[1] - تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، 79-80.

[2] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2 ، ص68 .

[3] - ينظر: منطق العرب في علوم اللسان، ص214.

[4] - ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص82.

لفظة"فعل" لمقابلة أصول الكلمة، مع إيراد حروف الزوائد بلفظها، وهو أمر يوحي بمنهج الخليل في التجريد والتعميم في استعمال هذه الحروف كآلات قياسية، تميز الأصول من الزوائد، مثلما استعملها في الأوزان العروضية.

كما استنبط الخليل انطلاقا من هذه المفاهيم إعلال الكلمات وإبدال بعض حروفها ببعض، وجعل للإعلال والإبدال قواعد تحكمه، وكذلك الإدغام، التغييرات التي تجري على الكلمة بسبب اللواحق، وصلاتها بحروف الإعراب وعوامل البناء....[1]

4- مستوى التركيب:

لاحظ الخليل أن الكلام العربي يسير وفق نسق محكم بقواعد مضبوطة، فعمل على إظهار تلك القواعد باستقراء ما سمع من كلام العرب الفصيح، وعلى توضيح العلل وإبراز العوامل المتحكمة في التركيب العربي، وقد سبق غيره بفكرة القياس التعليلي. نظر الخليل إلى اللغة نظرة شاملة وافترض أن قواعدها معللة بأسباب معقولة[2]، ومن هذه القواعد الأصلية أن الإعراب مقيس في الأسماء، وأن البناء مقيس في الأفعال، وهي قاعدة ثابتة لا تتغير إلا لعلة عارضة مثل شبه الاسم بالحرف وشبه الفعل بالاسم، ومنها أن التعريف لا يحتاج إلى أداتين فلا نقول:" يا الغلام"، فالنداء وحده في معنى التعريف، ومنها أيضا عدم جواز أن تندب من لا تعرف، فامتنع أن يندب المنكور لأنه مبهم، ومن القواعد القياسية أيضا امتناع العطف على جزء من الكلمة، مما يجر إلى منع العطف على ضمير الرفع المتصل، فلا يجوز قول:"فعلت وعبد الله" لالتصاق الضمير بالفعل وإحداثه تغييرا في بنية الكلمة بإسكان اللام فيها، فصارت مع الضمير كلمة واحدة...كما بين الخليل أن الإعراب ليس وضعا اعتباطيا يقع دون سبب، لذلك أكد أن نسق الكلام لا يتغير إلا بسب تأثير عوامل خاصّة[3](سيأتي الحديث عن العامل).

5- مستوى المعجم:

لقد ابتكر الخليل نوعًا من الحساب يمكن به إحصاء كلّ التّراكيب الّتي تحتملها المجموعة من حرفين أو ثلاثة أحرف إلى خمسة أحرف، حيث يقول:«اعلم أنّ الكلمة الثّنائية تتصرّف على وجهين، نحو:قد، دق، شد، دش والكلمة الثّلاثية تتصرّف على ستة أوجه، وتسمّى مسدوسة، وهي نحو:ضرب، ضبر،برض، بضر، رضب، ربض والكلمة الرّباعيّة تتصرّف على أربعة وعشرين وجهًا، وذلك أنّ أحرفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثّلاثي الصّحيح وهي ستّة أوجه، فتصير أربعة وعشرين وجهًا يكتب مستعملها، ويلغي مهملها...والكلمة الخماسية تتصرّف على مئة وعشرين وجهًا، وذلك أنّ حروفها وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرّباعي، وهي 24 وجهًا فتصير120وجهًا يستعمل أقلّه ويلغى أكثره»[4]، إنّ هذا التّفكير رياضي لا لبس فيه، ما يعنى أنّ صاحبه عبقريّ بالفعل كما ينعته أستاذنا الحاج صالح رحمه الله، وفي نفس النّسق يندرج ابتكاره علم العروض وحركات الإعراب، وقد ظهرت تلك الآراء الدّقيقة في الكتاب كما هو معروف.

وهذا ينطبق تمامًا مع الصيغة الّتي يتّخذها الرياضيّون المحدثون:

$2=2\times1=!2$

$6=3\times2=3\times!2=3\times2\times1=!3$

$24=4\times6=4\times!3=4\times3\times2\times1=!4$

$120=5\times24=5\times!4=5\times4\times3\times2\times1=!5$

أمّا الدّائرة الّتي رسمها الخليل لتمثيل قسمة التّراكيب للحروف، فهي ذات اتّجاهين متقابلين ووضع عليها ثلاثة أحرف متباعدة، فالإنطلاق من كلّ حرف باتّجاه معيّن يسمّى موضع الإنطلاق في العروض(مفكًّا)، فالضّاد تعد مفكًّا لضرب وتصير الرّاء مفكًّا لربض، وهكذا دواليك، ثمّ تقلب العمليّة في كلّ مرّة حتّى يتمّ ذكر كل الاحتمالات:

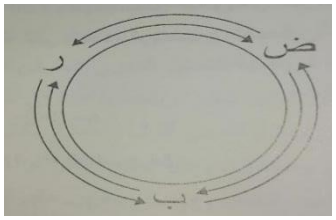

[1] - ينظر: المرجع السابق ، ص83.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص83-84.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص84-85.

[4] - المرجع نفسه، ص68-69.

اعتمادًا على قلب الاتّجاه في كلّ عمليّة تركيبيّة هنا لها نظيرها (بقلب الاتّجاه)، وبالتّركيب التّسلسلي، وفيه صفة التّجميع(associative) وإمكانية عدم التّركيب تكون مجموعة التّراكيب الّتي يسميها الرّياضيون المحدثون (زمرةGroup)[1].

سادسا- ظاهرة كتاب سيبويه:

قلنا بأن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو العبقري الفذ الذي استكمل تنظير علوم اللغة العربية وإرساء قواعدها، لكن هذه الجهود يرجع الفضل في جمعها وترتيبها وتبويبها في مدوّنة تعارف أهل هذا الفن على تسميتها ب:"الكتاب" لسيبويه تلميذ الخليل المجتهد، الذي يعدونه المعجزة التي ليس لأحد أن يأتي بمثلها، وليس من شك أن الكتاب يعد ثورة علمية فريدة جمع فيه صاحبه حصيلة قرن من ثمرات تفكير العلماء الذين سبقوه من أبي الأسود إلى الخليل.

اعتمد سيبويه في كتابه أساسا على ما أخذه من علم الخليل، حتى قيل عنه أنّه جمع ألف ورقة من علم الخليل فتارة يذكره باسمه:" وزعم الخليل"، وتارة يقول:"وسألته"، فالأستاذ حاضر في ذهن التلميذ، كما أنه روى عن يونس بن حبيب الضبي نحوا من مائتي مسألة، وعن أبي عمرو بن العلاء زهاء الأربعين، وعن عيسى بن عمر قرابة العشرين ونصفها عن ابن أبي إسحاق الحضرمي، وروايته عن هؤلاء الثلاثة أكثرها عن طريق يونس بن حبيب.[2]

لقد شغل الكتاب اللغويين والدارسين منذ ذلك الوقت، فقيل أن الجرمي ظل ثلاثين سنة يفتي في الفقه من كتاب سيبويه، وقيل لمن يريد تدارسه:"هل ركبت البحر" فهو ليس يسيرا على كل قارئ، كما اعتمد عليه مناهضوه من نحاة الكوفة، فقيل أن الفرّاء مات وكتاب سيبويه تحت وسادته، وقال عنه المازني :" من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه فليستح"، وكان أبو الطيب اللغوي يسميه"قرآن النحو"، ومن أبلغ ما قيل فيه وفي مؤلفه، قول الزمخشري:

ألا صلى الإله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبـر
فإن كتابه لم يغن عنـــه بنـــو قلـــم ولا أنـــداء منبـــر

إن هذه العناية التي أولاها الدارسون للكتاب يعود للأسباب التالية[3]:

1- وضعه التاريخي إذ أنه أول ما وصل إلينا من المؤلفات النحوية.

2- شموليته للمعارف النحوية، فهو موسوعة في النحو والصرف وأبنية الكلام العربي.

3- اتفاق معاصريه على أمانته في النقل.

4- أسلوبه المتميز الذي لا يخلو من تعقيد وغموض احتاج إلى شروح كثيرة ولكنها لم تستنفد جميع طاقاته.

ولقد كان الأخفش الأوسط والمازني والجرمي والسيرافي والرماني من بين الذين اجتهدوا في شرحه وبيان نكته ومع ذلك فإن السيرافي الذي كاد أن يستكمل شروح من سبقوه قال عن "باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور"، هذا باب فيه صعوبة، وقال الزجاج:"هذا باب لم يفهمه إلا الخليل وسيبويه".

أما ترتيب الكتاب وعناوينه وأبوابه، فقد جمع سيبويه في كتابه مباحث النحو والصرف في قسمين متباينين، لكن ترتيبه لأبواب النحو يختلف عما اعتدنا عليه، فهو يبدو متناثرا لأن الدارسين تعودوا على ترتيب معين وواضح، أما في الكتاب نلاحظ كثرة الأبواب وعدم وجود فصول وطول العناوين والغموض بين العنوان والمتن، وقد تنبه دارسوه قديما وحديثا لهذه الصعوبات فقاموا بشرحه وتفسيره وتعديل عناوينه على غرار صنيع الرماني في شرحه للكتاب، ومن المحدثين من بيّن الأسس التي رتب الكتاب على أساسها على غرار علي النجدي ناصف[4].

---

[1] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص70.

[2] - ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص89.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص90-91.

[4] - لمزيد من الاطلاع ينظر: المرجع نفسه، ص93وما بعدها.

المحاضرة الثالثة:(تطور اللسانيات العربية).

تمهيـــــد:

تكملة لتصنيف علي الطنطاوي الذي تحدث عن الأطوار التي مرّ بها الدرس النحوي واللغوي العربي، حيث تحدث عن طورين، طور الوضع والتكوين وطور النشوء والنمو، واعتبرناهما يدخلان في مرحلة نشأة البحث اللغوي عند العرب، كما تكلّم عن طورين آخرين يمكن اعتبارهما يمثلان مرحلة تطور البحث اللغوي عند العرب وبداية استقلال المستويات اللغوية بعضها عن بعض في البحث والدراسة، وهذان الطوران هما:

*-طور النضج والكمال (بصري كوفي):

يمتد هذا الطور من أبي عثمان المازني (ت247هـ)[1]، إمام الطبقة السادسة البصرية، ويعقوب بن السكيت إمام الطبقة الرابعة الكوفية، إلى آخر عصر المبرد (ت286هـ) [2]،شيخ الطبقة السابعة البصرية، وثعلب (ت291هـ)[3]شيخ الطبقة الخامسة الكوفية.

لقد وجد أصحاب هذا الطور الطريق سالكة ممهدة، فنزلوا إلى الميادين تسوقهم العصبيّة، وكثيرا ما جمعت بغداد الفريقين من حين إلى آخر، فكانت المناظرات حامية الوطيس بينهما، لكن بتعاقب الأيّام، وانقراض المتنافسين جمعتهما بغداد.[4]، شرح هؤلاء مجمل كلام من سبقهم، وأكملوا ما فاتهم، واختصروا ما ينبغي له الاختصار، وأكملوا وضع المصطلحات.

في هذا الطور بدأ الفصل الحقيقيّ للصرف عن النحو، وأول من سلك هذا الطّريق المازني، حيث ألّف كتاب التّصريف في الصرف وحده، ومن هذا الحين تشعّبت مسالك التأليف في العلوم اللغوية العربية، وقد رعى العهد القديم المبرّد في كتابه "الكامل"، الذي جمع فيه الأخبار، والتحقيقات، والنحو والممتع من الصّرف، والأدب الطّريف، لكن هذا المنهج قليل، حيث بدأت تستقل العلوم، كما ذكرنا [5].

ازدهرت الدراسات في هذا الطور بالمدن الثلاث، البصرة، والكوفة وبغداد، فتمت الأصول وانتهى الاجتهاد فيه على يد المبرّد، وثعلب، وكانت نهاية هذا الطور في أواخر القرن الثّالث للهجرة.[6]

*-طور الترجيح (بغدادي):

المدرسة البغدادية أو المذهب البغدادي، هو عبارة عن مزيج بين المذهبين الكبيرين، مع إضافة بعض القواعد الجديدة التي استنبطها رواد هذا المذهب، الذي كان التأثير الغالب عليه في البداية كوفيا، لكن سرعان ما بدأ الأمر يميل نحو البصري، الذي وجدوه أكثر إقناعا [7]، حيث يقول ابن الشجري: «وللنحاة الكوفيين في أكثر كلامهم تهاويل فارغة من الحقيقة»[8] هذا الحكم يعطينا دليلا قاطعا عن عزوف المتأخرين عن المذهب الكوفي، مما جعل المتأخرين منهم يعتمدون على المذهب البصري أساسا .

ظل المذهب البغدادي مدة مديدة، حيث كانت بغداد بلد الخلافة ومقصد العلماء من كل بلاد الإسلام، إلى أن ضعفت الخلافة فيها، فنفر منها أهل العلم من العرب والفرس، فأخذوا يتفرقون في البلاد شرقا وغربا، فتنقل هذا العلم في المدائن الإسلامية، وتدرج الانتقال من بغداد شرقا، إلى خراسان فما وراء النهر، وغربا إلى الشام ومصر فالمغرب، والأندلس، فاشتغل علماء هذه الأقطار، كل في قطره، مما جعل المذهب البغدادي يتلاشى رويدا رويدا وينقرض عهده.[9]ومن أهم نحاة بغداد نذكر على سبيل

---

[1] - للاطلاع على ترجمة، ينظر: أخبار النحويين البصريين، ص113-121، و أيضا، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص87-93، و أيضا، ينظر: المدارس النحوية، ص115-122.

[2] - للاطلاع على ترجمة، ينظر:أخبار النحويين البصريين، ص136، و أيضا، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص101-110، و أيضا، ينظر: المدارس النحوية، ص123-134.

[3] - للاطلاع على ترجمة، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص 141-150، و أيضا، ينظر: المدارس النحوية، ص224-240.

[4] - ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص46-47.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص47-48

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص48-49.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص185-186.

[8] - المرجع نفسه، ص186.

[9] ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص189-190.

المثال: أبو إسحاق الزجاج، أبو البركات الأنباري، أبو البقاء العكبري، الرماني، أبو الطيب اللغوي، الزجاجي، ابن السراج، السيرافي، الفارسي...

أولا: مظاهر تطور البحث اللغوي العربي القديم:

إذا كان اللغويون العرب المعاصرون قد اتجهوا في دراستهم للتراث اللغوي العربي اتجاها نقديا على نحو بارز بالحديث عن المعيارية والمنطق والفلسفة التي تميز بها في نظرهم، فإن نظرة المستشرقين والمنظرين اللغويين الغربيين كانت مغايرة فقد أثبتوا أوجه تفوق كبيرة جدا له أكثر من انتقاده، فهم يرون بأنه صيغ بشكل سريع غير عادي في كل حقول الدرس اللغوي : الأصوات والنحو والصرف والدلالة وفلسفة اللغة، ولقد تطور الدرس اللغوي عند العرب في ستة قرون في اتجاه أكثر انسجاما مع الدراسات اللغوية الغربية فيما بعد النهضة.[1] فجدير أن تستوفي أي دراسة لهذا التراث الزاخر ثلاثة شروط[2]:

- أن تكون"نظريات التراث اللغوي صوتيّا أو صرفيّا أو نحويّا...إلخ" هي العنوان العام الذي يقدم التراث النحوي من خلاله، وذلك لإعادة تقديم التراث اللغوي العربي في صورة نظريات لغوية مثلما سبق تقديمه في صورة اتجاهات ومدارس لغوية.
- أن تستوفي النظريات اللغوية المختلفة لكل علم من العلوم العربية على نحو جامع.
- أن تقدم هذه النظريات في إطار عام يبين علاقتها بعضها ببعض.

وعلى العموم فقد كانت للغويين العرب القدماء تحليلات رائدة مست اللغة العربية في كل مستوياتها دون استثناء لا تقل شأنا عمّا ظهر عند نظرائهم اللسانيين الغربيين المحدثين، يمكن توضيحها باختصار على النحو الآتي:

1- المستوى الصوتي:

يعد علماء اللغة المحدثون دراسة الأصوات اللغوية أول خطوة في أي دراسة لغوية، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة، ونعني بها الأصوات التي تعد هي المادة الخام للكلام الإنساني، أما اللغويون العرب القدماء فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرة، ولم يعالجوا الأصوات علاجا مستقلا[3]، وقد ذكرنا أن كتاب سيبويه وهو في النحو يشمل الصرف الذي لا يكاد ينفك عن النحو، والصوت يظهر في باب الإدغام بشكل جلي، لكن بمرور الزمن بدأت تلك الدراسات تتخصص في مستوى معين من مستويات اللغة العربية.

لقد كان للباحثين العرب القدماء بحوث جليلة في الجانب الصوتي للغة العربية شهد المحدثون بدقتها وعمق تحليلها ووصفها مقارنة بالعصر الذي عاشوا فيه، وقد هدفوا من خلالها خدمة اللغة والعربية والذكر الحكيم(ترتيل القرآن)، ولقرب هؤلاء من عصور النهضة واحتكاكهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحس ودقيقي الملاحظة والوصف فوصفوا أصوات اللغة العربية وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم، غير أن المتأخرين منهم اكتفوا بترديد ما أنجزة المتقدمون دون فهم له أو نظر فيه، وبحسب إبراهيم أنيس أن هذه الأصوات أصابها تطور لم يلحظه هؤلاء ولم يفطنوا له، ووقفوا بهذا حيث وقف القدماء فلم يكملوا طريق تلك الأبحاث القديمة، بل رووها مبتورة حينا وممسوخة حينا آخر[4].

فقبل ابن جني تطرق الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170) في معجمه العين للأصوات العربية وعلى أساسها جاء ترتيبه، وظهرت آراؤه بشكل أوضح في كتاب سيبويه فيما بعد، ونلاحظ ذلك أيضا في الجمهرة لابن دريد(ت321 ه) ، والبارع في اللغة لإسماعيل القالي(ت352ه)، والتهذيب للأزهري(ت370ه)، والمحيط للصاحب بن عباد(385ه)، أما ابن دريد فقد أهمل ترتيب الحروف على المخارج الذي ابتكره الخليل وتمسك بالترتيب الألفبائي، أما القالي فقد أغفل ما فعله ابن دريد وعاد إلى طريقة الخليل في الترتيب، وإن خالفه في مخارج الحروف، حيث ترك ترتيب الخليل إلى ترتيب سيبويه مع شيء يسير من الخلاف وعلى مدرسة الخليل جاء التهذيب والمحيط[5]، كما نشير في هذا الصدد إلى دور علماء التجويد والقراءات في بلورة هذا النوع من الدراسة، وقد كان ابن مسعودﷺ ينصح المسلمين ويقول:"جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات"، وقد روى البخاريﷺ أنّ

---

[1] - النظرية اللغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دط، دت، ص46.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص50.

[3] - البحث اللغوي عند العرب، ص93.

[4] - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 2017م، ص7-8.

[5] - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، 1980، ص51.وللاطلاع أكثر ينظر: البحث اللغوي عند العرب ص93 وما بعدها.

النبي ﷺ كان يجهش بالبكاء حينما يسمع القرآن الكريم بترتيل ابن مسعودﷺ، فكان القراء يتناولون مخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها كما فعل ابن الجزري في كتابه "النشر" الذي خصص سبع صفحات فيه لهذا المبحث وحده، وترددت في كتب التجويد مصطلحات صوتية مثل: الإشمام والإشباع والاختلاس والمد والتفخيم، والترقيق ونحوها[1].

أما ترتيب الحروف في كتاب العين للخليل فجاء كما يلي :" ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، ء". أما عند سيبويه في الكتاب فكان ترتيبها كما يلي:" ء، ا، ه، ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج، ش ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و"، أما عند ابن جني في سر صناعة الإعراب فكان أقرب إلى ترتيب سيبويه حيث رتبها كما يلي:"ء، ا، ه، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ي، ض، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م و"[2].

تتبلور نظرية الفونيم(الأصول والفروع) عند الخليل وتلميذه سيبويه عند التمييز بين نوعين من الحروف(الأصوات)[3]:

أ- الأصول:

وهي حروف(أصوات) العربية المعروفة، وهي تسعة وعشرون حرفا(صوتا)، وهي:"الهمزة، الألف، الهاء، العين الحاء، الغين الخاء، الكاف، القاف، الضاد، الجيم، الشين، الياء، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد الزاي، السين، الظاء الذال الثاء، الفاء، الباء، الميم، الواو، كما ذكرها سيبويه.

ب- الفروع:

وأصلها من الأصوات الأصول السابقة وعددها ثلاثة عشر صوتا بعضها يستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي: النون الخفيفة، الهمزة التي بين بين والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي وألف التفخيم بلغة أهل الحجاز في قولهم : الصلاة الزكاة والحياة، وبعضها لا يستحسن لا في القرآن ولا في الشعر وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم.

وبذلك يكون عدد الحروف في الكتاب اثنين وأربعين حرفا(صوتا) منها:(29من الأصول)و(13من الفروع)، وقد أشار سيبويه إلى أن هذه الفروع جيدها ورديئها أصلها من التسعة والعشرين الأصول، وهي تظهر مشافهة لا خطا(كتابة).

***- مخارج الأصوات العربية وصفاتها:**

فعلى سبيل المثال حدد الخليل وسيبويه ستة عشر مخرجًا، ومثلها صفات"والصّفة الأولى تخصّ حيّز الحرف والثّانية هي فصل للتّمييز بين الحروف داخل المخرج، فمن الحلقي واللّهوي والشّجري والنّطعي واللّثوي والشّفوي....، ثمّ المجهور والمهموس والشّديد والرّخو والمستعلي والمستفل والمطبق والمنفتح وغير ذلك[4].

هذا ويعتبر ابن جني(ت392ه) أول من أفرد الأصوات ببحث خاص وكتب في ذلك مؤلفه المعروف"سر صناعة الإعراب" حيث نظر إلى الأصوات كعلم خاص، مطلقا عليه مصطلح علم الأصوات، أو نظرية الفونيم بالمصطلح الجديد، وقد ذكر بأنه أول من أفرد هذا العلم ببحث خاص، حيث يقول:"وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع"، وعلى العموم فقد تناول ابن جني المواضيع التالية[5]:

-عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.

- بيان الصفات العامة للأصوات وتقسيمها باعتبارات مختلفة.

- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام، أو النقل أو الحذف.

- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج، يقول ابن جني:«وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها، ومطبقها

---

[1] - البحث اللغوي عند العرب، ص95-96.

[2] - سر صناعة الإعراب، ابن جني، دراسة وتحقيق، حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ص45.

[3] - ينظر: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، قاسم البرسيم، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2018م، ص15-17.

[4] - ينظر: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص214.

[5] - البحث اللغوي عند العرب، ص100-101.

ومنفتحها، وساكنها ومتحركها...وأذكر فرق ما بين الحرف والحركة، وأذكر الحروف التي هي فروع مستحسنة والحروف التي هي فروع مستقبحة، والحركات التي هي متولدة عن الحركات كتولد الحروف عن الحروف»[1].

لقد ذكر ابن جني أن لعلم الأصوات علاقة بالموسيقى، ومخارج الحروف مماثلة للثقوب في الآلات الموسيقية، وقد أحصى ستة عشر مخرجا مرتبة من آخر مخرج أقصى الحلق إلى أدنى مخرج(الأنف)، وترتيب الأصوات كالتالي[2]:

1-في أقصى الحلق ومن أسفله: ء، ا، هـ.
2- في وسط الحلق: ع، ح.
3- من أدنى الحلق(ما فوق ذلك من أول الفم): غ، خ.
4- من أقصى اللسان إلى الوراء: ق
5- من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدمة الفم: ك
6- من أوسط اللسان بينة وبين وسط الحنك الأعلى: ج، ش، ي.
7- من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: ض .
8- من حافة اللسان فويق الضاحك والناب الرباعية والثنية: ل.
9- من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا: ن.
10-من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا: ر.
11- مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا: ط، د، ت.
12- مما بين الثنايا وطرف اللسان: ص، ز، س.
13- مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: ظ، ذ، ث.
14- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا: ف.
15-مما بين الشفتين: ب، م، و.
16- من الخياشيم: مخرج النون الخفيفة.

غير أن ما يلاحظ اليوم عند اللغويين المعاصرين أن مكان الضاد عند ابن جني يأتي بعد الياء، بينما اليوم فيأتي مع الطاء والدال والتاء، كما يلاحظ أن الصاد والزاي والسين تالية للطاء والدال والتاء، ولكنها اليوم تأتي سابقة[3].

كما تناول الفيلسوف ابن سينا مجال الأصوات في كتاب بعنوان:"أسباب حدوث الأصوات"، وفي كتابه "الشفاء" في فصل السمع، حيث تناول سبب حدوث الأصوات، وقد انتهى إلى أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي:

- وجود جسم في حالة تذبذب، واشترط لذلك وجود قرع، كأن تقرع صخرة أو خشبة فيحدث الصوت، أو قلع، كأن تقلع جزءا من خشبة أحد شقيها عن الآخر طولا.
- وجود وسط ناقل لهذه الذبذبات، حيث يقول:"أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء ودفعه بسرعة وقوة من أي سبب كان" وتحدث عن الوسط المائي والهواء.
- وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات، حيث يقول:"فإذا انتهى التموج من الهواء أو الماء إلى الصماخ، وهناك تجويف فيه هواء راكد يتموج بتموج ما ينتهي إليه، ووراءه كالجدار مفروش عليه العصب الحاس للصوت-أحس بالصوت...ثم ذلك الموج يتأدى إلى الهواء الراكد في الصماخ فيموجه فيحس به العصبة المفروشة في السطحه"[4].

وهذه الأمور تكلم عنها العلماء المحدثون عند حديثهم عن الطابع الفيزيائي للصوت، كما تناول ابن سينا مخرج الصوت الإنساني وصفاته، وما يلفت النظر في ترتيب ابن سينا للأصوات مثلا[5]:

- تفريقه بين السواكن والعلل، حيث أطلق على الأولى صوامت والثانية مصوتات.
- تفريقه بين نوعين من الواو والياء، فنوع أدرجه في الصوامت ونوع أدرجه في المصوتات.
- تفريقه بين الحركة الطويلة والقصيرة.(الصغرى والكبرى).
- اتباعه الطريقة العربية التي ذكرناها في ترتيب الأصوات من الداخل إلى الخارج من الهمزة إلى الياء الصغرى والكبرى.

2- المستوى النحوي (المستوى التركيبي):

تناولنا نشأة النحو منذ بدايته التي كانت تسند لأبي الأسود الدؤلي في الغالب فمنه بدأ هذا الطريق الطويل الذي كان بسيطا ككل كل علم، وصولا إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي فهو الذي هذب القواعد وصنف الأبواب وتلميذه سيبويه الذي وضع الفروع والأدلة والشواهد وهي مرحلة اكتمل فيها بنيان علم النحو وهي مرحلة مبكرة قياسا بزمن النشأة وبغيره من العلوم حتي قيل بأن ما قام به الخليل وسيبويه سابق لأوانه، هذا دون نسيان جهود نخبة من النحاة كعيسى بن عمر الثقفي، ويونس بن

[1] - سر صناعة الإعراب، ابن جني، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993م، ص4.
[2] - المصدر نفسة، ص 46-48، وينظر:اللسانيات وتعليم اللغة، محمود أحمد السيد، دار المعرفة للطباعة والنشر، سوسة تونس، دط، 1998م، ص20-21.
[3] - ينظر: اللسانيات وتعليم اللغة ، ص21.
[4] - البحث اللغوي عند العرب، ص103-104.
[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص108-109. وللاطلاع أكثر على تحليل ابن سينا للأصوات ينظر: المرجع نفسه، ص101 وما بعدها.

حبيب الضبي، وأبي الخطاب عبد الحميد المعروف بالأخفش الكبير...إلخ، فكل هؤلاء أسهم إسهاما ملحوظا، فعيسى بن عمر جمع وأكمل في مؤلفيه، ويونس نظم دروسه في حلقته المشهورة، والأخفش الكبير نبه سيبويه على مسائل نحوية دقيقة[1] .

ولا نعرف هل كان من حسن حظ النحو العربي أم من سوء حظه أن جاء سيبويه في وقت مبكر جدا لا يتجاوز النصف الثاني من القرن الهجري، إذ نتج عن تفوقه شدة إعجاب النحاة به أن أصيب التفكير النحوي بشلل، ودار الجميع حول فلك سيبويه، واتخذوه أساسا لدراستهم، وتحولت الكثير من الدراسات النحوية إلى مجرد شروح له أو اختصارات أو تعليقات عليه أو جمع شواهد وشرحها[2] فكان الجميع يسبح حول ما قدمه سيبويه في كتابه دون اجتهاد بل ربما سوء فهم وشرح له.

إن سيبويه يعد إمام النحو بلا منازع، وقد جمع في كتابه مباحث نحوية وصرفية، وجعل لكل منهما مكانا لا يكاد يشترك مع الآخر، فبدأ بالنحو وثنى بالصرف صنيع من يراهما علمين مستقلين، فالجزء الأول من الكتاب مثلا نجده خاصا بالنحو، حيث تناول فيه الكلمة والنكرة والمعرفة، والأفعال اللازمة والمتعدية، وأسماء الأفعال إلى جانب الفاعل والمبتدأ والخبر، وأيضا المنصوبات ، وإن وأخواتها والنداء وغيرها، أما الجزء الثاني فكان خاصا بالصرف إذا ما استثنينا باب الممنوع من الصرف الذي افتتح به هذا الجزء، كموضوعات النسب، والتصغير ونونا التوكيد وجمع التكسير وأوزان المصادر وصيغ الأفعال، ومعاني الزوائد، واسم الآلة، وأسماء الأماكن وفعل التعجب، والإمالة والوقف والإعلال والإبدال[3].

وإذا كان النحو بالمفهوم الحديث هو التركيب(المستوى التركيبي)، فإن أول ما يسترعي انتباه الباحث في أشهر مصنفات النحو التراثية ككتاب سيبويه أو شرح المفصل لابن يعيش، أننا لا نجد فيهما فصولا وأبوابا خاصة بدراسة الجملة من حيث أنواعها وأنواع عناصرها ومختلف وظائفها، ولا يعني هذا أنها خالية من كل إشارة إلى الجملة، ولعل حديث سيبويه في باب المسند والمسند إليه وذكره للجملتين الاسمية والفعلية وتبيين المسند والمسند إليه فيهما، لكن دون تفصيل في أنواع الجملة أو تقسيم واضح المعالم كما حدث في زمن لاحق، ومعنى ذلك أن دراسة الجملة كانت رهينة بدراسة المفردات لا يكترث لها إلا إذا أمكن لها أن تعوض المفرد، فنجد حديثا عنها في بعض الأبواب كباب الحال، والنعت، والخبر، والشرط وجوابه...إلخ[4].

لقد ظلت العناية بالجملة محدودة طيلة قرون، ويمكن أن نعتبر إبن هشام هو أول من أدرك فائدة تخصيص باب للنظر في الجملة باعتبارها قاعدة الكلام ووحدته الأساسية، وقد أفرد لها بابا في كل من كتابيه"مغني اللبيب"و"شرح مقدمة الإعراب"، ومن طريف ما يلاحظ أنه استهل كتابه الثاني بدراسة الجملة ولعل في ذلك ما يدل على شعوره بأهميتها وإدراكه أن الدراسة النحوية ينبغي أن تنطلق منها إذا أريد من تلك الدراسة احترام الواقع والاحتفاظ بطابعه، إلا أن ابن هشام لم يتجاوز في حديثه عن الجملة جمع ما كان متفرقا في أمهات الكتب النحوية، ولئن كان ذلك لا يخلو من فائدة فإنه لا يضيف شيئا إلى ما حصل بعد ولا يعتبر تلافيا لما أهملته الدراسات السابقة.[5].

إن أول ملاحظة كفيلة بالاهتمام هي المصطلحات التي أطلقها القدماء على الجملة، الذي لم يستعملة سيبويه الذي استعمل مصطلح المسند والمسند إليه، إذ يقول:"هذا باب المسند والمسند إليه وهو ما لا يَغْنَى واحد منها عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلابد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء[6]"، بينما نجد عند الزمخشري وابن يعيش وابن جني ترديدا لمصطلحين متداخلين لا يميزون بينهما، هما: الكلام والجملة، فيقول ابن يعيش مثلا:"والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى كقولك: زيد أخوك وبشر صاحبك أو في فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد وانطلق بكر ويسمى الجملة[7]"، وقال أيضا:"...أن الكلام عبارة عن الجمل المفيدة وهو جنس لها فكل واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له يصدق إطلاقه عليها...[8]"، غير أننا نلاحظ في كلام ابن يعيش محاولة للتمييز بين الكلام والجملة على اعتبار أن الكلام أعم من الجملة، ولعل هذا

---

[1] - تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص67.

[2] - البحث اللغوي عند العرب، ص124.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، 123-124.

[4] - ينظر: نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ص32.

[5] - المرجع نفسه، ص32-33.

[6] - الكتب، ج1، ص23.

[7] - شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، دت، دط، ج1، ص18.

[8] - المصدر نفسه، ج1، ص21.

الفرق هو أساس التمييز الذي يشير إليه ابن هشام ، الذي يفصل بين الكلام الذي احتوى معنى مستقلا لا يحتاج إلى تركيب أو كلمات تتمم معناه وبين الجملة التي تم تركيبها بفضل تضمنها للمسند والمسند إليه ولكنها لا تكوّن معنى مستقلا ، فلا بد أن ترد في تركيب ترتبط به ارتباطا جوهريا، وهو ما عبر عنه في قوله تحت عنوان: شرح الجملة وبيان أن الكلام أخص منها لا مرادف لها:"الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد والمبتدأ وخبره، كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما...وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا فليس كلاما...[1]".

وعلى العموم فإن النحاة القدامى قد درسوا الجملة واهتدوا إلى نواح هامة فيها، وسجلوا ملاحظات وتعليقات لا زالت محتفظة بقيمتها، وقد قدموا إلى الدارسين مادة لا يمكن إغفالها أو الاستهانة بها، غير أنها بطبيعة الحال ككل عمل بشري تحتاج إلى تأليف وتوضيح وتحديد وتنظيم يجلي الغموض الذي انتابها والاضطراب الذي أصابها في بعض الأحيان، ومرد ذلك أن الجملة خاضعة للقياس على المفرد وهو أمر يحول دون دراسة الجملة التي لها خصوصيات لا يشاركها المفرد فيها وإن جمعتها خصائص أخرى فما الجملة إلا مفردات ركبت بطريقة مخصوصة.

3-المستوى الصرفي:

إذا كان الدرس النحوي يقوم بدراسة العلاقات النحوية التي تكون بين الكلمات التي تشكّل تركيبا نحويا صحيحا، فإن الدرس الصرفي يقوم بدراسة العلاقات الصرفية بين الكلمات التي أخذ بعضها من بعض، فالمستوى الصرفي يعد مستوى لغويا مقابلا للمستويات اللغوية الأخرى.[2] فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابته والنحو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكرُ، ورأيت بكرًا، ومررت ببكرٍ، فإنك خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل ولم تعرض لباقي الكلمة وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة[3].

استعمل النحاة العرب القدماء مصطلحين متشابهين في هذا المستوى، هما:"التصريف" و"الصرف"، وعند البحث عن نشأة المصطلحين، نجد أن مصطلح"تصريف" أبعد تاريخيا من مصطلح"صرف"، وأول الكتب استخدمت المصطلح الأول، فقد استخدمه أبو عثمان المازني(ت249هـ-863م) في كتابه"التصريف"، وقد ذكر السيوطي أن عليا بن مبارك الأحمر(ت194هـ-809م) ألف كتابا قبل كتاب المازني سمّاه:"التصريف"[4]، وفي القرن الخامس هجري بدأت مرحلة الانشطار، ففي هذه المرحلة برز مصطلح"صرف" موازيا لمصطلح تصريف، كعنوان لكتاب، وأول كتاب تحت اسم"الصرف، كان "المفتاح في الصرف": لعبد القاهر الجرجاني(ت471هـ-1079م)، وبعده كتاب:"نزهة الطرف في علم الصرف" لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني(ت518هـ-1124م)صاحب كتاب الأمثال[5]، كما اشتهر عند الباحثين أن واضع علم التصريف أو الصرف هو أبو مسلم معاذ الهرّاء أحد أعمدة نحاة الكوفة ومتقدّميهم[6]، وقد ذكرنا بأن نحاة الكوفة كانت لهم جهود خاصة بالصرف، كالتصغير للرؤاسي والمصادر للكسائي وفعل وأفعل للفراء.

لقد بدأ اهتمام النحويين العرب بهذا العلم حدّا وموضوعا في أوائل القرن الرابع الهجري، فقد عرّف ابن السرّاج(ت316هـ-928م) التصريف في كتابه"الأصول في النحو"، بقوله:"هذا الحد إنما سمي تصريفا لتصريف الكلمة بأبنية مختلفة، وخصّوا به ما عرض في أصول الكلام وذواتها من التغيير، وهو ينقسم خمسة أقسام، زيادة، وإبدال وحذف، وتغيير بالحركة والسكون، وإدغام، وله حدّ يعرّف به"[7].

---

[1] - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب،مطابع السياسة، الكويت، ط1، 2000م، ج5، ص7-8.

[2] - ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي ، ص90-91.

[3] - الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، رمضان عبد الله، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2006م، ص6.

[4] - ينظر: الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية الحديثة، محمد شندول، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2015م، ص9-10.

[5] - المرجع نفسه، ص13.

[6] - ينظر: دروس التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا بيروت، دط، 1995م، ص8.

[7] - الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين القثلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996م، ج3، ص231.

إن التصريف في عرف علماء اللغة القدماء بحث في أبنية المفردات وصوغ الأفعال والأسماء والصفات عليها سواء في حال التجريد أم الزيادة، وما يتعلّق بالقوانين العامة التي تفسّر مظاهر التغيّر الصوتي كالإبدال والإدغام، وما يساعد على تبيين أنواع التغييرات من التمارين والتدريبات العملية، على أن هذا العلم بقيت عناصره غير متمايزة إذ كان جمعا بين قضايا الاشتقاق والأصوات والزيادات النحوية التي تلحق بالمفردات[1]. وعلى العموم فإن علم الصرف في العربية متعدد الجوانب والأبعاد، ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من التغييرات الطارئة على الصيغ[2]:

أ- تغيير صرفي بحت يتمثل في الاشتقاق(تصرف الأفعال واشتقاق الأسماء).

ب- تغيير صرفي/صوتي،يتمثل بتأثير التغير الصوتي في بنية الصيغة صرفيا(يشدّ، بقُوا...).

ج- تغيير صوتي بحت، ويتعلق بتعامل الأصوات(ازدهر، اتصل)

والصنف الأول يتعلق بتغيير المعنى باختلاف الصيغ، أما الصنفان الآخران فأثرهما بنائي(لفظي) لا معنوي، والجانبان حظيا بنفس الاهتمام في كتب الصرف، بينما أهمل الجانب اللفظي البنائي في الكتب المدرسية وهو لا يقل أهمية عن الأول المعنوي، لأنه يدل على متانة الصلة بين نظام اللغة الصرفي ونظامها الصوتي.

لقد أدى اتساع هذا العلم فيما ذهب إليه ابن عصفور الإشبيلي(ت669هـ-1271م) في كتابه "الممتع في التصريف" إلى تشعب مسائل هذا العلم وتداخلها وإلى العزوف عن وضع تأليف فيه يكون مرتبا وجامعا، فقد جاء في كتابه ما نصّه:"وبعد، فإني لمّا رأيت النحويين قد هابوا لغموضه علم التصريف فتركوا التأليف فيه والتصنيف إلا القليل منهم فإنهم قد وضعوا فيه ما لا يُبْرِدُ غليلا ولا يُحَصِّلُ لطالبه مأمولا لاختلال ترتيبه وتداخل تبويبه، وضعت في ذلك كتابا رفعت فيه من علم التصريف شرائعه، وملّكته عاصيه وطائعه وذللته للفهم بحسن الترتيب، وكثرة التهذيب لألفاظه والتقريب، حتى صار معناه إلى القلب أسرع من لفظه إلى السمع....سمّيته بالممتع ليكون اسمه وفق معناه ومترجما عن فحواه..."[3]، غير أن هذا الجهد ورغم أهميته لم يغير في الأمر كثيرا، حيث بقي هذا الميدان على اتساعه وعلى ما عليه من التداخل والتعقيد، فلم تفصل مسائله بعضها عن بعض، ولم تجعل فروعا مستقلة بنفسها، فجمعت قضايا الاشتقاق والأصوات وأحوال الأبنية.

4- المستوى المعجمي الدلالي:

المعجم كما عرفه اللغويون هو كتاب يضم مفردات اللغة ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب كالهجائي مثلا، وقد ورد تعريفه في المعجم الوسيط:"ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم"، ولقد سبق علماء الحديث اللغويين في استعمال هذا المصطلح، الذي أطلقوه على الكتاب المرتب ترتيبا هجائيا ويجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث، ويقال أن البخاري(ت256هـ) كان أولهم في إطلاق لفظة معجم على أحد كتبه المرتبة على حروف المعجم، ووضع أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى(ت307هـ)"معجم الصحابة"، ووضع البغوي(ت317هـ)"معجم الحديث"، بينما استعمال اللغويين لهذا المصطلح كان مؤخرا، فكانوا يقولون، هذا كتاب "العين"، وهذا"الجمهرة"، وذاك" الصحاح"، وقد أطلق عليها لفظ معاجم في زمن متأخر[4]. كما نشير في هذا الصدد إلى دخول مصطلح آخر شبيه له وهو"القاموس" ويطلق على كل معجم عربي أو أجنبي أو مختلط، والقاموس لغة هو أعمق مكان في البحر، وقد أطلقه الفيروزبادي في القرن الثامن على معجمه:"القاموس المحيط" أي أنه بحر واسع وعميق في اللغة ونال بذلك شهرة ممتدة [5].

ويجمع الدارسون بأن العرب تفننوا في وضع المعاجم بشكل لا نظير له بين الأمم، معتمدين في ذلك جانبي الكلمة(اللفظ والمعنى)، فظهرت "معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني".

1- معاجم الألفاظ:

وقسمت هذه المعاجم بطرق مختلفة[6]:

---

[1] - الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية الحديثة، ص10-11.

[2] - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، المطبعة العربية، تونس، ط3، 1992م، ص19-20.

[3] - الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، ص27-28.

[4] - ينظر: البحث اللغوي عند العرب، ص173،162.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص173.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص 178-225.

أ-الترتيب الصوتي المخرجي(مخارج الأصوات)، ويمثل هذا النوع أول المعاجم العربية وهو"معجم العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي"، حيث بدأ بآخر مخرج، صوت العين الذي أطلقه على مؤلفه وصولا إلى أدني المخارج، وقد جمع ألفاظة بطريقة رياضية حسابية عجيبة سبق الحديث عنها تبين ذكاء الرجل وفطنته واتساع تفكيره، حيث استنفد كل احتمالات الكلام العربي، مذكرا بالمستعمل منه والمهمل، ولو أن بعض العلماء يشككون في نسبته إلى الخليل وأبرز حججهم أنه يختلف في الترتيب الصوتي ومخارج الحروف مع ما ورد في كتاب سيبويه، ولو كان العين للخليل لتطابق مع ما ورد في الكتاب لأن سيبويه حامل علم الخليل.

كما استعمل الأزهري هذا النوع من الترتيب في معجمه"تهذيب اللغة"، حيث تأثر فيه بمعجم العين تأثرا بالغا، وصل به إلى نقل مقدمة العين إلى مقدمته نقلا يكاد يكون حرفيا، أما من ناحية الحجم فهو أكبر من العين، اهتم فيه صاحبه بأسماء البلدان والأماكن، مستعملا شواهد من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف إضافة إلى الشعر بطبيعة الحال، كما نجد هذا النوع من الترتيب عند القالي الأندلسي في معجمه "البارع"، وكذلك" مختصر العين للزبيدي"، ويظهر ذلك من اسمه، وكذلك"المحيط"للصاحب بن عباد، و:المحكم" لابن سيدة...

ب-الترتيب الألفبائي الذي يراعي التشابه الكتابي للأحرف، فيضع الثلاثيات متجاورة والثنائيات متجاورة وينتهي بالأحرف المفردة، ومن المعاجم الذي اعتمدت هذا النوع من الترتيب:

- على أساس أسبق حروف الكلمة: مثل الجمهرة" لابن دريد، حيث سار على الترتيب الألف بائي العادي.
- وضع الكلمة تحت أول حروفها الأصلية: فنجد معجم"الجيم" لابي عمرو الشيباني، وكذلك"المقاييس" لابن فارس، و"مجمل اللغة" لابن فارس، و"أساس البلاغة للزمخشري"،و"المصباح المنير" للفيومي.
- وضع الكلمة تحت أول حروفها دون تجريد: فنجد "المقصور والممدود" لابن ولاد المصري(ت332ه)، و"غريب القرآن"لابي بكر محمود بن عزيز السجستاني(ت330ه).
- وضع الكلمة تحت حرفها الأخير دون تجريد: وذلك مثل"التقفية في اللغة" لأبي بشر بن أبي اليمان البندنيجي.
- وضع الكلمة تحت حرفها الأخير الأصلي: ومن ذلك"تاج اللغة وصحاح العربية" المشهور بالصحاج" للجوهري، وكذلك المعجم الشهير"لسان العرب" لابن منظور...

كما نشير إلى تقسيم المعاجم حسب الأبنية كما هو الشأن في كتاب سيبويه، الذي يعد معجما للألفاظ العربية إضافة إلى كونه كتابا نحويا صرفيا،... بينما الترتيب الأبجدي، وهو أقدمها عند العرب وهو ذو أصل فينيقي، فلم يستعمله العر ب في معاجمهم.

2- معاجم المعاني:

إن فكرة معاجم المعاني التي ترتب ألفاظها بحسب الموضوعات كانت أسبق في الوجود أو موازية لمعاجم الألفاظ وإن كانت عبارة عن كتيبات صغيرة في البداية تتناول موضوعا واحدا، ومن أولها ما كتبه أبو مالك عمرو بن كركرة الذي ألف "خلق الإنسان"و"الخيل"، وأبو خيرة الأعرابي الذي ألف معجم"الحشرات"، وهما من القرن الثاني الهجري وقد توج هذا النوع ب"المخصص" لابن سيدة وهو أوفي وأشمل معاجم المعاني في اللغة العربية، وقد خصصه صاحبه لدراسة موضوعات تتعلق باللغة، كالنشأة والترادف والتضاد والاشتراك والمجاز...، ومعجم" كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ " لابن الأجدابي....[1]

والشكل التالي يوضح شكل المعاجم العربية:

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص288-294.

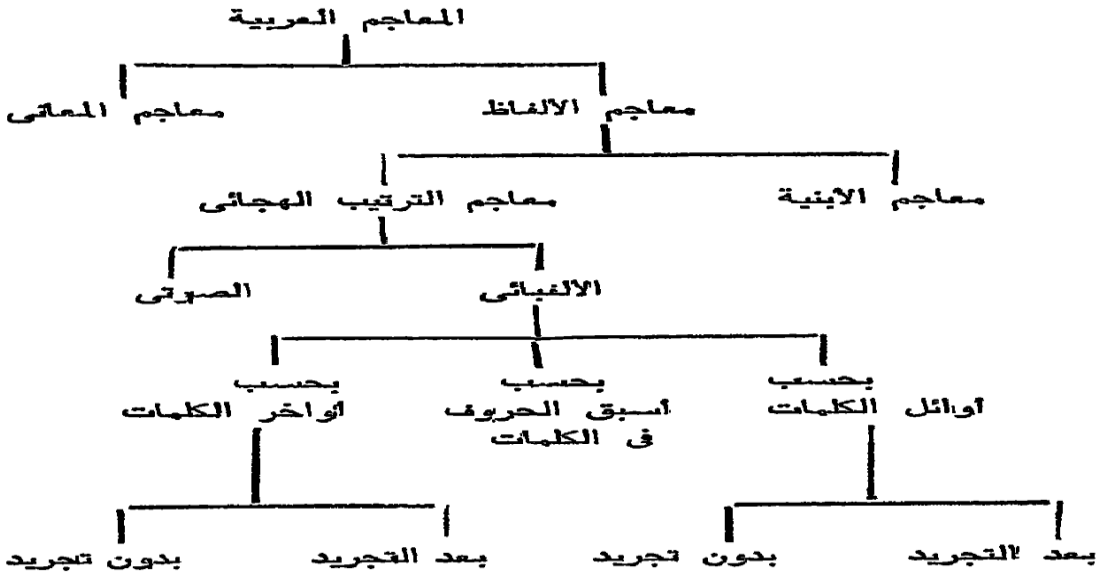

وعلى العموم فإن علماء المعاجم العرب قد رصدوا كلمات اللغة ومورفيماتها تسجيلا للجانب الدلالي للغة، وهو بذلك يتصل أول ما يتصل بالجانب الدلالي للغة، أي أن الظاهرة المعجمية دلالية بالدرجة الأولى، وهذا ما يفيده تصنيف علم الدلالة إلى علم دلالة معجمي وعلم دلالة تركيبي، كما يورثه هذا مشكلات الدلالة المختلفة، وأبرزها تجريدية ظاهرة الدلالة، وعدم اقتصار الظاهرة على مستوى لغوي معين، فالدلالة صوتية وصرفية ونحوية، مع غياب البناء الكلي العام للظاهرة[1].

[1] - ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي، ص249.

المحاضرة الرابعة:(الفكر اللساني في التراث)

تمهيـــــد:

كان الوازع الديني هو المحرك الأساس والدافع الأول للدرس اللساني العربي في بداياته، فكان هدف بحثهم الحفاظ على لغة الذكر الحكيم من اللحن الذي أصبح ظاهرة لا يمكن للعرب الوقوف أمامها مكتوفي الأيدي، وذلك بسبب انتشار الإسلام ودخول غير العرب في رحاب هذا الدين الجديد الذي اختاره الله لعباده المؤمنين، لقد اعتمد النحاة العرب الأولون في بحوثهم الخاصة باللغة العربية على وسائل تحليلية تعتمد بالضرورة على العقل.[1]

ومن الطبيعي القول أنه لم يؤثر عن العرب درس منهجي منظم في القرن الأول لظهور الإسلام، وأغلب ما وصل إلينا هي تأملات نحوية ونقاشات لغوية لم يكن همّها اللغة لذاتها بقدر ما كان غرضها الأساسي خدمة النص القرآني، ومن ذلك محاولة ابن عباسﷺ جمع الكلمات الغريبة في القرآن وشرحها، فضلا عن محاولة أبي الأسود الدؤلي في ضبط لغة المصحف.[2]

غير أنه وبداية من سنة95 للهجرة حدث أمر حاسم كان له دور بارز في تطور النحو العربي، وهو الشروع في السماع المنتظم والتدوين الواسع لكلام العرب، وبدأ أبو عمرو بن العلاء بهذا الفعل أوّلا الذي تجوّل بين القبائل العربية ثم التحق به جمع من الباحثين الشباب المتعطشين أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي ويونس بن حبيب الضبي والأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري وغيرهم، فتوسع مجال البحث إذ ذاك وتنوعت موضوعاته وتعددت مجالاته وتجاوزت النحو للتناول وحدات المعجم وكل العبارات الجامدة(وهو جزء كبير من المسموع)، وطال مجال البحث كل لغات العرب ولهجاتها التي قد يخرج بعضها عن القياس أو ما سموه "حد الكلام"،وهذا الذي سموه بعلم أو علوم اللغة، واخترع هؤلاء الفطاحل من النحاة نوعا من التحليل لم يسبقهم أحد إليه، وطوروا الوسائل العقلية الساذجة التي ورثوها عن من واضعي النحو الأوائل، فصار القياس البسيط أكثر تجريدا وعمقا.[3]

أولا: مجالات البحث اللساني عند العرب القدماء:

لقد نشطت الحركة اللغوية عند العرب في مجالات اللغة كافة خدمة للنص الديني، وانطلق كبار أئمة اللغة لجمع المادة اللغوية من البوادي يستمعون ما يتكلم به هؤلاء ويرصدون مخارجه ويصفون طريقة نطقه ويسجلونه ويدونونه في كتبهم، وإن كان بدء التأليف يسير على نحو عشوائي متداخل في غيره من فروع الدراسات اللغوية وغير اللغوية، على شكل مواد لغوية متداخلة الموضوعات والمسائل، وبمرور الزمن أخذ البحث اللغوي يتطور بالتدريج ليصل إلى أوج تقدمه المنهجي وتطوره بعد أن اتجه هؤلاء إلى تبويب المادة اللغوية وتصنيفها وتقسيمها، وكان من محصول ذلك وجود النحو العربي وقواعد اللسان والأساليب البيانية والصور البلاغية وأساليب فصاحة التراكيب والألفاظ وتنقية المفردات العربية مما دخلها من الأعجمي والغريب.[4]

ولم يقتصر البحث اللساني عند العرب القدماء على بحث قوانين اللغة بوصفها علما تقنيا يقدم القواعد"الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية" التي تعصم اللسان والقلم من الزلل والخطأ، ولم يقتصر البحث كذلك على وصف اللغة على نحو شبيه بمنهج بانيني، بل إنهم-فضلا عن ذلك-شاركوا في الجدال الفلسفي الدائر حول مسألة نشأة اللغة بين نظريتي التوقيف والاصطلاح كما ورد عند ابن فارس في الصاحبي وابن جني في الخصائص على نحو شبيه بموقف فلاسفة الإغريق واليونان.[5]

ومن هذه المنطلقات يمكن القول أن التفكير اللساني العربي أفرز نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية، لا من حيث هي تقنيات نحوية وصرفية وبلاغية ومعجمية وإنما من حيث هي تنظير للظاهرة اللسانية عموما، ارتكز على نسيجه تفكير العرب في لغتهم أولا وبالذات، ثم في الكلام باعتباره نظاما إبلاغيا مميزا للإنسان بشكل عام، وبحث في مثل هذا الموضوع تتجذر فيه بؤرة الحدث اللساني الذي يخرق أنسجة القواعد المختلفة في منظومة التراث العربي:لغة وأدبا ودينا وفلسفة وعلم اجتماع.[6]

---

[1] - منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2011م، ص7.

[2] - تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، هدى صلاح رشيد، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015م، ص22.

[3] - ينظر: منطق العرب في علوم اللسان، ص23.

[4] - ينظر: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، ص22-23.

[5] - المرجع نفسه، ص23.

[6] - ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986م، ص33-34.

1: التراث اللغوي:

ويتنوّع هذا التّراث اللّغوي إلى جملة من الأركان[1]:

أ- مصنّفات النّحـــو: بمفهومه الشّامل لقواعد التّركيب وبنية الكلمات وخصائص الحروف، كما حدّده سيبويه في كتابه المعروف، فالنّحو من هذا المنطلق مصطلح أوسع وأعم مما علق بالأذهان، فهو يدلّ على مستويات اللّغة المعروفة الّتي تعرّض لها النّحاة في سياق واحد، ولهذا السبب فلا نستغرب أن ترد في كتب النّحاة الأوائل آراء في التّركيب والصّوت والصّرف والمعجم والدّلالة، فعلم التّراكيب هو جزء من نحو العربيّة، الّذي يشمل كذلك الصّوت والصّرف والمعجم والدّلالة ، فالجانب النّحوي يشمل تركيب الكلمات وفق قواعد اللّغة، وهذه الكلمات في حقيقتها أصوات مرتّبة بطريقة مخصوصة، وما الحركات الإعرابية إلّا عبارة عن أصوات، والكلمات هي عبارة عن مبان صرفيّة(الميزان الصّرفي)، وكثير من المشتقّات تعمل عمل الفعل، وما حاصل التّركيب غير معان يحسن السّكوت عليهاوهذه المعاني مركّبة من معان معجميّة للكلمات(دلالات مرجعيّة أصلية)، ونتاج عمليّة التّركيب والسّياق والمقام من معان تخصّ المواقف التّواصلية المختلفة الّتي تتحكّم فيها ثقافة الطّرفين والبيئة والعرف...إلخ، وقد يُصيب المعاني المرجعيّة تغيّرات وانزياحات مختلفة بحسب تركيبها والسياق الذي ترد فيه.

وبذلك فالنّحو بهذا المفهوم الواسع يدرس كلّ المستويات كما فعلت اللّسانيات الحديثة وتغنّت به والنّحو بهذا المعنى أصل والجانب التّركيبي والصّوتي والصّرفي والمعجمي والدّلالي هي عبارة عن فروع عن هذا الأصل وهي-أي اللّسانيات- فاتته فقط بكونها فصلت بينها بشكل واضح، ولو أنّ النّحاة هم أيضًا أدركوا تلك المستويات، وفصلوا بينها فيما بعد، وما يرسّخ هذا المفهوم الواسع للنّحو أنّ اللّسانيات الغربيّة نفسها جنحت فيما بعد إلى هذا المفهوم، فكان مصطلح"النّحو التّوليدي التّحويلي"و"النّحو المعجمي الوظيفي"و"النّحو الوظيفي"...إلخ.

ولأهمية دور النحاة العرب في هذا الصدد أثنت الباحثة والناقدة الفرنسية المشهورة"جوليا كريستيفا" في مقال لها على دور النحاة واللغويين العرب في إثراء الحركة اللغوية وإسهامهم في بحوثها، مبدية استياءها وحسرتها وأسفها العميق على إغفال هذا الجهد الفذ وإهماله من قبل الباحثين في اللسانيات، وقد كتبت في هذا الموضوع فقرة لا يستهان بها، حول إسهام العرب القدامى في مجال الدراسات اللغوية تبين فيها قيمة هذه المساهمة، عنوانها:"La grammaire arabe(النحو العربي)، حيث تقول:«يتبوأ النحو العربي مكانة هامة في صلب مكتسبات التفكير حول اللغة في العصور الوسطى...يقول المثل العربي السائر: إن حكمة الرومان في ذهنهم، وحكمة الهنود في نزواتهم، وحكمة اليونان في روحهم، أما حكمة العرب ففي لسانهم...وتتميز النظرية اللسانية العربية بفكرها الثاقب حول أصوات اللغة لقد درج هذا الفكر على تقسيم الأصوات إلى شديدة ورخوة من جهة، وإلى صفيرية(وهي: ز، س، ص التي تشبه صوت صفير الطائر) وقلقلة(وهي: ق، ط، ب، ج، د، وتجمع في قولنا قطب جد) من جهة أخرى...، لما كان العرب علماء تشريح كبارا، مثل سيبويه، فقد كان لهم فضل السبق في وضع الأوصاف الدقيقة لجهاز النطق التي أضافوا لها الأوصاف الفيزيائية لحركة الهواء، وقد كان تحليلهم للنظام اللغوي من الدقة ما مكنهم بعد-وربما كانوا الرواد- من التمييز بين بين العنصر الصوتي(الحرف) والعنصر الكتابي(العلامة) للغة، كما أمكنهم تمييزهم للصوامت والصوائت من الاهتداء إلى حصر مفهومي المصوت والمقطع، هذا وقد عُدّت الصوامت جوهر اللغة، في حين عُدّت الصوائت عوارض...هذا وقد كان لسيبويه، تلميذ الخليل الفضل في بلوغ النحو العربي قيمته ويعدّ مصنّفه "الكتاب"أول تأليف(Systématisation) وتركيب له».[2]

ب- أصول النّحـــو: وهو ميدان يتجاوز التّفكير في أنظمة اللّغة إلى البحث عن مؤسّساتها المبدئية، فكان في التّراث النّحوي بمثابة البحث الإبستيمولوجي في علم اللغة، وقد كان روّاده واعين بدرجة التّنظير المجرّد الّذي عليه علمهم ويمكن اختصار أهمية وفائدة هذا العلم في أربع نقاط أساسية[3]:

- استنباط واستخراج قواعد النحو.
- إثبات صحة القواعد.

---

[1] - المرجع السابق، ص34.

[2] - من إسهامات العرب القدامى في مجال الدراسات اللسانية، عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، شبكة الألوكة:https://www.alukah.net/literature_language/0/95484، يوم:2022/10/23 على الساعة:21:30.

[3] - مطبوعة الدروس:مادة أصول النحو، فاطمة عويمر، كلية الآداب واللغات ، جامعة يحي فارس المدية، الجزائر، 2021/2020م، ص5-6.

- تعليل وتفسير الأحكام النحوية.

- الترجيح بين القواعد والمفاضلة بين الآراء النحوية.

فالأصول كما يراها أصحابها هي القواعد العامة أو الأسس المبدئية التي يتخذها النحوي طريقه في التفكير ،وهي كما يرى عبد السلام المسدي ميدان يتجاوز التفكير في أنظمة اللغة إلى البحث عن مؤسساتها المبدئية،وهذا ينطبق على مجموعة من الكتب كالخصائص لابن جني ولمع الأدلة في أصول النحو لابن الأنباري، والاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي، وارتقاء السيادة في أصول النحو ليحي الشاوي[1].

عرّف محمّد عيد أصول النحو بقوله:«يقصد بها الأسس التي بني عليها هذا النحو في مسائله وتطبيقاته، ووجّهت عقول النحاة في آرائهم وخلافهم وجدلهم، وكانت لمؤلفاتهم كالشرايين التي تمدّ الجسم بالدم والحيوية»[2]، وقد اعتمد النحاة العرب في تقعيد العربية ووصف بنيتها النحوية ثلاثة أصول شكلت مكونات منهجهم ، وهي السماع، و القياسوالتعليل ، و إذا كانت أي نظرية بشكل عام تقوم على بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة تكوّن مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير، فإنّ السماع في النظرية النحوية كوّن المادة المدروسة التي لا تشتمل على تجريد ، لأنها لا تتجاوز النقل و الاستقراء. **والسماع اصطلاحا:** وهو أول أصول الاستدلال النحوية والأساس الذي بنيت عليه جل قواعد النحو[3].

وقد عرفه ابن الأنباري، بقوله: « هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، فخرج عنه-إذا-ما جاء في كلام غير العرب من المولدين، وما شذ من كلامهم، كالجزم بلن، والنصب بلم...إلخ[4]»

وعرفه السيوطي تعريفا أكثر شمولا، حيث يقول:« وأعني به، أي (السماعما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن وكلام نبيه ﷺ، وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا عن مسلم أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لابد في كل منها من الثبوت [5])». وبالتالي فالسماع هو ما نقله العلماء من نصوص لغوية مرتبة كالتالي: القرآن الكريم بقراءاته المتواترة، ثم الحديث الشريف، ثم كلام العرب شعرا ونثرا[6]، ولكن في حقيقة الأمر فمواقف العلماء من هذه النصوص لم تكن واحدةفقد ذكرنا ذلك سابقا، حيث إن البصريين قد سنوا قلة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، لأنه كما قلنا روي بالمعنى لا باللفظ، ودخل في روايته كثيرون من الأعاجم الذين لا يؤمنون على اللحن[7] ، غير أن هذا الرأي لقي حظه من النقد والرد، لأن رواية الحديث اعتمد فيها أهلها معايير صارمة، كما أن الأحاديث كما هو معروف ليست على درجة واحدة.

ولقد كان هدف هؤلاء:

- المحافظة على قدرة المسلم في قراءة القرآن الكريم، وفهمه واستنباط الأحكام منه.

- حماية اللغة العربية من اللحن وتحصين الناطقين بها نظرا لخطورة تفشي اللحن على الأمة.

- حماية العربية من لغات الأمم الأخرى، والتي دخل أهلها في الإسلام.[8]

أما **القياس** فقد نهض بترتيب المادة المدروسة و تصنيفها وفقا لضوابط توصل إلى الحكم، وذلك بإخراج المادة المشتتة في صورة منظمة تساعد على وضع قواعد تصفها، وتفسرها. والقياس**اصطلاحا:**يقصد به في علم اللغة والنحو أن نجعل كلامنا على مثال ما تكلم به العرب ونطقوا، وأن نحمل كل ما تدعو إليه الحاجة من استعمال جديد أو صيغة جديدة على ما سمع منها وروي عنهم، وعرفناه من طرائقهم في فنون القول[9].

---

[1] - ، ينظر: أصول الفكر اللغوي في دراسات القدماء والمحدثين، دراسة في البنية والمنهج، حامد ناصر الظالمي، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2011م، ص77.

[2] - أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء القرطبي وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1989م، ص5.

[3] - ينظر: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، د: جعفر نايف عبابنة، دار الفكرللنشر والتوزيع، عمان، ط1984،1م، ص43.

[4] - لمع الأدلة في أصول النحو،ص81 .

[5] - الاقتراح، السيوطي، ص14 .

[6] - مدخل إلى أصول النحو، محمد خان، ص6.

[7] - المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص80.

[8] - ينظر: مدخل إلى أصول النحو، محمد خان، ص6.

[9] - مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو، جعفر نايف عبابنة، ص59.

وقد عرفه النحاة تعريفا قريبا من الفقه، فقالوا: «هو عبارة عنتقدير الفرع بحكم الأصل، أو هو حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع، أو هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع ، أو هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع[1]».

وعرفه ابن الأنباري في كتابه جدل الإعراب، بقوله:« هو حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه »، ويقول: «أن إنكار القياس لا يتحقق، لأن النحو كله قياس...فمن أنكر القياس، فقد أنكر النحو ، ولا نعلم أحدا من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة[2] ».

ويستشف من كلام النحاة القدامى أنهم شغفوا بالقياس، وفتنوا به حتى طغى على منهجهم، وأصبح سمة لكبارهم[3]، لدرجة قول ابن جني: « مسألة واحدة من القياس أنبل من كتاب لغة عند عيون الناس[4]».

وقد جعله الكسائي النحو نفسه، فقال:

إنما النحو قياس يتبع وبه في كل علم ينتفع[5].

فهذه العبارات تترجم مقدار عناية العلماء به، بل قرر بعضهم أنه مما انعقد الاجماع عليه، وإن العودة إلى كتب المطولات تظهر مدى تحكم الأقيسة في الأمثلة، وفي المناقشات[6].

وهكذا انطلق جمهور العلماء مقتنعين بضرورة إجراء القياس على الكلام العربي ، ومذهبهم في ذلك، « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب[7]»، فلا أحد يدعي أنه سمع كل فاعل ومفعول، وإنما سمع بعض الكلام فقاس عليه غيره، فإذا سمعت قام زيد، أجزت ظرف بشر، وكرم خالد[8]. وقال ابن جني: « فإن الأعرابي، إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته، تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به فقد حُكي عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها، ولا سُبقا إليها[9]».

وأما**التعليل**فقد جاء قسيما للقياس، هذا الأخير الذي يتجاوز تقرير الظواهر النحوية إلى التماس حكمة العرب في الإتيان بها على هذا الوجه المخصوص. والعلةالنحوية **اصطلاحا:** هي وصف يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم[10]، وهي الركن الرابع من أركان القياس، وهي التي تبرر الحكم وتوجهه، فهي بذلك عنصر أساس في عملية المقايسة، وهي سبب الظاهرة المدروسة، وقد كان النحاة يعللون لإعرابهم بالعلة الظاهرة، كعلة الإسناد بين الفاعل ونائب الفاعل، لذلك يقاس الثاني على الأول، ومادام حكم الفاعل الرفع قيس عليه نائب الفاعل ، فكان حكمه الرفع كذلك[11].

- التعليل اللغوي يهتم أساسا بالحالات الإعرابية لأواخر الكلمات إلى جانب كثير من الظواهر اللغوية، كحذف بعض حروف الكلمة، أو استبدالها، تغيير صيغة الكلمة، وغير ذلك من الظواهر اللغوية.[12]

ولقد كان عبد الله بن أبي إسحاق أول من نهج العلل، وقد تبعه في الاهتمام بالعلة تلاميذه ومعاصروه، حتى صارت المطالبة بها أمرا مألوفا، وأصبحت أمرا خلافيا بين النحاة والشعراء[13]، ومن أمثلة ذلك أن أبا عمرو بن العلاء لما سمع قول الشاعر:

حتى تحاجزن عن الذواد تحاجز الري ولم تكادي

سئل أبو عمرو بن العلاء لم قال: تكادي، ولم يقل: تكد ، والفعل مجزوم بلم؟، فقال: لأنه يقصد لم تكادي أيها الإبل[14]

أي أن الياء للمخاطبة فلا تحذف للجزم بلم.

---

[1] - لمع الأدلة، ص93.

[2] - المصدر نفسه، ص95

[3] - ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، عبد الفتاح علي البجة، ص579.

[4] - الخصائص، ابن جني، د2، ص88.

[5] - لمع الأدلة، ص93.

[6] - ينظر: أصول النحو في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء غلم اللغة الحديث، محمد عيد، 69.

[7] - الخصائص، ج1، ص 357، وج2، ص25.

[8] - مدخل إلى أصول النحو، محمد خان، ص40.

[9] - الخصائص، ج2، ص25.

[10] - ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص25.

[11] - ينظر: مدخل إلى أصول النحو، محمد خان، ص55.

[12] - ينظر: التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، دراسة إبستمولوجية، د:جلال شمس الدين، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية،دط ،1994مص11.

[13] - ينظر: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، جعفر نايف عبابنة، ص86.

[14] - ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص32.

لقد كانت العلل قبل الخليل بسيطة تساعد على فهم كلام العرب، ويدور معظمها حول العامل، كما يدور بعضها حول المعنى الذي توخاه الشاعر أو القائل بذهابه إلى وجه معين من الإعراب، أو استعماله استعمالا خاصا، غير أن الذي روي لنا من تعليلات تلك الفترة قليل جدا، وهو يشير على الرغم من ذلك إلى أن العلة حتى عصر الخليل كانت عربية محضة نابعة من طبيعة اللغة، وليس فيها أثر للمنطق، أو جموح للخيال بعيدا عن الواقع اللغوي المستعمل[1].

وقد ظهر هذا الأمر جليا في كتاب سيبويه ، إلا أنه توسع بعد ذلك وتشعب، فكان لابن جني اليد الطولى في توسيع الجدال والحجاج، ويظهر ذلك جليا في كتابه الخصائص الذي يعتبر علامة واضحة في طريق الجدل والحجاج والتعليلات الفلسفية نتيجة ظروف العصر[2].

ويمكن أن نذكر مثالا لابن جني يثبت ذلك، حيث يقول:« قال أبو إسحاق في رفع الفاعل ونصب المفعول إنما فعل ذلك للفرق بينهما، ثم سأل نفسه، فقال: فإن قيل: فهلا عكست الحال فكانت فرقا أيضا؟ قيل الذي فعلوه أحزم، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة ، فرفع الفاعل لقلته، ونصب المفعول لكثرته، وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون، ويكثر في كلامهم ما يستخفون[3].»

لقد متن النحاة صلة العلة بالمنطق والفقه، ورتبوا قضاياها ومسائلها على غرارهما، وأكثروا من تقسيماتها وتفريعاتها، وكان من آثار صلتها القوية بالمنطق أن فلسفوا بها النحو حتى صارت له فلسفة خاصة، عدت فرعا من فروع الفلسفة الإسلامية، وقد اختلفوا اختلافات واسعة ما عاد على النحو بالضرر، ولم يعد الهدف فهم كلام العرب وقول أئمة النحو[4].

ويشكل العامل بتظافره مع الأصول الثلاثة السابقة ، البنية العامة لنظرية النحو العربي، و يكاد ينعقد إجماع النحاة القدامى على أن ظواهر النحو في حركات الإعراب، بمدلوليه المعنوي و اللفظي، و متغيرات التراكيب، إنما هي أثار لعوامل[5].

والعامل اصطلاحا: يمكن أن نذكر ما يلي:

-"ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب "[6].

-"العامل النّحوي هو الذي يعمل في غيره؛ فيؤثر في حركة آخره، إن كان معربا، و في محله إن كان مبنيّا"[7]

- "العامل هو الكلمة الملفوظة، أو المقدّرة التي تملك القدرة على التّأثير في الكلمات التي تقع بعدها من الناحية الشّكلية و الإعرابية"[8].

ومن هنا، فالعامل النّحوي هو الفكرة الجوهرية التي تأسّس عليها عمل النحاة العرب، و يعني القدماء بالعامل، العنصر اللّغوي الّذي يؤثر لفظا و معنى على غيره، كالأفعال مثلا، فهو معقول من منقول[9]، وقدأجمع النحاة على اعتماد العامل النّحويّ مع وجود بعض الاختلافات في تحديد العوامل، و نوع إعمالها ومعمولاتها، فقسّم العامل إلى لفظيٍّ و معنوي، و اللفظي إلى قياسي و سماعي.

يقول ابن جني :"و إنما قال النحويون : عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أن بعض العمل يأتي مسببا عن لفظ يصاحبه كمررت بزيد، وليت عمرا قائم، وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء و رفع الفعل ...، إنما قالوا لفظي و معنوي، لما ظهر آثار فعل المتكلم بمضامَّة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ، وهذا واضح"[10].

---

[1] - المرجع السابق، ص87.

[2] - ينظر: محاضرات في أصول النحو ،د:التو اتي بن التو اتي، مطبعة رويغي، الأغواط، ط 2006،1م، ص279-280.

[3] - الخصائص، ج1، ص49. .

[4] - ينظر: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، جعفر نايف عبابنة، ص104-105.

[5] - ينظر: نظرية العامل في النحو العربي و دراسة التركيب ، د : عبد الحميد مصطفى السيد ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 18 ، العدد (3 + 4) ، 2002 م ، ص 46.

[6] - التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ط ج، 1985م، ص150.

[7] -العوامل النحوية للجرجاني، تحقيق وشرح محسن محمد معالي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع الأسكندرية، دط، 2009م، ص9.

[8] - معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، دار الثقافة، الجز ائر،دط، دت، ص160.

[9] - الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق الدكتور أحمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1976، ص03.

[10] - الخصائص، ج1، ص 109-110.

فالعامل اللفظي، كما قال ابن جني أن بعض العمل يأتي مسببا عن لفظ يصحبه"[1].أما المعنوي، فهو ما ليس لفظا سماعيا ولا قياسيا؛ أي:"هو ما لا يكون للسان حظ فيه، وإنما هو معنى يعرف بالقلب "[2]

ج- الموروث البلاغي: وهو من أغزر المواريث في الحضارة العربيّة، سواء منه الجانب الفنّي كبديع ابن المعتز وبديع ابن منقذ وبرهان ابن وهب وبرهان الزملكاوي، ومفتاح السكاكي، أو الجانب النّقدي الأدبي كعمدة ابن رشيق ومنهاج القرطاجنّي وشعراء ابن قتيبة ونقد قدامة، أو الجانب الكلامي كقضيّة الإعجاز على مذهب المعتزلة أو الأشاعرة، وقد برز في هذا المجال الجرجاني والخطّابي والرّمّاني.

وسنسلط الضوء عن مدرستين بارزتين في هذا المجال:

***- مدرسة النظم للجرجاني:**

النظم عند الجرجاني هو تعليق الكلم بعضها بسبب ببعض، وصور هذا التعلّق ثلاثة: اسم مع اسم، كالمبتدأ والخبر، فعل مع اسم، كالفعل وفاعله، وتعلّق الحرف بالاسم أو الفعل، وتوخي معاني النحو في ذلك، يقول الجرجاني: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها»[3].

لقدعكس كتاب دلائل الإعجاز لصاحبه عبد القاهر الجرجانينظرية أطلق عليها صاحبها " نظرية النظم"كأساس لتركيب الكلام انطلاقا من الجملة البسيطة وصولا إلى النظم القرآني في تراكيبه الإعجازية"الصوتية والنحوية والبلاغية والدلالية، وهو تّأليف الحروف والكلمات والجمل تأليفا يسمح للمتكلم والسامع معا أن يرتقيا إلى مدارك الإعجاز في المعاني، وهذه المعاني غير محدودة واختيار تركيب معين كاختيار مسلك من المسالك برا أو بحرا، وقد يؤدي هذا بالمتكلم إما إلى الوصول(المعاني المقصودة) أو إلى الضلال(معان غير مقصودة)، فالنظم أشبه بالبناء والنسيج الذي يعضد بعضه بعضا، فإذا نسجت خيوط الطول في خيوط العرض حصل النظم[4].

وعلى العموم يمكن الحديث عن بعض أسس هذه النظرية فيما يلي[5]:

- النظم هو توخي معاني النحو:يقول الجرجاني« فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظمه أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتّصل بباب من أبوابه»[6].

- لا فصاحة للكلمة المفردة: فلا تفاضل بين الألفاظ مفردة بل عند ملاءمة معناها لمعنى اللفظة التي تليها في الكلام في علاقة تأثير وتأثر، يقول الجرجاني: «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس»[7].

- التفريق بين اللفظ والمعنى وتبيين حد كل واحد منهما، فالألفاظ عنده رموز للمعاني وما اللفظ إلا وعاء للمعنى مفندا المبالغات التي تفضل أحدهما عن الآخر، مؤكدا أن البلاغة لا يمكن أن تكون في المعنى دون اللفظ أو اللفظة المفردة دون التأليف، يقول الجرجاني: « واعلم أني على طول ما أَعدتُ وأَبدأتُ وقُلتُ وشَرحتُ في هذا الذي قام في أوهام الناس من حديث اللفظ...وإطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى...والذي له صاروا كذلك، أنهم حين رأوهم يفردون "اللفظ" عن "المعنى"، ويجعلون له حسنا على حدة، ورأوهم قد قسّموا الشعر فقالوا: "أن منه ما حسن لفظه ومعناه، ومنه ما حسن لفظه دون معناه، ومنه ما حسن معناه دون لفظه"ورأوهم يصفون اللفظ بأوصاف لا يصفون بها المعنى، ظنوا أن للفظ من حيث هو لفظ حُسنًا ومزية وشرفا، وأن

---

[1]- المصدر السابق، ص110.

[2]- التعريفات، الجرجاني، ص150.

[3]- دلائل الإعجاز، ص81.

[4]- ينظر: اللسانيات العربية نشأتها تطورها آفاقها المستقبلية، فريد خلفاوي، منشورات مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقدة بجامعة الوادي، مطبعة الأمل المشرق، الوادي الجزائر ط1، 2022م، ص66-67.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص67.

[6]- دلائل الإعجاز، ص83.

[7]- المصدر نفسه، ص55.

الأوصاف التي نحلوه إياها هي أوصافه على الصحة...وهو أن يفصلوا بين المعنى الذي هو الغرض، وبين الصورة التي يخرج فيها فنسبوا ما كان من الحسن والمزية في صورة المعنى إلى اللفظ... »[1].

- مرعاة الجانب النفسي والعقلي في الكلام: حيث يرى بأن ترتيب الألفاظ حين نطقها مطابق لترتيب معانيها في النفس وهي عملية فكرية ذهنية عقلية واضحة.

- تفريقه بين المعنى ومعنى المعنى: يقول الجرجاني: «الكلام ضربان: أحدهما تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ والآخر لا تصل إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ بمعناه في اللغة، ثم تجد لهذا المعنى دلالة أخرى تصل بها إلى الغرض وعلى هذا مدار الكناية والاستعارة والتمثل ، فهذا هو المعنى ومعنى المعنى »[2]، وقوله«ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على اللفظ، ثم لا تعترضك شبهة ولا يكون منك توقّف في أنّها ليست له ولكن لمعناه، قولهم:"لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك"، وقولهم:"يدخل في الأذن بلا إذن"فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى، وأنّه لا يتصوّر أن يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة...وأنهم أرادوا أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلا على المعنى الثاني ووسيطا بينك وبينه متمكّنا في دلالته...ويشير لك أبين إشارة، فكان من الكناية... والاستعارة...والتمثيل».[3]

***- المدرسة الشمولية للسكاكي:**

جمع السكاكي(ت626ه) فروع اللغة المختلفة في كتاب واحد سماه"مفتاح العلوم، وقد أطلق الباحث الجزائري محمد الصغير بناني على السكاكي بأنه "صاحب مدرسة اللسانيات الشمولية"، يقول بناني:"ويطمح السكاكي في مفتاحه إلى النفاذ إلى جميع العلوم اللسانية والغيبية، فإن كان من اللسانيين القدماء من يستحق اسم مدرسة فهو السكاكي، نظرا لكثرة أتباعه وإقبال المنظرين على ما تناوله كتابه بالشرح والتطبيق"[4] ، وقد شبه السكاكي علوم اللغة بالشجرة أصلها قواعد اللغة الثابتة وفروعها ممتدة لكل أصناف الكلام الذي أعلى مراتبه الإعجاز ، يقول بناني:«والتطور يشمل أولا فرعين: النحو والصرف، ثم يرتقي النحو والصرف إلى درجة البلاغة، فيخلف علم المعاني النحو وعلم البيان الصرف، ويخلف مقتضى الحال في البلاغة مقتضى الوضع في النحو بإدراج المنطق والاستدلال في العملية عملية التحويل كما يدرج مع مقتضى الحال مقتضى المقام ويرتقي من البلاغة إلى علم الأسلوب في مستوى علم البديع، فيخلف البيان المحسنات اللفظية والمعاني المحسنات المعنوية، ولا يعرف العلماء عندنا حتى الآن أن انتقال السكاكي من البيان إلى المعاني ليس شيئا آخر سوى انتقال من علم البلاغة إلى علم الأسلوب الذي أصبح علما قائما بذاته اليوم وجعل الكثير من الأدباء واللسانيين لا يميزون بين اللطائف الدقيقة في البلاغة والأسلوب، وجعلهم يعدون الوجوه البديعية زبدا رابيا يذهب جفاء ولا ينفع الناس، وقد أسهم بعض أصحاب البديع بتصنعهم وتكلّفهم في تأكيد هذا الانطباع، وبعد البديع يرتقي الكلام إلى مرتبة الشعر مع العروض والقافية، فالعروض يخلف التراكيب النحوية والمعنوية والقافية تخلف البيان، وعند اكتمال هذه الطبقات كلها، ينتقل الكلام إلى الأدبية...وليس فوق الأدب إلا الإعجاز»[5].

ويذكر السكاكي هذه العلوم بهذا الترتيب قائلا: « وإنما أغنت هذه لأن مثارات الخطأ إذا تصفحتها ثلاثة: المفرد، والتأليف وكون المركب مطابقا لما يجب أن نتكلم له. وهذه الأنواع بعد علم اللغة هي المرجوع إليها في كفاية ذلك ما لم يتخط إلى النظم فعلما الصرف والنحو يرجع إليهما في المفرد والتأليف، ويرجع إلى علمي والبيان في الأخير، ولما كان علم الصرف هو المرجوع إليه في المفرد أو فيما هو في حكم المفرد، والنحو بالعكس من ذلك »[6].

إن المبدأ الذي يقوم عليه فكر السكاكي هو التكامل بين المستويات والعلوم اللغوية، ذلك أن فصلها تماما هو نسج من الخيال فكل فرع يعتمد على الآخر ويبني على نتائج بحثه وخلاصته للاستفادة منها في معالجة قضايا الفروع الأخرى وتوضيحها، فالصرف

---

[1] - المصدر السابق، ص365-366.

[2] - المصدر نفسه، ص676(في الفهرس).

[3] - دلائل الإعجاز، ص267-268.

[4] - المدارس اللسانية في في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة ، الجزائر، 2001م، ص44.

[5] - المرجع نفسه، ص42-43.

[6] - مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط وتهميش وتعليق: علي زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م، ص8.

لا يمكن عزله تماما عن النحو، ذلك أن الثاني(النحو) في أمس الحاجة للأول(الصرف)، وكلاهما يلتمس المعونة من الصوت[1] وكلها تشترك في خدمة المعنى والدلالة، وهكذا تتدرج المستويات والعلوم اللغوية من القاعدة(قواعد اللغة الثابتة من صرف ونحو) مرورا بعلوم البلاغة وصولا إلى الأسلوب فالأدب بصنوفه وخصائصه وصولا إلى قمة ذلك وهو الإعجاز .

د- جملة المعاجـــم: وهي المعاجم الّتي دوّنت في اللّغة وكان أصحابها يتطرّقون في مقدّمات مصنّفاتهم أحيانًا وفي صلب موادّهم اللّغويّة أحيانًا أخرى إلى قضايا جوهريّة في تقدير الظّاهرة اللّغوية، وقد سبق التفصيل في موضوع المعجم.

2: التراث الأدبي:

هو التراث الأدبي بمفهومه الواسع سواء ما كان أدبا خالصا للوجدان، أو أدبا تأمّليّا، ومن ذلك ما دونه الجاحظ من البيان والتبيين والحيوان ورسائل الجاحظ، ومنظومة التوحيدي إمتاعا ومقابسات وهوامل، ومصنفات ابن حزم والقاضي الجرجاني وغيرهم كثير، وسنسلط الضوء على عمل الجاحظ:

***- المدرسة البيانية للجاحظ:**

انفرد الجاحظ في مدونته الأدبية بكثير من الأفكار والمرتكزات الفكرية الرائدة في عصره والتي لا زالت تحتفظ بقيمتها العلمية في يومنا الحاضر، فقد تميز بوعي عميق ونظرة علمية ثاقبة للقضايا الفكرية والأدبية عامة واللسانية بشكل أخص[2]،ويظهر ذلك في كتابه"البيان والتبيين"، فإذا كان البيان يعبّر عن ظاهرة لسانية إنسانية تمثل رسالة حملها الإنسان من الله تعالى، فهي ظاهرة غيبية، إلاّ أنّ التبيين عند الجاحظ وصف للعلاقات اللسانية التي تجمع طرفي الخطاب(المتكلم والمخاطب) وهي تنقل البيان إلى بلاغة والكلام إلى رسالة مع ما تشتمله الرسالة من إلقاء وتلق ورموز وحال ومقال ومقام كما ترى اللسانيات اليوم[3].ولقد ضمّن الجاحظ كتابيه "البيان والتبيين" و"الحيوان" حقيقة الكلام وكيف نشأ وتطور وعلاقته بالإنسان منذ بداية الخلق إلى كونه بلاغة في سياسة الكون ، معتمدا في ذلك على ما ورد في الذكر الحكيم[4].

تكلّم الجاحظ عن أنواع الدلالات وحصرها في خمسة عناصر ذكرها في قوله: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال الّتي تسمى نِصبة والنِّصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصِّر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها»[5] إن هذه العناصر منبثقة بعضها من بعض في تطور مستمر وصولا إلى الصيغة النهائية أو ما يعرف بالعالم الصغير أو النهائي، فاللفظ ينحدر من الإشارة والإشارة من العقد والعقد من الخط والخط من النصبة[6].

- اللفظ: معتبرا الصوت آلته والجوهر الذي يقوم به التقطيع ويوجد به التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف، وهو هنا يقر بأن الألفاظ هي أصوات مخصوصة وتحمل دلالة عند تأليفها وجمعها بطريقة مخصوصة وهو يشبه رأي ابن جني في تعريفة للغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[7].

- الإشارة: وقد اعتبرها شريكة اللفظ وأحسن سند له فهي توضح معاني الألفاظ وتبرزها، كالإشارة باليد أو الطرف أو الحاجب وغير ذلك من الجوارح، وتظهر أهمية الإشارة أكثر في كونها قد تنوب اللفظ وتعوضه[8].

---

[1] - ينظر: اللسانيات في "مفتاح العلوم للسكاكي"بين التنظيروالتأصيل(مقال)، كلثوم حسروف، مجلة اللغة العربية، المجلد:23، العدد:4، جامعة البليدة، الجزائر، الثلاثي الثالث2021، ص67.

[2] - ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 1999م، ص146.

[3] - ينظر: اللسانيات العربية نشأتها تطورها آفاقها المستقبلية، ص64-65.

[4] - ينظر: المدارس اللسانية في التراث اللغوي العربي وفي الدراسات الحديثة، ص17.

[5] - البيان والتبيين، ج1، ص76.

[6] - ينظر: اللسانيات العربية نشأتها تطورها آفاقها المستقبلية، ص65-66.

[7] - ينظر: البيان والتبيين، ج1 ، ص79.

[8] - ينظر: المصدرنفسه، ص78-79.

- **الخط:** وهو الكتابة والتدوين والقلم أحد اللسانين وهو أبقى أثرا من الكلام المنطوق واللسان أكثر هذرا، ويعتبر الجاحظ أن اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم والكتابة مطلق في الشاهد الحاضر القريب والغائب البعيد والكتاب يُقرأ بكل مكان ويُدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره[1].

- **العقد(الحساب):** يقول الجاحظ: «والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة، وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع، واختلال كل ما جعله الله عز وجلّ لنا قواما ومصلحة ونظاما»[2].

- **الحال(النِّصبة):** يقول الجاحظ: «وأمّا النِّصبة فهي الحال النّاطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق وجامد ونام، ومقيم-- وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان...وما دلّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكتا وهذا القول شائع في جميع اللغات»[3].

3: التراث الديني:

وتتنوع مصادره التي تناولت القضية اللغوية إلى أصناف ثلاثة[4]:

أ- كتب أصول الفقه: وقد عالج أصحابها المشكل اللغوي في سنهم لقواعد التشريع واستنباط الأحكام، وأبرزهم على طريقة الظاهر بن حزم الأندلسي لا سيما في مجموعته"الإحكام في أصول الأحكام"، وعلى الطريقة الأشعرية لأبي حامد الغزالي في "المستصفى" الذي اكتمل معه علم الأصول.

ب- التفاسير: حيث يستطرد المفسرون عادة في تقديرات لغوية عامة وفي تحاليل نظرية عندما يواجهون تفسير بعض الآيات المتصلة بنشأة الكلام أو بخلق الإنسان، وقد تميزت حركة التفسير في تاريخها بالجدل المواكب لحركة المذاهب الدينية والكلامية. هذا ويعد تفسير الطبري قمّة التفكير بالمأثور وبداية أدب التفكير القرآني، وكان على المذهب السني الصّريح في مقابل أهل الرأي المعتزلة خاصّة عند القول بالمجاز في القرآن الكريم، كما يعدّ تفسير الكشّاف للزمخشري-نموذج التفسير الانعزالي- الذي زخر بمقارعة خصومه الأشاعرة داعيا إياهم بالمجبرة والحشويّة والمشبّهة والمبطلة، في مقابل نعت أصحابه بالعدل والتوحيد وبالفئة الناجية العدلية.

ج- علم الكلام: وهو يعدّ نقطة تقاطع الثقافة الإسلامية عقيدة وتشريعا ومنطقا، حيث ازدهرت فيه مناهج الجدل والمناظرات، كان أساسها قضايا عقائدية محورها الظاهرة اللغوية أولا وبالذات في نشأتها ومنشئها واتصاف الخالق والمخلوق بها ولم يتصارع الفكر الإسلامي في شيء تصارعه في علم الكلام، وانقسم إلى سنة ومعتزلة، وانقسم بعدها كل فريق إلى فرق وطوائف ويمثل التفكير الاعتزالي نموذجه الأوفى بلا منازع القاضي عبد الجبار في موسوعته العجيبة"المُغني في أبواب التوحيد والعدل" بينما يمثل المذهب الظاهري ابن حزم الأندلسي في مدوّنته"الإحكام في أصول الأحكام"، وكذلك أبو الفتح الشهرستاني في مدونته"نهاية الإقدام في علم الكلام"، أما التفكير الأشعري الداحض لنظريات الاعتزال فيمثله سيف الدين الآمدي في منظومته"غاية المرام في علم الكلام".

4: التراث الفلسفي:

التراث الفلسفي بأقسامه المختلفة من طبيعيات وإلاهيات ومنطق ومناظرات بين الفلاسفة ورجال الدين، ومن البديهي أن تكون القضية اللغوية قد مثلت ركنا ركينا قارّا في تفكير هؤلاء، لا سيما في أبواب المنطق من "المداخل والمقولات" إلى "القياس" و"البرهان" حتى "الخطابة" و"الشعر"، على أنهم قد عرّجوا عليها أيضا في تصدّيهم لمعضلة النفس ومراتبها بحثا عن أصول نظرية المعرفة. ويمثل هذا الصنف موسوعة ابن سينا ومدونة الفارابي وتصانيف ابن رشد دون إهمال الفلاسفة المتديّنين كأبي حامد الغزالي في "معيار العلم"[5].

---

[1] - ينظر: المصدر السابق، ص79-80.

[2] - البيان والتبيين، ج1 ، ص80.

[3] - المصدر نفسه، ص81-82.

[4] - ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص35-36.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، 36.

5: علم الاجتماع:

وتنفرد مقدّمة ابن خلدون بتمثيل هذا الصنف، حيث يمثل صاحبها نمطا فريدا من نوعه في التفكير، فمقدّمته المعروفة إلى جانب تولّدها عن علم مبتكر هو علم العمران أو الاجتماع الإنساني، وهي تعدّ نموذجا لفلسفة المعارف في التراث العربي إنها منظومتهم الإبستيمولوجية الأصولية التّي ختمت من أعلى قمّة الاكتمال في الغوص والتجريد وحلقة حضارية في تاريخ الإنسانية، فلقد حاول ابن خلدون تقديم نظرة شمولية في القضية اللغوية تتسم بالجدّة والطرافة والذين جاؤوا من بعده إنما اقتصروا على تناقل الموروث على غرار السيوطي الذي امتلك ثقافة واسعة وفكرا ثاقبا لكنه اكتفى بنقل التراث وجمعه[1]، ولذا سنسلط الضوء على نظريته في هذا السياق المسماة" المدرسة الارتقائية".

***- المدرسة الارتقائية لابن خلدون:**

في نطاق الاهتمام بالعمران البشري وما يقوم عليه من تعامل وتفاعل بين البشر لا يمكن لصاحب المقدمة أن يغفل عن ركن من أركان الاجتماع البشري وعامل من العوامل التي لا يتم بدونها نعني اللغة واللسان[2]. أمّا تسمية الارتقائية فهي نظرية تدّعي الثقافة الغربية أن داروين اكتشفها منتصف القرن التاسع عشر، غير أن الباحث عند تحليله لفكر ابن خلدون يكتشف جليا أنه إليها أسبق، وهذه النظرية مبنية عند ابن خلدون على خمس طبقات متراصفة يعبّر عنها بالطور، وهو عنده كالحال عند البلاغيين الذين أخذوه من المتصوفين، وقد استعمله ابن خلدون لبناء نظرية التحصيل التي تنصّ على أن المعنى ينشأ أول ما ينشأ عن الفعل وإذا تكرر صار صفة راسخة وإن تكررت الصفة صارت حالا[3].

إن الكلام عند ابن خلدون يرتقي بالتدريج على النحو التالي: في الأسفل تكون الدلالات التي لا تحدد أبعادها إلا في الشبكة النحوية، وهذه الأخيرة(الشبكة النحوية) تظهر قيمتها الكلامية إلا إذا أدرجت في الطبقة التي تعلوها وهي الطبقة البلاغية(مراعاة الكلام لمقتضى الحال عند البلاغيين)، والطبقة البلاغية ترتقي إلى طبقة الأسلوب والتي هي عبارة بلاغية وبديع(إبداعات المتكلم)، والأسلوب من العلامات الدالة على شخصية المتكلم[4]وصولا إلى الشعر.

وهذا النظام الخماسي يجري في تسلسل مطرد من أسفل إلى أعلى صعودا-كما سبق ذكره-ومن أعلى إلى أسفل نزولا في صورة هرمية أو على شكل شجرة أصلها ضيق وهو واسع، وفرعها واسع وهو ضيق دقيق، هذه الشجرة هي المنوال الذي رصدت فيه جميع المعاني التي تعمر الكون كلمات كانت أم أشخاصا وأشياء[5]والمنوال عند ابن خلدون هو صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة تتسم بالاتساع(كلية تعطي عدة خيارات)، وهذه الصورة الذهنية هي الوجه الخفي للنص(الكلام)، وهي المرآة العاكسة لشبكاته التي انتزعها الذهن من أعيان التراكيب، وأعاد صياغتها وتركيبها من جديد بما يعكس قصده ومراده، وهي تظهر وتتجلى في النص الذي نوظفه على النحو الذي يراعي مقتضى حال الكلام[6].

لقد استخدم ابن خلدون هذا المنوال ليعبّر عن التركيب الواسع الذي يشمل جميع التراكيب الممكنة، وترص فيه جميع ما ينسج من كلام فصيح وبليغ، ويقابل هذا المنوال المضمار الذي هو عبارة عن صورة مصغرة ودقيقة للمنوال منشؤها الذوق ومسكنها القلب، وهو بعيد المدارك وصعب المنال تتجلى في الإعجاز في النص القرآني[7].

وقد مثل الباحث الجزائري محمد الصغير بناني لشجرة البلاغة والعمران عند ابن خلدون بالشكل الهرمي التالي[8]:

---

[1] - ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص36-37.

[2] - أعلام و آثار من التراث اللغوي، عبد القادر المهيري، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، دت، ص145.

[3] - ينظر: المدارس اللسانية في التراث اللغوي العربي وفي الدراسات الحديثة، ص53.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص53.

[5] - اللسانيات العربية نشأتها تطورها آفاقها المستقبلية، ص70-71.

[6] - ينظر: المدارس اللسانية في التراث اللغوي العربي وفي الدراسات الحديثة، ص83.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص57.

[8] - ينظر: المرجع نفسه، ص57.

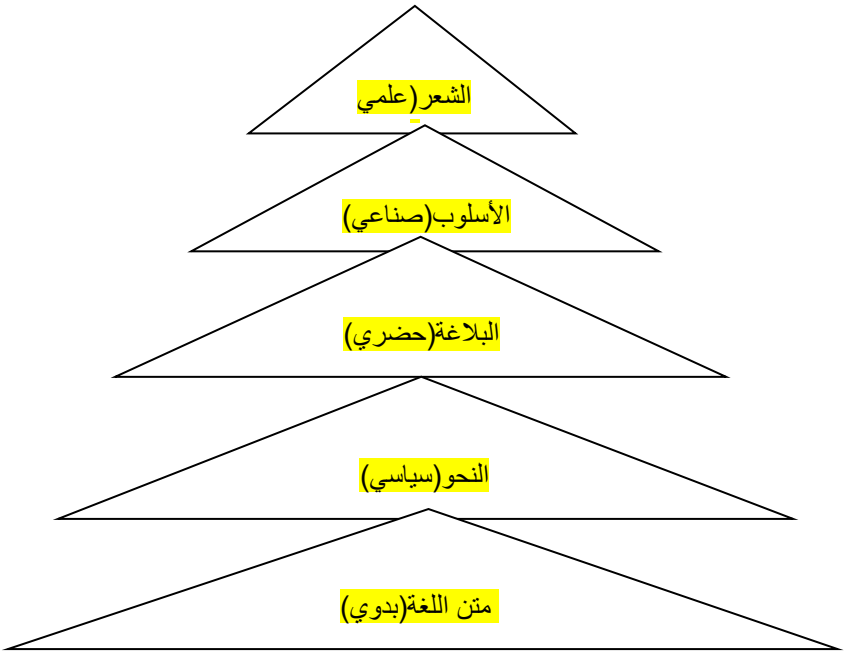
الشعر(علمي
الأسلوب(صناعي)
البلاغة(حضري)
النحو(سياسي)
متن اللغة(بدوي)

المحاضرة الخامسة:(المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية)

تمهيـــد:

يعد عبد الرحمان الحاج صالح رائدًا متميّزًا من روّاد اللّسانيات العربيّة الحديثة، تميّز باطّلاعه الواسع وبحثه المستمر وعمله الدّؤوب من أجل تسليط الضّوء على تراث الخليل بن أحمد الفراهيدي ولم يبدّل تبديلاً، لقد آمن الحاج صالح بأنّ أفكار الرّعيل الأوّل من النّحاة كالخليل وسيبويه وابن جنّي والرضي الإستراباذي والسّهيلي وغيرهم، لا تقلّ في عمقها عمّا أبدعته أرقى النظريّات اللّسانية الغربيّة الحديثة، ونظرًا لما تميّز به النّحو الخليلي من تحليل عميق وتفكير رياضي علمي عجيب، حقيق مثل هذا التّراث أن يُعاد تركيز البحث فيه من جديد بغية البحث عن أسراره وإعادة استثماره في البحث اللغوي، ونظرًا لتغيّر الظروف والزّمان والمكان ودخول متغيّرات جديدة لا مناص من عرض تلك الأفكار والتّحليلات والآراء المتميّزة والعميقة وأن وتُصاغ بشكل جديد منسجم مع المتغيّرات، ومستفيدًا من بعض أفكارها بما يساهم في بعث ذلك الإرث العظيم، من هنا جاءت فكرة تأسيسه لما يُطلق عليه:"النظريّة الخليليّة الحديثة" نسبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي لأنّه كان مؤثّرًا في مسيرة النّحو العربي وبناء عماده مؤكّدًا بأنّه من عظماء التّاريخ.

لم يكن ميل الحاج صالح إلى التّراث تعصّبًا أو معاداة للّسانيات الغربيّة بل كان من منطلق علمي صارم قوامه الفهم الدّقيق والمتمكّن ليس فقط من التّراث اللّغوي والنّحوي العربي بل من اللّسانيات الغربيّة كذلك، فهو ممّن درسوا هذا العلم في مهده ومن أحد روّاده ونعني بذلك "أندري مارتيني"، إنّ هذا التّمكّن من الرّافدين تحوّل بشكل طبيعي إلى حامل لواء التّراث والمدافع عنه لأنّه أهل لأن يُدافع عنه، فهو لا يقلّ شأنًا عن اللّسانيات، بل ويفوقها في كثير من تحليلاته.

لقد استطاع الحاج صالح أن يقدّم مفهومًا آخر للتّراث مبرزًا قيمته العالية وتحليلاته العميقة وأفكاره الرّياضيّة الّتي صعب على كثير من الباحثين فهمها وتحليلها، فنُعت لعمقه ودقّته بأنّه معقّد ومتخلّف ولا حاجة إليه في هذا الزّمان، لقد استطاع الحاج صالح أن يغيّر تلك النّظرة النّمطيّة للتّراث اللّغوي العربي ولا نبالغ إذا قلنا إنّ أفكار الحاج صالح أصبحت ملهمة لكثير من الباحثين العرب وغيرهم، من أجل إعادة قراءة التّراث والتّصالح معه من جديد، بل وجعله أساس كلّ بحث لغوي جديد، فلا يعقل أنّ تراثًا بمثل تراث العرب اللّغوي أن يطوى طيّ النسيان وكأنّه لم يكن.

ولا نبالغ إن قلنا بأنّ الحاج صالح بفكره الثّاقب وهو قد درس الرّياضيات فعلاً كما سبق التّذكير هو فراهيدي اللّسانيات العربيّة الجديد في هذا الزّمان بعمق تحليلاته وثقافته العالية ولقد أنصفت مآلات اللّسانيات الحديثة كلّ مواقف الحاج صالح الّتي نادى بها منذ ستينيات القرن العشرين ودافع عنها، ولم يعد يُنظر إلى النّحو بمثل تلك النّظرة الّتي كانت في بداية ظهور اللسانيات حيث كانت شعاراتها وعناوينها البرّاقة تخفي عدم كفاءة وكفاية في تحليل الظّاهرة اللّغويّة العجيبة الّتي تأبى أن تصل إلى تفسير وتحليل نهائي، وما أجمل أن تتّحد الجهود اللغويّة عربيّها وأعجميّها أملاً في تحقيق الهدف المنشود.

أوّلاً - مفهوم النظريّة الخليليّة الحديثة:

النّظريّة الخليليّة الحديثة(New Khalikine Theory) ورمزها الدّولي المختصر(NKT)[1] هي نظريّة لسانية عربية حديثة أسّسها عبد الرحمان الحاج صالح سنة1979 م، نسبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي تستمد هذه النّظريّة مبادئها وأفكارها من فكر الخليل بن أحمد الفراهيدي ومن شيوخه ومن تلاميذه خاصّة سيبويه، وسُميت بهذا الاسم تغليبًا، ولتأثيره الواضح في توجيه الدّراسة النحويّة واللّغوية العربية نحو وجهة علميّة رياضيّة، غير أنّ التّفكير فيما قاله الخليل وشيوخه وتلاميذه وخاصّة سيبويه كان منذ أن كان الحاج صالح تلميذًا في الأزهر الشّريف[2]، ويذكر أنّه بعد دراسته المتأنّية والممحّصة والفاحصة لما أبدعه واخترعه الخليل بأنّه(أعظم وأكبر لغوي في التّاريخ)[3]، وهذه النّظريّة هي فرع من اللسانيات العربيّة الحديثة، وبما أنّها نظريّة علميّة فهي تنفرد بمجموعة خاصّة من المصطلحات والفرضيات، وهي تقترح رؤية مستقلّة لقراءة التّراث العربي وللدّراسة العلميّة المستنبطة من هذا التّراث[4].

---

[1] - ينظر:نظريّة العامل وتعليميّة النحو العربي مفهومه في النّظريّة الخليليّة وتطبيقاته في تعليميّة النّحو، ص9(في الهامش).

[2] - ينظر: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص84.

[3] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج1، ص149.

[4] - ينظر: نظرية العامل وتعليميّة النحو العربي مفهومه في النّظريّة الحليليّة الحديثة وتطبيقاته في تعليميّة النّحو، ص9.

لقد أعاد **الحاج صالح** تأسيس أفكار الرّعيل الأوّل من النّحاة وخاصّة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتلميذه سيبويه تأسيسًا جديدًا ينحو بها نحو الصّياغة الشكلانية التّجريديّة الرياضيّة،لأنها هي في الأصل ذات فكر رياضي صرف، كما تقتضيه المعاجة الآلية الإلكترونية للّسان البشري، ما سيسمح للتّراث بأن ينتعش ويرتدي ثوبًا جديدًا، دون أن يفقد هويّته الأصلية ويتأكّد دوره وتقاطعه مع اللّسانيات الحديثة[1]، وهذه النّظريّة كانت ثمرة جهود طويلة من البحث والتّمحيص والتحليل النّقدي الموضوعي لأقوال وأفكار وتحليلات ما تركة الخليل وأتباعه، يقول الحاج صالح:«...هذا وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلّل ما وصل إلينا من تراث فيما يخصّ ميدان اللغة، وبخاصّة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممّن ينتمي إلى المدرسة الخليلية وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصّلت إليه اللسانيات الغربيّة....فالغاية من هذا البحث قبل كّل شيء التعريف بهذه النّزعة الّتي تصف نفسها بأنها امتداد منتقى للآراء والنظريات الّتي أثبتها النّحاة العرب الأوّلون وخاصّة الخليل بن أحمد، وفي الوقت نفسه مشاركة ومساهمة للبحث اللّساني في أحدث صوره، خاصّة البحث المتعلّق بتكنولوجيا اللّغة[2]» ،كما أنّ«هذه النّظريّة اللّغويّة العربيّة – حسب مؤسّسها الحاج صالح- ستلعب دورًا كبيرًا في الدّراسة العلميّة للّغات بما فيها اللّغة العربيّة لأنّها وإن كانت نتيجة للنّظر في العربية، فإنّ عمقها العجيب يجعلها في مستوى النّظريات اللّسانية الحديثة»[3]، وقد تنبّأ لها بأن تحقّق نجاحًا باهرًا، «أمّا اللّسانيات العربيّة الّتي تنزع هذه النّزعة فقد وصل البحث فيها الآن-وبعد التّحليل والتّحديد لكلّ مفاهيم القدامى-إلى مرحلة الصّياغة المنطقيّة الرّياضيّة من جهة، وإلى حصر كل الاحتمالات الدّلالية الّتي يحتملها المثال الواحد في جميع مستويات اللّغة العربيّة(من الكلم إلى اللّفظة إلى التّركيب) وسيكون لهذا العمل فيما أعتقد مستقبل زاهر»[4]،أمّا تسميتها بالحديثة فلأنها ستلعب دور الوسيط بين التّراث اللّغوي العربي من جهة واللّسانيات الحديثة من جهة ثانية[5].

لقد اشتهر الخليل بن أحمد الفراهيدي في علم العروض خاصّة، ولكنّ جهوده في الدّراسات اللغويّة الأخرى كانت بنفس القيمة، خاصّة في مجال الصّوتيات العربيّة وتأسيسه لمعجم العين، بتفكير رياضي صرف سابق لأوانه كما يُعبّر عنه، كما تشهد له تحليلاته الدّقيقة لكثير من الظّواهر اللّغويّة التي ظهرت في كتاب سيبويه، كما تميّز باختراعه للشّكل(الحركات الفتحة عبارة عن ألف صغيرة مائلة فوق الحرف والضمّة واو صغيرة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تحت الحرف)المعتمد في الكتابة العربية لحد اليوم، وطور بعد ذلك للحركات البسيطة المعروفة.

إنّ هذا الرّجل العبقري متعدّد الاختصاصات والبراءات-إن صحّ التّعبير -حقيق بأن يُدرس ما تركه من إرث حافل بروح علميّة موضوعيّة، تُظهر ما لهذا الإرث وما عليه، ومن الغريب أن يُفرَّط في هذا الجهد المعتبر، لهذا كانت دعوة الحاج صالح للدّارسين العرب أن يتوجّهوا نحو هذا المسعى واستثمار ما خلّفته المدرسة الخليليّة من أفكار وتحليلات بديعة للّغة يكون لها الأثر الإيجابي ليس على البحث اللّساني العربي فحسب، بل يمكن استثمارها في البحث اللّساني بمفهومه الأوسع، بل إنّ الحاج صالح اعتبر أنّ الدّراسة اللّغويّة لن يكون لها أي شأن إن لم يتوجّه الدّارسون صوب تحليلات هذا الرّجل العبقري والفريد من نوعه، قائلا:«وقد أيقنّا أنّ الدّراسات لن يكون لها أيّ شأن إذا لم يرجع أصحابها إلى الخليل بن أحمد ويحاولوا أن يفهموا ما قصده هذا الرّجل العبقري بتحليلاته لظاهرة اللغة، وذلك بالرّجوع أوّلاً لكتاب سيبويه وشروحه»[6].

لقد آمن الحاج صالح بوجود نظريّة دقيقة ثاوية في الأصول والمفاهيم في طيّات التّراث النّحوي العربي الأصيل، وأنّ ذلك سيتّضح بعد إعادة قراءة التّراث دراسة إبستمولوجيّة(معرفيّة) نقديّة تقويميّة دقيقة لتلك المفاهيم والتّحليلات الّتي يزخر بها ذلك التّراث، دون إسقاط أي تصوّر آخر كتصوّر النّحاة العرب المتأخّرين أو تصوّر الغربيين عليها[7].وقد برهن الحاج صالح على إيمانه بدقّة النظريّة النحويّة عند النّحاة المتقدّمين بطريقتين:

الأولى:التتبّع التاريخي الدّقيق للدّراسة اللّغويّة من أقدم ما وصل إلينا إلى العصر الحديث، راصدًا التّطوّر النّظري والمنهجي في كلّ عصر، ذاهبًا إلى أنّ علم اللّسان بدأ باختراع المصريّين القدامى للكتابة، ثم تطوّرت عند الأكاديين والفنيقيين، وقد انتهج علم

---

[1] - ينظر: العامل بين النظريّة الخليليّة الحديثة والربط العاملي لتشومسكي، ص3.

[2] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص208

[3] - المصدر نفسه ، ج2، ص53.

[4] - المصدر نفسه ص54.

[5] - ينظر: مفهوم تحليل الخطاب في النّظريّة الخليلية الحديثة، عتابي بن شرقي، مجلة الصوتيات، مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة2، الجزائر، العدد19، ص197.

[6] - بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص10.

[7] - ينظر: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، حسين خميس الملخ، دار الشروق للنشروالتّوزيع، عمان، ط1، 2015م، ص247.

اللّسان المنهج الوصفي عند الهنود، ومنهج التّحليل الصّوتي والنّحوي عند اليونانيّين، أمّا بالنّسبة للأوروبيين في القرون الوسطى(من القرن السّادس إلى القرن السّادس عشر)، فبدأوا بالبحث عن علل النّحو في تفسير القواعد متأثّرين بالفلسفة والمنطق، وذهبوا إلى مبدأ التّقدير في النّحو لتفسير الأبنية والتّراكيب، مثل ظواهر الحذف والتّقديم والتّأخير، وهنا حدّد بأنّ العرب كانوا أوّل من لجأ إلى التّقدير[1]، ثمّ انتهج علم اللّسان الحديث المنهج المقارن والتّاريخي، وذلك في القرن التّاسع عشر ميلادي، ثمّ ظهرت بعد ذلك المدارس المعروفة بداية بالوصفية البنيويّة ثمّ التّوليدية التّحويليّة، ثمّ درس فرضيّة تأثّر النّحو العربي بالمنطق الأرسطي، نافيًا ذلك بعد الدّراسة بشكل مطلق إلاّ في القرن الرّابع الهجري[2]، وفي هذه النّقطة نكتشف خلفية تقسيمه للتّراث النّحوي إلى أصيل وغير أصيل، وحصر الأوّل في القرون الأربعة الأولى للهجرة وسبق الحديث في المسألة

لقد حقّق الحاج صالح من هذه الدّراسة التّاريخيّة الموجزة لعلم اللّسان البشري هدفين:

الهدف الأول- التأريخ لتطوّر علم اللّسان البشري بتتبّع الجهود اللّغويّة للحضارات المختلفة، وإثبات أصالة النّحو العربي فنظرية النّحاة العرب أصيلة في أصولها وجذورها.

الهدف الثاني- نفي مقولة تأثّر النّحو العربي بالمنطق الأرسطي وإن تسرّب إليه ذلك المنطق فهو بعد القرن الرّابع الهجري.

أمّا الثانية:فقد قام الحاج صالح بتحديد الأنظار العلميّة والأصول الّتي بَنى عيها النّحاة نظريّتهم، تلك الأنظار الّتي تَوصّل إليها علم اللّسان الحديث، خاصّة عند التّوليديين (كمفهوم الباب، وهو مجموعة من العناصر الّتي تنتمي إلى فئة أو صنف وتجمعها بنية واحدة)، كالبنية الصّرفية(مفْعل)..."مكتب"،"ملعب"،"مجمع"،"محلّ"، وكذا البنية النّحوية إلى مسند ومسند إليه، وهي نواة الجملة العربية، وكذا تحديد العامل والأصل والفرع...إلخ[3].

وقد توصّل الحاج صالح بعد هذا التّتبّع الّتاريخي لعلم اللّسان البشري، وبعد تمحيص أفكار النّحاة العرب إلى الطّابع العلمي الرّياضي التّجريدي لتلك التّحليلات والأفكار، وهي أفكار تتجاوز كلّ النّظريات اللّسانية الوصفيّة الحديثة، وتلتقي بالنّظريّة التّوليديّة[4].وهذا ما يفسّر إعجاب الحاج صالح بما يقدّمه تشومسكي من أفكار كثير منها يشبه إلى حدّ بعيد ما قاله النّحاة العرب، وهذا ما يفسر التّقاطعات بين النّحو العربي والتّوليديّة، وهذا الأمر يخفي وراءه سؤلاً كبيرًا هل هذه أفكار تشومسكيّة أصيلة أم أنّ جذورها عربيّة؟!

يعتبر الحاج صالح أنّ النظريّة الخليليّة الحديثة تتبوّأ موقعًا وسطًا بين اتّجاهين، الأوّل يتجاهل تمامًا أو إلى حدّ بعيد اللّسانيات الحديثة، ويعتمد أساسًا على نحو المتأخرين دون تمييز بين ما هو أصيل وما هو دون ذلك، واتّجاه عكس الأوّل تماماً حيث يتجاهل التّراث جملة وتفصيلاً، الّذي قد تجاوزه الزّمن ولا يمكن مقارنته بما جاء به الغرب[5].لذا فإنّ هذه النّظرية هي نظريّة توفيقيّة تجسيريّة تبحث عن تحقيق مصاهرة أو شبه اندماج(**تفاعل إيجابي**) –إن صحّ التّعبير- بين التّراث النّحوي من جهة واللّسانيات الغربيّة الحديثة من جهة ثانية، اعتمد فيها رائدها مسلكًا واتّجاهًا معرفيًّا إبستيميًّا تأصيليًّا، من خلال السّعي للتأصيل بين جوانب من النّظريّة اللغويّة العربية وجوانب من مناهج النّظر اللّغوي الحديث، وقد تأثرّ بهذه النظريّة مجموعة من الباحثين أغلبهم مغاربة آمنوا بفكرة التّوفيق الّتي انتهجتها هذه النظريّة، شكّلوا ما يشبه المدرسة الواحدة، ومن هؤلاء إضافة إلى الحاج صالح، الأخضر غزال، بالإضافة إلى مازن الوعر من سوريا....

تنطلق هذه النظريّة من مبدأين أساسيين، هما:

- لا يفسّر التّراث إلاّ التراث، فكتاب سيبويه لا يفسّره إلاّ كتاب سيبويه، ومن الخطأ انّ نسقط على التّراث مفاهيم وتصوّرات دخيلة تتجاهل خصوصياته النّوعيّة، وهذا يتطلّب طريقة خاصّة في استخلاص معاني النّص أطلق عيها الحاج صالح مصطلح"المقايسة الدلاليّة"[6].

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص248.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص248-249.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص249-250.

[4] - ينظر: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص250.

[5] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص227-228، وينظر: الاتّجاه التّو افقي، ص110.

[6] - العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، ص89.

- أنّ التّراث العربي في العلوم الإنسانية عامّة واللغويّة خاصّة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع فهناك تراث وتراث.

كما يجب أن تتّصف النّظريّة المتوخاة بمواصفات عرفت بها اللّسانيات الحديثة، وهي[1]:

- **الموضوعيّة العلميّة**: فهي تعتمد على المشاهدة، وهي بذلك علم محض، وليست مجموعة اختيارات تعسفيّة تفرض معيارًا لغويًّا معيّنًا وتهدر المعايير الأخرى.

- **التمييز بين ما هو راجع إلى التّغيير الزّماني، أي التاريخ والتّطوّر عبر الزّمان، وبين ما هو آنيSynchronic خاص بالنّظام الباطني للّغة**(ومن ثمّ نشأت النّزعات البنوية الحديثة).

- **اللّجوء إلى الصّياغة المنطقيّة الرّياضيّة**: وهذا من أهم ما تمتاز به العلوم الإنسانية عن غيرها كالآداب والفلسفة(وكلّما كانت النّظريات في هذه العلوم أكثر نجاعة أو أكثر طواعية للصّياغة الرياضية كانت أعظم دقّة وأقرب إلى نظريّات العلوم الدّقيقة) وغير ذلك من المزايا.

إنّ قناعات الحاج صالح الّتي دافع عنها طيلة مسيرته العلميّة الحافلة بالإنجازات لم تكن بدافع الحنين أو العاطفة أو التّعصّب للتّراث اللّغوي الضّخم، بل كان بعد دراسة علميّة منهجيّة متأنّية وعميقة، جمعت بين التّعمّق في دراسة وفهم التّراث اللّغوي العربي خاصّة النّحوي منه، وكتاب سيبويه بالخصوص الّذي يعبّر عن فكر الخليل بن أحمد الفراهيدي الأب الروّحي للنّحو العربي إن صحّ التّعبير، بالإضافة إلى شيوخه ومعاصريه وتلاميذه وسيبويه خاصّة، وبعض من تأخّر من النحاة كابن جنّي وأبي على الفرسي والإستراباذي والسّهيلي، وغيرهم ممّن كان لهم فكر ثاقب وروح علميّة واضحة المعالم ومن جهة مقابلة درس اللّسانيات الغربيّة في مهدها فاحتكّ بأهم أعلامها،كأندري مارتيني وتشومسكي، فهو لم يتأثّر باللّسانيات عن طريق بعض العرب المتأثرين بها أو بعد الاطّلاع على كتب مترجمة فهو يتقن اللّغات الأجنبية بشكل متمكّن خاصّة الفرنسية والإنجليزية، يضاف إلى ذلك كلّة التّتبع التّاريخي للدّراسة اللّغوية البشريّة بداية من أقدم الحضارات وصولاً إلى أحدثها، آخذًا قناعةً في الأخير لا تقبل الشّك أنّ التّراث اللّغوي العربي بني على أسس علميّة دقيقة وذكاء خارق في التّحليل والطّرح جمع بين الأصالة والعمق في التّفكير يمكن استثماره لتطوير البحث اللّساني في العصر الحديث بمفهومه الواسع، وأنّ اللسانيات الحديثة ستكون الخاسر الأكبر إن لم تُطعّم بما قدّمه الرّعيل الأوّل من النّحاة العرب من تفسير وتحليل للظّاهرة اللغويّة وإن كانت خاصّة بالعربية،لكن ذلك لن يكون مانعًا بتاتًا ما دام تحليل هؤلاء مبنيًّا على أسس علميّة رياضية تجريدية إجرائية، فاللّغات وإن اختلفت ألسنتها لكن أواصر القربى بينها متجذّرة تجذّر العقل البشري الواحد.

ثانيا - المفاهيم الأساسية للنظريّة الخليليّة الحديثة:

اعتمد العلماء العرب-وزعيمهم في ذلك الخليل- على عدد من المفاهيم والمبادئ لتحليل اللغة مثل: مفهوم العامل، الأصل والفرع، الاستقامة من الكلام والإحالة، الانفراد وحد اللفظة، مفهوم الباب[2]...

1مفهوم العامل:

من المعلوم أنّ النّظريّة اللّغويّة عند العرب أسّست على فكرة جوهريّة، وهي العمل النّحوي أو العامل، إذ بُني النّحو عند الخليل وسيبويه على نظرية العامل[3]، والعامل كما سبق التّذكير هو العنصر الدينامي الّذي يتحكّم في التّركيب العربي وهو المحور الّذي يُبنى عليه وهو كيان اعتباري كما يقول الحاج صالح، وهو متموضع داخل البنية وليس في تسلسل الكلام، وقد يكون مساويًا للصّفر(فارغًا)، وذلك في حالة العامل المعنوي(الابتداء) عند النّحاة وقد يكون كلمة مفردة(كان وأخواتها، إنّ وأخواتها، مثلاً)، وقد يكون لفظة(اسم وفعل ولوازمهما)، وقد يكون تركيبًا بكامله (أعلمت عمرًا/زيدًا قائمًا)[4].والعامل في النّظريّة الخليليّة ما أثّر بغضّ النّظر على الرّتبة الّتي يحتلّها[5]، حيث إنّه قد يكون أوّل التركيب(كان زيدٌ منطلقًا) ، أو داخل التركيب(منطلقًا كان زيد)، (زيد كان منطلقًا)، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال الشكل التالي:[6]

---

[1] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج1، ص103.

[2] - ينظر: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي، ص378.

[3] - ينظر: الحذف النحوي عند سيبويه في ضوء النظرية الخليلية، عائشة جمعي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016م، ص7.

[4] - ينظر: العامل عند الدكتور الحاج صالح نموذج لربط التراث النّحوي باللسانيات الحديثة، ص147، وينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربي، ج2، ص89.

[5] - ينظر: نظريّة تشومسكي في العامل والأثر، ص118.

[6] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص88، وينظر: العامل عند الدكتورعبد الرحمان الحاج نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، ص146.

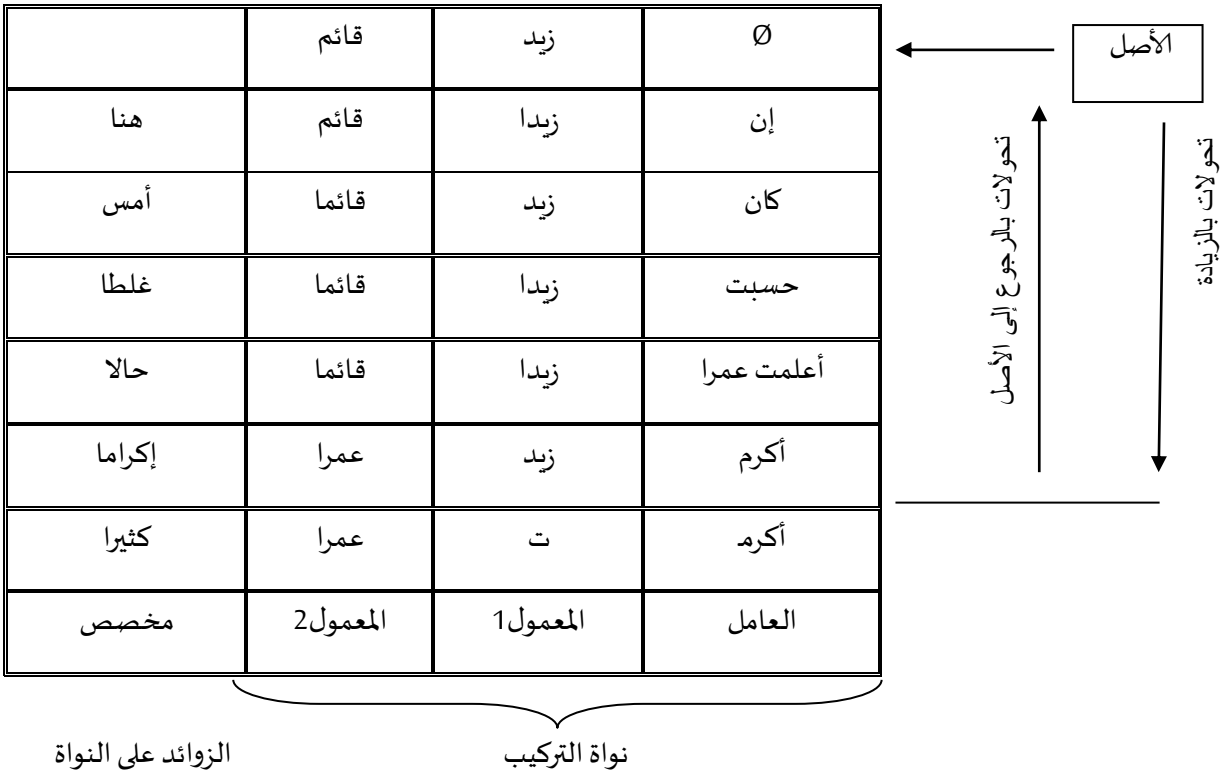

العامل	المعمول1	المعمول2	مخصص
أكرم	ت	عمرا	كثيرا
أكرم	زيد	عمرا	إكراما
أعلمت عمرا	زيدا	قائما	حالا
حسبت	زيدا	قائما	غلطا
كان	زيد	قائما	أمس
إن	زيدا	قائم	هنا
Ø	زيد	قائم	

كل التراكيب المذكورة في الجدل متكافئة من حيث إنّها تتضمّن نواة تركيبية واحدة أصليّة(زيد قائم)، زيدت على أصولها وحدات أثّرت في النّواة لفظًا ومعنى، ولذلك سُمّيت هذه الزيادة المؤثّرة عاملاً، وما تأثّر بهذه الزيادة معمولاً.

أ- أحكام العامل في النظريّة الخليلية:

***- العامل(ع):** يتحكّم في التّركيب وهو محوره الذّي يُبنى عليه قد يكون ظاهرًا مثل: الأفعال تامة وناقصة إن وأخواتها، ويُسمّى بالمفهوم التّقليدي(عامل لفظي)، وقد يكون مخفيًّا غير ظاهر يمثّل له بالعلامة الصّفريّة(المجموعة الخالية) وهو الابتداء ويُسمى بالمفهوم القديم(عامل معنوي) يعمل العامل في معموليه لفظًا ومعنى، وهو سبب إعرابهما وسبب تغيير المعنى وأهم من ذلك كلّه أنّه أي العامل هو سبب بناء الكلام، فلا كلام مفيد بدون بنية يحكما ويتحكّم فيها وأساسها العامل.

- فالعامل هو كيان اعتباري(موضع في البنية)، وليس في تسلسل الكلام وقد يكون كلمة، مثل(إنّ) أو لفظة مثل (حسبت) وقد يكون تركيبًا كاملاً، مثل(أعلمت عمرًا)، وقد يكون لا شيء بالمعنى الرياضي(الصّفر)، وهو الابتداء يرمز له(Ø)= خلو الموضع.

- والعامل قد يتصدّر التّركيب، مثل (كان زيد مشغولاً)،فهو أوّل في الذّكر في مثل هذه الحالة، وقد يدخل داخل التّركيب ولا يفقد العامل وظيفته في النّظرية الخليلية، بغض النّظر عن الرتبة الّتي يحتلها مثل:(زيد كان مشغولاً) أو(مشغولاً كان زيد).

- العامل محور التّركيب ويهيمن عليه، فهو نواة الكلام.

- العامل سبب الآثار الصوتية(حركات الإعراب)، (كل عامل=حالة إعرابية)، (كل حالة إعرابية=علامة إعرابية)

(إذا العامل ⟷ علامة إعرابية (الأثر الصوتي)[1].

فالعامل في النظرية الخليلية من هذا المنطلق ينقسم إلى نوعين[2]:

الأول- نوع يؤثّر نحويًّا ، كالنواسخ والأفعال.

الثاني- نوع يؤثّر دلاليًّا وهو ما يسميه النّحاة بمستوى التّصدير ما فوق العامل.

***- المعمول الأوّل(م1):** يشكل رفقة عامله زوجا مرتّبا (Couple ordonné). في اصطلاح الرياضيات، فلا يمكن أن يتقدّم على العامل، وإذا حدث ذلك ينهد البناء(الفاعل لا يتقدّم على فعله)، وإذا حدث ذلك تتغيّر الجملة من فعليّة إلى اسميّة (ويصبح

[1] - ينظر: العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النّحوي باللسانيات الحديثة، ص147-148.

[2] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة، ج2، ص89، وينظر: العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النّحوي باللسانيات الحديثة، ص147-148.

الفعل مع فاعله الضّمير المستتر في محل الخبر)، وموضع المعمول الأول قد يدخل فيه المبتدأ أو الفاعل أو ما يقوم مقامهما[1].

* – **المعمول الثّاني(م2)**: هذا العنصر يتمتّع غالبًا بحرّية الحركة، حيث قد يتقدّم على عاملة والمعمول الأوّل إلّا في حالة جمود العامل مثل: (إن)، إلا إذا كان ظرفا مثل:(إن في الدار زيدا)، وموضع المعمول الثّاني يدخل فيه الخبر والمفعول أو ما يقوم مقامهما[2].

ومجموع العامل ومعموليه تكوّن النواة الأساسية لكل جملة من حيث البناء النّحوي الإعرابي، أما من حيث الإفادة فتتكوّن من مسند ومسند إليه (الكلام المستغني)، وفي هذا المستوى التّركيبي توجد أيضا زوائد، مثل الزوائد في وزن الكلمة، وهي جميع المفاعيل إلّا المفعول به، فهو فضله في الإفادة لكنه عنصر نووي في البنية اللّفظية، لأنه بمنزلة الخبر من حيث الموضع وكذلك التّمييز والحال والمستثنى المنصوب بالاستثناء[3].

* – **المخصص(خ)**:هو زيادة على المجموعة النّووية: العامل ومعموليه، وليس زيادة على الأصل الّذي هو:(زيد قائم)[4]، فهذا العنصر يمكن أن يزاد إلّا أنّه موصول وليس مبنيًّا مع العناصر الثّلاثة، ويدخل فيه المفعول فيه والمفعول لأجله والحال...إلخ(الفضلات)[5].

ويمكن تمثيل هذه الأصول إضافة للمخصص غير النووي بهذه الصيغة: [(ع⟵ م1) ± م2] ± خ.

وقد أوجز أستاذنا-الحاج صالح- أبنية الكلام في العربية (في كلّ اللغات؟) في رسم بياني ، حيث قال: إنّ أصغر ما يُبنى من الكلام يتكوّن دائما من عامل(ع) ومعمول أول(م1)، ومعمول ثان(م2)، يكون العامل والمعمول الأول اللّفظة المبني عليها الّتي يبتدئ بها الكلام، أمّا المعمول الثّاني فيشغل اللّفظة المبنية.[6]

2- الأصل والفرع:

تعد فكرة الأصل والفرع فكرة رياضية بحتة تقوم على فكرة بسيطة، أنّ كلّ مجموعة من المتجانسات ترجع إلى أصل واحد[7]، فأصل الشّيء هو الثّابت المستمر وليس فيه زيادة، وإذا ما زدنا فيه أصبح ذلك الأصل بعد الزّيادة فرعًا والزيادة عمومًا هي عمليّة تحويليّة[8].والأصل يرتبط مع فروعه بعلاقة الاحتياج أو الافتقار، فالفرع مفتقر إلى الأصل افتقار غصن الشّجرة إلى جذرها، والأصل بهذا المعنى يدلّ على الثّبوت والرّسوخ والبقاء، في حين تفتقر فروعة لمثل هذه الخصائص في الغالب فتتجدّد وتتعدّد وتتغيّر[9]، ويربط النّحاة بين الأصل الواحد وفروعه، بقياس شكلي يسوّغون به إلحاق الفروع بالأصل الواحد، ويخصّون الأصل بمزيّة لا يمكن أن تدركها كل فروعه المتفرّعة عليه فتنحلّ الظّاهرة الواحدة إلى درجات ومراتب، ويذكر الدّكتور **حسن خميس الملخ** أن هذا المفهوم (الأصل والفرع) مرّ بمرحلتين، فكان **في الأولى** مصطلحًا بارزًا من مصطلحات النّحو، وأضحى **في الثّانية** مفهومًا أساسيًّا في علم أصول النّحو دون أن يتغيّر لفظه بل بقي ثابتًا، استوعب ما طرأ عليه من دلالات في النّحو وأصوله[10].

إنّ فكرة الأصل تمتدّ لتشمل كلّ أنواع النّحو ومستوياته فكلّ ظاهرة نحويّة متجانسة ترجع إلى أصل واحد فالعمل النّحوي له أصل واحد، والإعراب له أصل واحد، وللبناء أصل واحد، ولكل باب نحوي قاعدة عامّة واحدة تسمى أصل القاعدة وللكلمة (اسم وفعل وحرف) أصل مجرّد لوضعها صيغة ودلالة، وللجملة أصل واحد يربط أجزاءهاوللأدوات النحويّة المتجانسة أصل واحد يسمّى أصل الباب، وأصل دلالة الكلمة على مدلولها التّجرّد من العلامة الخطّيّة واللّفظيّة...إلخ[11].

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص16، وينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص223.

[2] - المصدرنفسه، ص16 ، وينظر:ج1، ص223، وينظر: العامل عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النّحوي باللسانيات الحديثة، ص148.

[3] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص75. العامل عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النّحوي باللسانيات الحديثة، ص149.

[4] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص89.

[5] - المصدرنفسه، ص16، 41.

[6] - مبادئ في اللسانيات، ص113، وينظر: العامل عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، ص152-153.

[7] - ينظر: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ، ص131.

[8] - الحذف النحوي عند سيبويه في ضوء النظرية الخليلية الحديثة، ص11.

[9] - ينظر: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ص75.

[10] - نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ، ص71.

[11] - ينظر: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ص130-131.

فعلى سبيل المثال يعتبر النّحاة(الفعل هو الأصل في العمل وكلّ ما سواه محمول عليه ومشبّه به)، فهو يرفع الفاعل بحقّ الأصل، أما إذا عمل الاسم أو الحرف فلعلة لحقتهما وهي مشابهة الفعل بوجه من الوجوه[1]، لذلك يقول**ابن يعيش** في شرح المفصّل:«أصل العمل إنّما هو الأفعال وإذا عُلِم ذلك، فليُعلم أنّ الفروع أبدًا تنحط على درجات الأصول ولمّا كانت أسماء الفاعلين فروعًا على الأفعال، كانت أضعف منها في العمل، والّذي يؤيّد ذلك أنّك تقول:"زيدٌ ضاربٌ عمرًا" و"زيدٌ ضاربٌ لعمرو"، فتكون مخبرًا بين أن تعدّيه بنفسه، وبيّن أن تعدّيه بحرف الجر لضعفه، ولا يجوز مثل ذلك في الفعل، فلا تقول:" ضربتُ لزيدٍ"»[2].

وكذلك أصل الإعراب للاسم كما يذهب البصريون، فالمعرب هو الاسم والفعل فرع عليه، وقال الكوفيون أنّ المضارع أصل في الإعراب أيضًا[3]، وهذا ربّما يفسّر تسميّة المضارع لمشابهته الاسم في عدّة أوجه، منها الشكّل والإعراب أيضًا .

وبعد أنّ أجمع جمهور النّحاة على أهليّة الاسم لأصل الإعراب، قبلوا بأن يكون الفعل المضارع فرعًا عليه، وذلك لتشاركه مع الأسماء في ثلاث خصال[4]:

- فيها شياع وعموم ثمّ تختص للحال والاستقبال.
- تدخل عليها لام الابتداء، نحو" إنّ زيدًا ليخرج كلّ صباح".
- قد تشغل موقع الاسم، نحو:"مررت برجل يخطب أو خاطبٍ".

وفي المقابل يعلل النّحاة وجود بعض الأسماء المبنيّة لمشابهتها بعض المبنيات، وما شابه شيئًا أُعطِي حكمه،كما أعطوا الأفعال أصل البناء، وقد ذهب بعض من الكوفيين إلى أنّ الأصل فيها الإعراب وكذلك البناء[5].

كما أنّ الزمن الحاضر أصل والماضي فرع عليه والمفرد أصل والجمع فرع عليه[6]، حيث يذكر **سيبويه** في الكتاب:«وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكّر، لأنّ الأشياء كلّها أصلها التّذكير ثم تختص بعد ذلك(علامات التأنيث)، فكل مؤنّث شيء والشيء يذكّر، فالتّذكير أوّل وهو أشدّ تمكّنا، كما أنّ النّكرة أشد تمكّنا من المعرفة، لأنّ الأشياء إنّما تكون نكرة ثم تعرّف، فالتّنكير قبل وهو أشد تمكنا عندهم، فالأوّل أشد تمكّنا عندهم، فالنّكرة تعرفهبالألف واللّام والإضافة، وبأن يكون عَلَمًا والشّيء يختص بالتّأنيث، فيخرج من التّذكير كما يخرج المنكور إلى المعرفة»[7].

والجملة الّتي تتألف من عنصرين هي الأصل، فيحملون عليها جملاً أخرى تكون فيها الزّيادة بالنسبة للجملة البسيطة بحيث تظهر بذلك كيفية تحوّل النّواة بالزّوائد، فالمفرد أصل والمثنى والجمع فرع عليه(علامات التّثنية وعلامات الجمع) والمكبّر أصل والمصغّر فرع عليه والجملة المبنيّة للفاعل أصل للجملة المبنيّة للمفعول، وقد اعتبر تشومسكي الجملة المبنية للفاعل نواة ومنطلقاتها للتّفريع، **فالأصل عند النّحاة هو ما يُبنى عليه ولا يُبنى على غيره ولا يحتاج إلى علامة تميّزه على غيره فله العلامة العدميّة(marque zero)**[8].

هذا وتعتبر قضيّة العلامة من المسائل اللافتة في قضايا الأصل والفرع، فيكاد النّحاة يجمعون على أنّ الفروع هي الّتي تحتاج إلى علامات تميّزها، والأصول لا تحتاج لهذه العلامات لأنّ العلامة زيادة والأصل عدم الزّيادة والعلامة تخصيص والعام أصل للخاص، وهي طارئة والعام أصل للطارئ، والعلامة تجعل اللّفظ مركّبًا والبسيط المجرّد أصل للمركّب...[9]

3- مفهوم الاستقامة والإحالة:

يقول سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة:«فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب:

فأمّا المستقيم الحسن، قولك: أتيتك أمس وسآتيك غدًا.

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص80-81.

[2] - شرح المفصّل ، ج6، ص78.

[3] - ينظر: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ص83.

[4] - ينظر: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ، ص83-84.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص38-84.

[6] - النحو العربي والدرس الحديث، ص 144.

[7] - الكتاب، ج3، ص241-242.

[8] - ينظر: العامل عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، ص76، وينظر: مجلة اللسانيات، العدد:6، ص71-72.

[9] - ينظر: نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ص85-86.

وأمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدًا وسآتيك أمس.

وأمّا المستقيم الكذب، فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه.

وأمّا المستقيم القبيح، فأن تضع اللّفظ في غير موضعه، نحو قولك:قد زيد رأيت وكي زيدًا يأتيك، وأشباه هذا.

وأمّا المحال الكذب فأن تقول:سوف أشرب ماء البحر أمس».[1]

يقول الحاج صالح:«فسيبويه على إثر الخليل هو أوّل من ميّز بين السّلامة الرّاجعة للّفظ والسّلامة الراجعة للمعنى (المستقيم المحال)، ثمّ ميّز أيضًا بين السّلامة الّتي يقتضيها القياس(أي النّظام العام الّذي يميّز لغة عن لغة) والسّلامة الّتي يفرضها الاستعمال الحقيقي للنّاطقين(وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان النّاطقين أنفسهم) مستقيم حسن فعلى هذا يكون التّمييز بهذه الكيفية:

مستقيم حسن(Grammatical et Acceptable) ⟵ سليم في الاستعمال والقياس.

مستقيم قبيح(Grammatical mais non Acceptable)⟵ سليم في القياس قبيح في الاستعمال.

مستقيم محال(Grammatical et Asémaantique) ⟵ سليم في القياس والاستعمال غير سليم من حيث المعنى».[2]

فاللّفظ إذا حُدِّد وفُسِّر باللّجوء للمعنى فهو تفسير معنوي، وإذا كان التّفسير بالاعتماد على اللّفظ دون المعنى فهو تحليل نحوي، والخلط بينهما يعتبر خطأً بل وتقصيرًا[3]، وذلك كالاقتصار على تحديد الفعل بأنّه ما دلّ على حدث وزمان فهذا تحديد على المعنى، أمّا التّحديد على اللّفظ، فهو ما تدخل عليه زوائد معيّنة مثل(قد، السين، ويصل به الضّمير في بعض صيغه)[4]، يقول **الحاج صالح**:« وقد بنى على ذلك النّحاة أنّ اللّفظ هو الأوّل لأنّه هو المتبادر للذّهن أوّلاً ثمّ يُفهم منه المعنى ويترتّب على ذلك أنّ الانطلاق في التّحليل يجب أن يكون من اللّفظ في أبسط أحواله وهو الأصل».[5]

4- مفهوم الانفراد وحد اللّفظة:

ينطلق النّحاة من الاسم المفرد في تحليل اللّغة العربيّة، لأنّه النّواة والأصل وأطلق عليه الخليل الاسم المظهر، وأطلق عليه ابن يعيش والإستراباذي مصطلح اللّفظة، وترجمها **عبد الرحمان الحاج** صالحLexie[6]، وينقل الحاج صالح كلامًا للخليل على لسان تلميذه سيبويه يقول فيه:"**وأنّه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدًا لأنّ المظهر يسكت عنده وليس شيء قبله، ولا يلحق به شيء**"، الذي يسكت عنده وليس شيء قبله هو الاسم الّذي(ينفصل ويبتدئ)، وبالفعل كان المنطلق عندهم كل ما ينفصل ويبتدئ وهي صفة الانفراد، ويمكن أن يكون لذلك الأصل أشياء أخرى تتفرّع عليه، ولذا وجب أن ينطلق من أقلّ ما ينطق به ممّا ينفصل ويبتدئ(=ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية[7].

إنّ مستوى اللّفظة لم تعرفه البنيويّة الأوروبية خاصّة، فهي ترى في الوحدة الدّالّة أو المورفيم هو ما يشكّل جزءًا أو قطعة من الكلام ولها حدود يمينًا وشمالاً، وإذا زِيدَ على ذلك أصبحت مورفيمًا، أمّا في العربية فالوحدة الدّالّة كالاسم والفعل قد يكونان يشكّلان مفردة،مثل كلمة"كتاب" أو على شكل هذه المفردة مع ما يدخل عليها لزيادة تحديد معناها كتخصيصه مثلاً بـ:(أل التعريف) ،"الكتاب"، أو الإضافة،"كتاب علي" أو الصّفة،"كتاب مفيد" أو الجر"بالكتاب" فهذه الوحدات عند العرب وحدات دالّة متكافئة، وهم ينطلقون من أنّ هذه الزّوائد لا تُغيّر الحكم، فالاسم يبقى اسمًا والفعل يبقى فعلاً وهما يكوّنان وحدة رغم هذه الزّيادة، وهذه الوحدات مع الزّوائد تكوّن الجمل، وهذا يعني أنّ الجملة العربيّة لا تتكوّن من مورفيمات فقط بل مجموعات مورفيميّة[8]، وهذا يعني أنّ المفردة قد تكون مورفيمًا واحدًا(عنصر واحد)، وقد تكون أكثر من مورفيم واحد(مجموعة)، كالمضاف

---

[1] - الكتاب، ج1، ص49، وينظر:العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديث، ص71، وينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص218.

[2] المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي، 378-379، وينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص218.

[3] - ينظر: العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديث، ص71.

[4] - ينظر: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات الحالية في العالم العربي، ص379.

[5] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص219، وينظر: العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النّحوي باللسانيات الحديثة، ص71 وينظر: المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، ص4.

[6] - ينظر: العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لرط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، ص72، وينظر: بحوث ودراست في اللسانيات العربية، ج1، ص219.

[7] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص219.

[8] - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص72-73.

والمضاف إلية، الصّفة والموصوف، وقد يذكر للاسم أكثر من صفة في الكلام، فهذا الاسم مع صفاته إن كانت في خطّ واحد فإنّه يمثّل وحدة عند العرب، وقد تفطّن البنيويّون الأمريكيّون لذلك مثبتين ذلك في تحليلهم إلى المكوّنات القريبة Immediat Constuents Analysisوتبعهم تشومسكي بعد ذلك، فحاول أن يصوغ ذلك على شكل شجرة[1].

إنّ اللّفظة من هذا المنطلق في النظرية الخليلية الحديثة، عمادها الأساس الوقف والابتداء، فهي أقل ما ينطق به وينفصل، ويسكت عنه ولا يلحق به شيء، أو يبتدِيء فلا يسبقه شيء، فما ينفرد وينطلق أو ما ينفصل ويبتدئ هو صفة الانفراد، ومن الألفاظ ما ينفصل ويبتدىء مثل:"الرّئيس"نحو: جاء الرئيس، ومنها ما لا ينفصل ولا يبتدئ، مثل ضمير(تاء الفاعل) و(نا) "المضاف إليه"، كقولنا: "خرجت، كتابنا"، ومنها ما يبتدئ ولا ينفصل كحرف الجر في قولنا:"في التّأنّي السّلامة"[2] ويحمل النّحاة اللّفظة على غيرها من المثل والنّماذج، فتتفرّع إلى لفظات هي نظائر للنّواة، ولكنّها أوسع منها من خلال تعاقب زيادات قبليّة وبعديّة عليها، دون أن تفقد وحدتها أو تنفرد فيها أجزاؤها، فلا تخرج عن كونها لفظة(أي قطعة واحدة)، ويسمّي النّحويّون هذه القابلية للزّيادة يمينًا وشمالاً التّمكّن، وله درجات[3]:

- **التّمكّن الأمكن**، وهو الّذي يحمل معناه بداخله وليس في حاجة إلى غيره، ويتمثّل في اسم الجنس المتصرّف كرجل وفرس وشجرة.
- **التّمكّن غير الأمكن** ، ويتمثّل تحديدًا في الممنوع من الصّرف.
- **غير المتمكّن ولا أمكن**، ويتمثّل في الاسم المبني.

وانطلاقًا من هذا التّصوّر للفظة حددها الحاج صالح إجرائيّا في الشّكل التالي[4]:

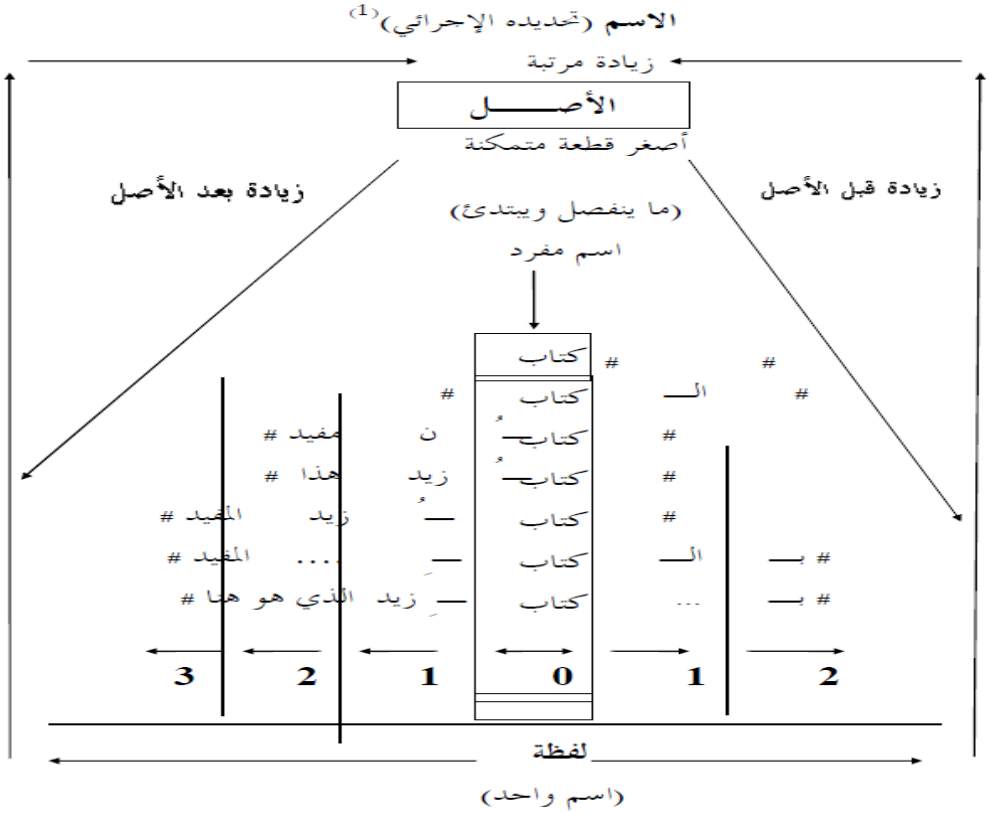

ومن التّحديد الإجرائي للاسم يتبين ما يلي:

- التّحويل بالزّيادة يحدّد الوحدات في النّظرية الخليلية.

---

[1] - ينظر: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، ج2، ص73.

[2] - العامل عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح نموذج لبرط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، ص72، وينظر: المفاهيم الأساسية للنظريّة الخليلية الحديثة، ص5.

[3] - بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، ج2، ص73.

[4] - العامل عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح نموذج لبرط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، ص74، وينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص220.

-كل العمليات المحمولة بعضها على بعض بعمليات التّحويل هي نظائر للنّواة، من حيث إنها وحدات تنفرد أولاً ومفرّعة عنها بالزّيادة ثانيًا.

- الوحدات المحمولة بعضها على بعض مجموعة ذات بنية تسمّى في الاصطلاح الرّياضي بالزّمرةStructure de groupe،والعلاج الآلي للنصوص يستلزم مثل هذه الصّياغات الرياضيّة الّتي على شكل خوارزمياتagorithmes[1].

5- مفهوم الباب:

يطلق الباب أوّلاً على المجموعات المرتبة من الحروف الأصليّة للكلمة الثلاثية، مثل"(ض.ر.ب) و(ر.ب.ض)، وغيرهما وكذلك على أبنية الكلمة، أي أوزانها مثل:(باب فَعَلَ)، و(باب فَعُلَ) وغيرهما، وهذان البابان يخصّان الكلمة أي المفردات[2]. ويتجاوز سيبويه هذا المستوى، فسمّى أنواع التّراكيب أبوابًا، وذلك مثل قوله:(باب حسبك)، و(باب لقيًا وحمدًا)، وقد يقصد من الفصول الّتي قسّم بها كتابه أبوابًا، كقوله:(هذا باب ما جرى من الأمر والنّهي فيه أسماء مضافة)، و(هذا باب ما يضمر فيه الفعل)، وهذا في الجزء الأول من كتابه[3].

لذلك فإن مفهوم الباب لا يخصّ مستوى واحد من مستويات اللّغة بعينه، بل إنّه يشمل اللّفظ والمعنى إفرادًا وتركيبًا وما هو أعلى من هذه المراتب، ونسطيع القول بأنّ الباب«هو مجموعة من العناصر الّتي تنتمي إلى فئة، أو صنف وتجمعها بنية واحدة، وبصفة عامّة يجمعها مجرى واحد من المجاري الخاصّة بعناصر اللّغة»[4]، ومنه جاء مصطلح "**نحو الأبواب**"، وهو اتّجاه لساني يراعي تشكيل المادّة النّحويّة في العرض أن تكون على أبواب متعدّدة، كلّ باب يشكّل وحدة داخليّة علميّة تنسلك فيه مسائله بمنهج علمي في ترتيبها، وتجربة التّأليف في هذا الاتّجاه تظهر في تقسيم المادة النّحوية في كتب النّحاة على شكل أبواب مثل :ما فعل سيبويه والمبرّد وابن السرّاج[5]، ومنه كذلك ما يعرف بنحو الأحكام، ونحو الظواهر، نحو المسائل.

فسيبويه على سبيل المثال جمع مسائل الاستثناء بشكل متسلسل، فبدأ أبواب مسائل الاستثناء بقوله:(هذا باب الاستثناء، فحرف الاستثناء إلاّ، وما جاء من الأسماء فيه معنى إلاّ فغير وسوى وما جاء من الأفعال فيه معنى إلاّ فلا يكون وليس وعدا وخلا، وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة وليس باسم، فحاشى(حاشا) وخلا في بعض اللّغات سأبيّن لك أحوال هذه الحروف إن شاء الله عز وجل الأوّل فالأوّل)[6].

وقد استعرض سيبويه أدوات الاستثناء وقسّمها إلى أصل كلّي وهي (إلاّ)، وفروع فيها معنى إلّا تأتي أسماءً وأفعالاً وحروف جر، ووعد بتبيينها على التّرتيب فتحدّث عن النّصب بإلاّ وجوبًا ثمّ جواز الإتباع والنّصب في الاستثناء التام المنفي، ثمّ الاستثناء المنفي، ثمّ الاستثناء المفرّغ، ثمّ المتّصل ثمّ المنقطع، كما تحدّث عن علامة إلاّ مع غير في الاستثناء والاستدرك،وأوضح أحكام تقدّم المستثنى وتكراره، وجواز إيلاء إلاّ الجملة الاسميّة، وشرح أحكام غير، وربط بينها وبين إلاّ في حذف المستثنى استخفافًا، كقول العرب:"ليس غير، وليس إلاّ"، ثمّ بيّن أحكام سائر الأدوات[7].

ومن هذا نستنتج بأنّ الباب معنى منطقي لا مجرّد جنس بالمعنى الأرسطي، وأفراد الباب تجمعها صيغة أو مجرى لا صفة فقط كما هو في الجنس[8]، وبهذا المعنى هو عمليّة رياضية، أطلق عليها ابن جنّى "حمل الشيء على الشيء أو إجرائه عليه[9]"، والباب بمفهوم الحاج صالح"اعتبار شيء بشيء"، وبالمفهوم العلمي الحديث هو"تطبيق مجموعة على مجموعة أخرى تؤدّي إلى إظهار بنية تشترك فيها جميع عناصرها، وهذه البنية يستنبطها المحلل بهذا العمل، وهذا الإجراء بالذّات"[10]، ويمكن أن نمثّل للباب بهذا الشّكل البسيط المتمثّل في باب(مفعل) ومثاله مفعل: مَـ كْـ تَـ بْ

---

[1] - العامل عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح نموذج لبرط التراث النحوي باللسانيات الحديثة ، ص75، وينظر: مجلة اللسانيات، العدد6، الجزائر، 1982م، ص79.

[2] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص318.

[3] - ينظر: المصدرنفسه، ص318.

[4] - المصدر نفسه، ص 318.

[5] - ينظر: التفكير العلمي في النحو العربي، الاستقراء، التحليل، التفسير: حسين خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط2015،1م، ص152.

[6] - المرجع نفسه، ص152.

[7] - ينظر: التفكير العلمي في النحو العربي، الاستقراء، التحليل، التفسير، ص152.

[8] - الاتّجاه البنّو افقي، ص141.

[9] - الخصائص، ج1، ص213.

[10] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 ، ص،318.

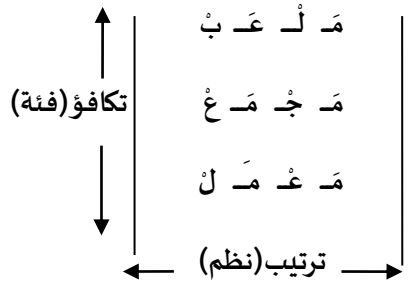

فهذه فئة اسم المكان الثّلاثي أي باب مَفْعَلْ(مثاله مَفْعَل):

تكافؤ ⟵ فئة+ ترتيب(أو نظم)= فئة اسم المكان- باب مَفْعَل ومثاله مَفْعَل.

ويعتبر الحاج صالح مفهوم وزن الكلمة ليس معروفًا عند اللّسانيين الغربيين، وإن تعرّف عليه بعضهم فعن طريق المستشرقين عن بنية العربيّة، وقد أخذ هؤلاء ذلك عن النّحاة العرب، أمّا من درس النّحو العربي التّقليدي فهو غالبًا يجهل أمرين اثنين هامّين:

الأول- أنّ مفهوم المثال مفهوم منطقي رياضي محض، وهذا مخالف تمامًا للمنطق غير الرّياضي.

الثاني- المثال غير منحصر في مستوى المفردات(الأوزان الصّرفية)، بل يتجاوزها إلى التّركيب الّذي له مُثله وليست التّرتيبات المختلفة(فعل فاعل مفعول)،(مبتدأ خبر) كما يعتقد الحسوبيون، بل هي مُثل أكثر تجريدًا، فللجمل المفيدة بُنى لا تتمثّل في ترتيب عناصرها، بل في مثال اعتباري يحصل في مستوى أعلى من التّجريد الإنشائي[1].

[1] - ينظر: المصدر السابق، ج1 ص320-321.

المحاضرة السادسة:(اللسانيات العربية والغربية –التأثير)

تمهيـــد:

معلوم أنّ "التّراث الإنساني ليس ملكًا لأحد كما ذكر أبو سعيد السّيرافي في مناظرته الشّهيرة مع أبي بشر متّي بن يونس بقوله:"فإنّ علم العالم مبثوث في العلم بين جميع من في العالم"، وأنّ التقاء الحضارات وتبادل الثّقافات معروف مشهور والتّأثير والتّأثّر بين الشّعوب حتمٌ لازمٌ[1]، وأن لا شيء يُخلق من لا شيء، ولكن أردنا الخوض في مسألة إمكانيّة تأثّر علماء اللّسانيات الغرب بالتّراث اللّغوي العربي لأنّ هذه المسألة بالذّات ممّا يجعل الإنسان يطرح بعض التّساؤلات، هل اللّسانيات علم غربي خالص؟ وهل اللسانيات كما يقول أصحابها لها استقلاليّة وبداية جديدة تجعلها في حلٍّ، ولا تُدين بشيء، وفي غنى عمّا سبقها من علوم لغويّة؟! كيف يعترف الغرب أو يذهب جلّ الدّارسين أنّ سبب تطوّر الحضارة العلميّة الغربيّة ما نهله الغرب من العرب في شتّى الميادين العلميّة، غير أنّ شيئًا لا يكاد يذكر بخصوص نهضتهم اللّغوية؟ وهل هذا التّغييب هو تغييب وجود أم تغييب إقصاء مفتعل، وعدم إشهار له وعدم إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه؟ وليس ذلك غريبًا نظرًا لحساسيّة اللّغة وارتباطها بالمعتقد(جانب أيديولوجي).

أولا-هل للّسانيات الغربية الحديثة جذور عربيّة؟!:

في بداية النّهضة في العالم الغربي بداية القرن الخامس عشر يقف المؤرّخون على ظهور النّحو الفلسفي أو العقلاني ثمّ ازدهار النّحو المقارن في القرن التّاسع عشر بعد اكتشاف اللّغة السّانسكريتية(الهنديّة القديمة)، وهكذا ينعدم ذكر العرب عند التّأريخ للتّفكير اللّساني البشري بما يُحدث القطيعة في تسلسل التّاريخ الإنساني[2]، وليس التّاريخ اللّغوي العربي وحده المنسي، بل إنّ اللّغة العربيّة ذاتها باعتبارها نمطًا لغويًّا لا تجد حظّها عادة عند استعراض اللّسانيين لنماذج اللّغات في العصر الحديث![3].

ليس هذا فحسب، فلقد سبق العلماء العرب إلى كثير من النّظريّات العلميّة الّتي تنسب في الوقت الحاضر إلى علماء النّهضة الأوروبيّة، دون إشارة إلى هؤلاء الرّوّاد الّذين تكلّموا في التّطوّر قبل تشارلز داروين وفي الجاذبية قبل نيوتن، وفي انكسار الضّوء قبل ديكارت، وأعمال ابن الهيثم وابن مسكويه وابن النّفيس والرّازي وغيرهم كثير[4].

إنّ هذه الثّغرة كما يقول **المسدّي** ليست عفويّة، ولا يمكن أن تخلو من مؤشّرات تفسّرها، وإن لم تستطع تبريرها ذلك أنّ النّهضة الغربيّة قامت أساسًا على مستخلصات الحضارة العربية بعد أن ترجمت أمّهات كتبها، ونقلوا الرّياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والطبّ وحتّى الفلسفة، حتّى كان ابن رشد مفتاح النّهضة الأوروبيّة، فكانت وقود حضارتهم الّتي ملكوا بها العالم، فالغرب استفاد من كلّ جهود الحضارة العربيّة، مستثنين من ذلك تراث العرب اللّغوي إنّه لأمر عجاب؟![5].

ففي الوقت الّذي كانت فيه الحضارة العربية الإسلاميّة قد بلغت أوجّ تقدّمها وازدهارها، كان المجتمع الأوروبي يحيا حياة تتّسم بالتّخلّف والجمود والانحطاط في جميع مجالات الحياة، أطلق على هذه الفترة من حياة أوروبا اسم القرون الوسطى الّتي امتدّت من نهاية القرن الرّابع ميلادي، وظلّت معظم معالمها وأغلب ظواهرها باقية ما لا يقلّ عن عشرة قرون[6]، ولإثبات إمكانية تأثر اللسانيات الغربية بالتراث اللغوي العربي يمكن أن نستدلّ بما يلي:

1-إسهامات العلماء العرب في ازدهار الحضارة الغربية وسبقهم في شتى العلوم:

كانت عناية المسلمين في صدر الإسلام-خاصّة أيّام الأمويين- تقتصر على علوم الدّين واللّغة الّتي عرفت بالعلوم النّقليّة تمييزًا لها عن العلوم العقليّة الّتي وجّه إليها المسلمون نشاطاتهم الفكريّة في العصر العبّاسي، بعد أن استقرّت أمور الحكم وقلّت الحروب والفتوحات وكثرت الأموال والثّروات وراجت التّجارة ونشطت الرّحلات وبدأت الاتّصالات الثّقافية مع أمم ذات حضارات

---

[1] - ينظر: مدخل إلى تاريخ نشر التّراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1984م، ص15.

[2] - مباحث تأسيسيّة في اللسانيات، ص34-35.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص35.

[4] - تحقيق التراث العربي منهجه وتطوّره، عبد المجيد دياب، دار المعارف بالقاهرة، ط1، 1983م ، ص13.

[5] - ينظر:التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص22-23، وينظر: مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص35.

[6] - ينظر: التّراث العلمي والحضارة الإسلاميّة ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، أحمد فؤاد باشا، دار المعارف بالقاهرة، ط1، 1983م، ص24.

قديمة وكان طبيعيًّا أن تبدأ الحركة العلميّة في العصر الإسلامي بنقل معارف السّابقين، فانكبّ العلماء على ترجمة المؤلّفات اليونانيّة والسّريانيّة والقبطيّة والفارسيّة والهنديّة، وغيرها[1].

يقول المستشرق الفرنسي**جارودي المعاصر**:«**إنّه قبل نهاية القرن التّاسع الميلادي، ترجمت إلى العربيّة مؤلّفات أرسطو وجالينوس و أفلاطون وبطليموس وأرشميدس، كذلك ميكانيكا هيرون...وهي فترة لم تكن أوروبا قد تعلّمت القراءة! أنشأ المأمون في بغداد أكاديميّة ضخمة(بيت الحكمة)* وأصبح بفضلها معرفة الثّقافة اليونانية ميسورًا لجميع القرّاء، وهكذا فإنّ الثقافة العربية تعبّر عن الوجه الأساسي لعصر النّهضة الأوروبية، وهو الوجه الإنساني:أي بعث الماضي**»[2]، **وفي هذا الشأن بالذّات يقول برنال:«إنّ الفضل أعظم الفضل للعلماء العرب في الحفاظ على هذا التّراث وتدوينه ونقله والتّأليف فيه، وإنّ العلماء العرب قد بلغوا في ذلك شأوًا، وأنّهم تفوّقوا على الإغريق؛ إذ جعلوا العلم سهلًا مستساغًا فأقبل النّاس على النّهل منه، وكانت ميزة تفرّد بها العلم العربي**»[3].

لكن وبمجرّد اتّصال الأوروبيين بمراكز الحضارة العربيّة الإسلاميّة سواء أثناء الحروب الصّليبيّة الّتي تعتبر جسرًا عبرت عليه علوم الشّرق إلى الغرب، وبها تعرّف أبناء أوروبا على ذخائر العرب الرياضيّة والفلكيّة والطّبيّة والفلسفية[4] واستمّر الاتّصال الحضاريّ بالشّرق مدّة قرنين من الزّمن، ولقد أتلف الغزو الصّليبي المراكز العصبيّة للحضارة الإسلاميّة في منطقة الشّام، وقضى على ألوف الكتب والمخطوطات وعلى رأسها مكتبة بني عمّار الّتي تذكر بعض الرّوايات أنّ كتبها بلغت ثلاثة ملايين مجلّد، وهو رقم وإن قيل بأنّه مبالغ فيه إلاّ أنّه مؤشّر على ضخامة هذه المكتبة وتراثها بكلّ المقاييس[5]، أو أيّام الأندلس حيث ساد ما يقرب عن ثمانية قرون أو عن طريق جزيرة صقليّة الّتي خضعت لحكم العرب ما بين منتصف القرن التّاسع وأواخر القرن الحادي عشر، وقد تأثّر الأوروبيون بالحضارة العربيّة الإسلاميّة المزدهرة في مصادرها المختلفة، فلجأوا إلى دراسة الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، واقتبسوا منها الشّيء الكثيرولاسيما في مجال الفنون والعلوم الطّبيعيّة[6]. يقول **شوقي ضيف**:«**فلقد كان أسلافنا أساتذة للغرب في الأندلس وصقليّة وثغور الشّام ونهل منهم أبناء الغرب ممّا أتاح لهم نهضتهم الحديثة، حيث درس هؤلاء تراث العرب العلميّ في مؤلّفاته ومصنّفاته**[7]»،ولقد آمن الأوروبيون بأنّهم لايستطيعون أن يقفوا على تاريخ علومهم الطّبيعيّة وحضارتهم، إلاّ إذا وقفوا على تراث العرب العلميّ،لذا عنوا بجمع المخطوطات أيّام محنة المسلمين في الأندلس و صقليّة وفي أيام الحروب الصّليبيّة وعندما دخلوا بلادنا، حتّى تجمّع في مكتبات الغرب كمكتبة برلين ومكتبة باريس وليدن في هولندا والاسكوريال في إسبانيا وروما وصقلّيّة في إيطاليا ولينجراد وموسكو بروسيا وبرستون بأمريكا ما يزيد على ربع مليون كتاب![8] كما نشطت حركة التّرجمة من اللّغة العربيّة واللّغات القديمة إلى اللّغات اللاّتينية الّتي كانت وحدها لغة الأدب والعلم والدّين، ولكن عندما زاد اهتمام الأوروبّيين بلغاتهم القوميّة كالإيطالية والإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة والإسبانيّة، بدأوا بكتابة أبحاثهم ومؤلّفاتهم بهذه اللّغات ومن ثمّ انتقلت المعارف المتنوّعة إلى الشّعوب الأوروبّية في سهولة ويسر، وكان لاطّلاعهم على الكتب العربيّة المترجمة عن الإغريقيّة أكبر الأثر في تنبيههم إلى أهميّة تراث الإغريق والرّجوع إليه، ومحاولة الاستفادة من تراث حضارات العصور القديمة بالإضافة إلى تراث الحضارة الإسلاميّة في القرون الوسطى[9].

---

[1] - التّراث العلمي والحضارة الإسلاميّة ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، ص32.

* - لقد أنشأ المأمون في بغداد عام 830 بيت الحكمة، وهو مجمّع علمي ومرصد فلكي يضمّ إليه مكتبة ضخمة، تقول الرّوايات أنّه أنفق حوالي مئتي ألف دينار(حوالي مليون دولار أمريكي)، وهو مبلغ لا يستهان به بالنسبة لذلك الوقت، ويذكر ابن خلدون أنّ الإسلام مدين إلى هذا المعهد العلمي باليقظة العلميّة الكبرى الّتي اهتزّت لها أرجاؤه، كما يرى ولديورانت أنّ النتائج الّتي ترتّبت على إنشاء هذا الصّرح العلمي كانت أشبه بنتائج النهضة الأوروبية الّتي أعقبت القرون الوسطى، لمزيد من الاطّلاع ينظر مثلاً: التراث، بقلم رئاسة التحرير، مجلة علم الفكر، الكويت، المجلد:8، العدد:1، أفريل، ماي، جوان1977م، ص9-10.

[2] - تحقيق التراث العربي منهجه وتطوّره، ص178.

[3] - المرجع نفسه، ص179.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص179.

[5] - تحقيق التراث العربي منهجه وتطوّره، ص13.

[6] - التّراث العلمي والحضارة الإسلاميّة ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، ص24-25.

[7] - في التراث والشّعروالغة، د: شوقي ضيف، دار المعارف بالقاهرة، دط،1987م، ص68.

[8] - ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوّره، ص186-187.

[9] - التّراث العلمي والحضارة الإسلاميّة ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، ص24-25.

لقد واكبت الفصحى حركة النّهضة العلميّة وانتشرت مع انتشار الإسلام، ولم يمض وقت طويل حتّى تخلّت الدّول الّتي فتحها العرب عن لغاتها المحليّة وأخذت تتكلّم باللّغة الجديدة، الّتي أصبحت لغة عالميّة بفضل القرآن الكريم الّذي ضمن سلامتها وسهّل التّفاهم بها، وكان من نتائج ذلك أن فتحت اللّغة العربيّة صدرها لتراث الإنسانية وحفظت ما تركه الأقدمون وكان العلماء المسلمون من الموالي يفضّلون كتابة مؤلّفاتهم بها حتّى أنّ أبا **الرّيحان البيروني** الّذي أتقن لغات عديدة، كتب كلّ مؤلّفاته الّتي تزيد عن المئة باللّغة العربيّة، وقال جملة لافتة" **إنّ الهجو بالعربيّة أحبّ إليه من المدح بالفارسيّة"**[1].

ويكاد يُجمع المؤرّخون لتاريخ العلم بأنّه لولا علماء الحضارة الإسلاميّة لتوقّف سير المدنيّة عدّة قرون، ولاضطرّ علماء النّهضة الأوروبيّة أن يبدأوا من حيث بدأ علماء العرب الّذين حفظوا التّراث العلمي، وعملوا على إنمائه وتطويره فابتكروا علومًا واستحدثوا فنونًا، ونهجوا أسلوبًا علميًّا سليمًا، ونقل عنهم علماء أوروبا لكنّ معظم آرائهم وابتكاراتهم العلميّة الأصليّة نسبت ظلمًا إلى غيرهم، والْتَفَتَ التّاريخ إليهم حديثًا لإنصافهم في بعض حقوقهم الشّرعيّة ،كما حدث لابن النّفيس في اكتشافات الدّورة الدّمويّة، ولابن الهيثم في وضع أساسيات علم البصريّات والخوارزمي، وعمر الخيام في صياغة بعض القوانين والمعادلات الرّياضيّة، والبيروني وابن سينا والهمداني في إدراك أصول قوانين الميكانيكا الكلاسيكيّة[2].

لذا يمكن القول بأنّ إسهام علماء العصر الإسلامي يعتبر أجلّ أثرًا وأكثر خطرًا، لأنّه ضمن استمرار تقدّم العلوم في عصر النّهضة الحديثة ودفعه مسيرة تطوّرها لحدّ اليوم، فبعد أن نقل علماء أوروبا علوم العرب واستوعبوها اكتشفوا أنّ سرّ تطوّر هذه العلوم وازدهارها، يكمن في اتّباع أسلوب علمي سليم واستخدام آلات وأجهزة في الكشف عن ظواهر الطّبيعة، ولذلك فإنّهم استطاعوا تفسير الكثير من المسائل الّتي عجز عن حلّها القدماء، وتمكّنوا من فتح آفاق جديدة في مختلف فروع المعرفة، تميّز علماء الحضارة الإسلاميّة بكل ما هو حميد وضربوا المثل الأعلى في حب العلم والمثابرة على البحث العلمي والابتعاد عن الغرور والتّمسّك بالأمانة والزّهد، ولعلّ ذلك ما يفسّر غزارة إنتاجهم وأصالة بحوثهم وابتكاراتهم وتعدّد تخصّصاتهم واتّساع ثقافاتهم ومعارفهم، فكانت لهم شخصيّتهم الّتي تفرّدوا بها بين علماء العالم على مرّ العصور.

وبذلك فقد كان لعلماء الحضارة الإسلاميّة فضل السّبق إلى اتّباع الأسلوب العلمي في أبحاثهم ودراساتهم وكانوا يقدّسون العقل والتّفكير، وإذا رأوا أمرًا يختلف عن آراء من سبقوهم انطلقوا إلى إثبات أرائهم الشّخصيّة في ثقة وشجاعة واستخدموا المنهج العلميّ التّجريبي أساسًا للبحث العلميّ السّليم، فكان هذا أهم الأسس الّتي قامت عليها النّهضة العلميّة في العصر الإسلامي، بل وقامت عليها حضارة العالم المعاصر بأكملها[3].

وقد صار من مكرور القول ومعاد الكلام أنّ الحضارة العربيّة- فوق أنّها أبدعت وأنتجت في شتّى ضروب العلم والمعرفة- **كانت** حلقة وصل واتّصال بين ما قدّمته الحضارة اليونانيّة العريقة وبين اللاّتينية الحديثة، مما جعل الأوروبيين يعتلون ريادة العالم وصدارته، غافلين أو متناسين عن روافده ومصادره، والدّلائل على ذلك كثيرة أباح بها بعض المنصفين منهم وشهدوا بها[4] ولعلّ من المناسب في هذا الصّدد أن نسرد مجموعة من الاعترافات لبعض العلماء والمستشرقين الغربيين الّتي أنصفت علماء الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وبيّنت دورهم فيما وصلت إليه الحضارة الغربيّة من تطوّر:

2- بعض الشهادات الغربية عن دور العلماء العرب في بناء صرح الحضارة الغربية:

يمكن أن نورد في هذا السياق- إضافة إلى ما سبق ذكره- جملة من الاعترافات الشجاعة والمنصفة لبعض المستشرقين والباحثين الغربيين:

تقول **المستشرقة الألمانية "سيجريد هونكة"** في كتابها"فضل العرب على أوروبا"،و"شمس الله على الغرب":«**إنّ أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربيّة وأنَّ الدَّيْنَ في عنق أوروبا وسائر القارّات الأخرى للعرب كبير جدًّا، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصّنيع منذ زمن بعيد، لكنّ التّعصّب واختلاف العقائد أعمى عيوننا! وترك عليها غشاوة، حتّى إنّنا نقرأ ثمانية وتسعين كتابًا من مئة، فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب، وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة![5] ...إنّها سبّة أن يعلم أهل العلم من**

---

[1] - ينظر: مدخل إلى تاريخ نشر التّراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، ص31-32.

[2] - التّراث العلمي والحضارة الإسلاميّة ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، ص40-41.

[3] - المرجع نفسه، -41-42.

[4] - ينظر: مدخل إلى تاريخ نشر التّراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، ص16.

[5] - تحقيق التراث العربي منهجه وتطوّره، ص179.

الأوروبّيين أنّ العرب أصحاب نهضة لم تعرفها الإنسانية من قبل وأنّ هذه النّهضة فاقت كثيرًا ما تركه اليونان أو الرّومان...إنّ هذه النّظرة الأوروبية دليل على ضيق أفق الغربيّين وخشيتهم قول الحق، والاعتراف بفضل العرب في تغيير وجه العالم الّذي نعيش فيه، حين ظلّوا ثمانية قرون طوال يشعّون على العالم علمًا وفنًّا وأدبًا وحضارة»[1].

كما نذكر شهادة أخرى تحسب لصاحبها المستشرق البلجيكي المؤرّخ الفيلسوف"**جورج سارتون**" المتوفّي سنة1956م، والّذي يعتبر من أكبر المتخصّصين في تاريخ العلوم وبخاصّة علوم العرب، حيث يذهب هذا المؤرّخ **إلى أنّ المسلمين الّذين يعتبرهم عباقرة الشرق في القرون الوسطى لهم فضل على الإنسانية، يتمثّل في كونهم تولّوا كتابة أعظم المؤلّفات والدّراسات قيمة وأكثرها أصالة وعمقًا، مستخدمين في ذلك لغتهم العربيّة الّتي كانت بلا مراء-كما يقول- لغة العلم للجنس البشري في الفترة من منتصف القرن الثّامن حتّى نهاية القرن الحادي عشر لدرجة أنّه كان يتحتّم على الشّخص الّذي يريد الإلمام بثقافة عصره وبأحدث ما يجري فيه من علوم أن يتعلّم اللغة العربيّة**[2]، ويقول كذلك:«**إنّ بعض المؤرّخين يحاول أن يبخس قدر ما قدّمه العرب للعالم ويصرّحون بأنّ العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة، ولم يضيفوا إليها شيئًا وهذا الرأي خطأ، وإنّه لعمل عظيم أن ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانيّة ويحافظوا عليها، ولولا ذلك لتأخّر سير المدينّة قرونًا عديدة**»[3].

ويقول **نيكسون** من كلام طويل:«**وما المكتشفات لتحسب شيئًا مذكورًا إزاء ما نحن مدينون به للروّاد العرب الّذين كانوا مشعلاً وضّاءً في القرون الوسطى المظلمة في أوروبا**»[4].

ممّا سبق ذكره من هذه اللّفتة التّاريخيّة لجهود الحضارة العربيّة الإسلاميّة ودورها في إغناء بل وإسناد وبناء الحضارة الغربيّة اليوم، هذه اللّفتة المسنودة ببعض الأحداث التّاريخية الثّابتة، والّتي لا زالت آثارها راسخة في أوروبا نفسها في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا، وفي رفوف مكتباتها العريقة، يضاف إليها بعض الشّهادات المنصفة لبعض الباحثين الغربيّين خاصّة المستشرقين منهم، يجعلنا نعتبر تأثّر اللّسانيات الغربيّة بالتّراث اللّغوي العربي أمرًا ممكنًا وواردًا، بما أنّ البحث اللّغوي العربي جزء أصيل من الحضارة العربيّة الإسلاميّة الّتي استضاء بها الغرب، وعبروا بها إلى ما وصلوا إليه من تطوّر وتقدّم ما يجعلنا نقول إن أغلب ما وصل إليه هؤلاء من تقدّم ورقيّ روحه عربيّة إسلاميّة وحتّى لو فرضنا بعدم استفادة الغرب من جهود العرب اللّغويّة! فإنّ ذلك كان خسارة للّسانيات وللحضارة الإنسانيّة جمعاء.

2- تجاهل الغربيين للتراث اللغوي العربي ونفي أي تأثر به؟!

يرجع عبد السّلام المسدّي الأسباب الّتي دعت إلى الغفلة عن خط العرب في إثراء التّفكير اللّغوي الإنساني ورود النظريّة اللغويّة العربيّة مبثوثة بمختلف أصناف وأضرب تراثهم الحضاري، وكانت نتيجة هذا النّسيان أو التّناسي قطعًا في تسلسل التّفكير اللّساني عبر الحضارة الإنسانيّة، فنهضت الحضارة الغربيّة على أساس التّراث اليوناني ولكن بمعزل عن مستخلصات ثمانية قرون من مخاض التّفكير اللّغوي عند العرب![5]وهو أمر لم يكن في صالح اللّسانيات الغربيّة نفسها، ذلك أنّ الغرب لو انتهوا إلى نظريّة العرب في اللّغويّات العامّة عند نقلهم لعلومهم في فجر النّهضة لكانت اللّسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلّها كانت تكون قد أدركت ما قد لا تدركه إلاّ بعد أمد[6] ذلك أنّ اهتمام العرب بلغتهم كان اهتمامًا لا نظير له، ولا يمكن حتّى مقارنته بالعلوم التّجريبيّة الّتي ازدهرت عند العرب وأخذها الغرب، كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات والهندسة، ذلك أنّ الحضارة العربيّة كانت اللّغة عمادها الأساس فاتّسمت قبل كلّ شيء بالمقوّم اللّفظي، ولقد عبّر عن ذلك المسدّي بقوله:«**ولعلّ ذلك ما كان إلاّ محصولاً طبيعيًّا لعوامل تاريخيّة تنصبّ جميعًا في ميزة الحضارة العربيّة الّتي اتّسمت قبل كل شيء بالمقوّم اللّفظي، حتّى كاد تاريخ العربي يتطابق وتاريخ سلطان اللّفظ في أمّته، ولم تكن معجزة الرّسول صلى الله عليه وسلم إلاّ من جنس حضارتهم في خصوصيّتها النّوعيّة**»[7]، ومن هذا المنطلق الحضاري، فإنّ التّراث العربي هو جزء لا يتجزّأ

---

[1] - التّراث العلمي والحضارة الإسلاميّة ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، ص41.

[2] - التراث، بقلم رئاسة التحرير، ص3.

[3] - مدخل إلى تاريخ نشر التّراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، ص19.

[4] - المرجع نفسه، ص16.

[5] - ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص23.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص23، ينظر: مباحث تأسيسيّة في اللسانيات، ص36.

[7] - مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص31، وينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص24-25.

من التّراث الإنساني، وهو ملك مشاع بين روّاد المعرفة البشريّة، وحرام أن يظلّ مغلقًا أمام بصائرهم، وبقراءة التّراث العربي إغداق للفكر الإنساني بوابل الإسهام، فتتحوّل علاقتنا بعلم اللّسان الحديث تحوّلاً طبيعيًّا من مركز الخصيم إلى موقع النّصير[1].

كما لا يُستبعد أن يكون علماء اللّسانيات المتأخرين خاصّة قد تعرّفوا على بعض الجهود العربيّة في هذا المجال على غرار **تشومسكي خاصّة**، حيث يذهب **عبد الرحمان بودرع** إلى أن العلماء والباحثين الغربيّين اللّسانيين درسوا اللّغات الطّبيعيّة في بعدها الإنساني الشّامل، متجاوزين الدّارسات اللّغويّة الكلاسيكيّة الّتي تختص بوصف لغات خاصّة، ولا يتمّ ذلك إلاّ بتمحيص واستعراض جهود العلماء القدماء، فتشومسكي قد بنى قواعده المعروفة من خلال إحياء القواعد الأكثر قدمًا.

إنّ **تشومسكي** بنى نحوه التّوليدي على مادّة علميّة غزيرة استقاها من مصادر كثيرة اعتمادًا أو نقدًا، منها أنحاء القرنين(17و18م) ذات الأسس الفلسفيّة والمنطقيّة، كما استقاها من النحو البانيني القديم(الهندي)، ومن الفيلسوف الفرنسي **ديكارت** ومن مفكّرين ولغويّين غربيّين كبلومفيلد وهمبولدت وهاريس، لكنّ الدّراسات لا تذكر أثرًا لاطّلاعه على النّحو العربي أو على علم من أعلامه، وليس بعيدًا كما يقول عبد الرحمان بودرع أن يكون تشومسكي قد سعى إلى الاطّلاع على كتاب سيبويه وخاصّة نظريّة العامل وما يدور في فلكها كالحذف والتّقدير، ولعلّ ذلك ما يظهر من خلال نظريته المعروفة"العامليّة والرّبط" وإن لم يصرّح بذلك كما يقول بعض الباحثين[2].

إنّ التّطوّر الباهر الّذي عرفته قواعد ت**شومسكي** التّوليديّة التّحويلية يرجعه عبد الرّحمان الحاج صالح إلى تعرّفه على النّحو العبري الّذي وضعه أحبار اليهود في القرون الوسطى(ونحن نعلم أنّ النّحو العبري تطوّر إبّان العهد الأندلسي من قبل نحاة اليهود الإسبان وهم قد تأثّروا بقواعد النّحو العربي)، وعلى الأجروميّة من خلال أستاذه روزنتال، حيث تفطّن إلى مفهوم القاعدة النّحويّة ودورها كنمط يكتسبه الطفل تأثّرًا بمحيطه، ولقد أرجع للتّحويل قيمته الّذي أهملته الدّرسات السّابقة بما فيها البنيويّة[3]، كما لا نستغرب أن يقف **تشومسكي** وقفة دهشة وعجب من التّراث العربي اللّغوي (النّحوي والدّلالي) عندما علّق على **رسالة الدّكتوراه لمازن الوعر** في رسالة بعث بها لمازن الوعر كتبها يوم26 نيسان(أفريل)1982م يقول فيها:«...**لقد دهشت بشكل خاصّ من تلك التّعليقات اللّغويّة الّتي وردت في ثنايا هذه الدّراسة والّتي كان قد قالها العرب القدامى، إنّ هذا وحده يجعل هذه الدّراسة إسهامًا قيّمًا جدًّا لتطوير الدّراسات اللّسانية الغربيّة...**[4]» وكذلك الحوار الذي أجراه الوعر مع تشومسكي ونشر بالعربية والإنجليزية والفرنسية في مجلة (اللسانيات) الصادرة عن معهد الصوتيات واللسانيات لجامعة الجزائر(المجلد رقم 6 عام 1982م)، وقد ذكر بالحرف الواحد"**إنة تأثر بالتراث العربي القديم عندما وضع نظريته في النحو التوليدي والتحويلي ولا سيما في كتابه"البنية المنطقية للنظريةاللسانية"**[5] ، كما علّق اللّساني الأمريكي الآخر "**ولتركوك**" على تلك الرّسالة بقوله:«**إنّنا لا نعرف بأنّ العرب النّحويين القدامى قد توصّلوا إلى ما ذكرته في رسالتك، لذلك ينبغي أن نترجم أكثر أعمالهم من العربيّة إلى الإنجليزيّة!**»[6]، كما علّق تشومسكي أيضًا على رسالة الدكتوراه لأحمد المتوكّل، ذاكرًا بأنّ ما قاله العرب القدماء في حقل الدّلاليات يعدّ فكرًا فلسفيًّا عميقًا، لا بدّ من الأخذ به في الفكر الدّلالي المعاصر، وقد وعد تشومسكي المتوكّل بأنّه سيعتمد على هذه النّظريّة في الأعمال الّتي سيقوم بها في المستقبل![7].

وفي هذا السّياق نختم بشهادة أكثر وضوحًا من الباحث **مايكل بريم**، حيث يقول(في رسالة الدّكتوراه-الصّوتيات العربيّة-معهد ماستشوستس للتكنولوجيا، ص6-1970م):"**أعتقد أنّ النّحو العربي قد وصل إلى أدنى انحطاطه على أيدي الباحثين الغربيّين، فقد تجاهل الغرب المعاصر الفكر العربي الخارق الّذي تمتّع به النّحاة العرب في تحليلهم لبنية اللّغة العربيّة**

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص34.

[2] - ينظر: في اللسانيات واللغة العربية، عبد الرحمان بودرع، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط2016،1م، ص28.

[3] - ينظر: العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، علي بلول، رسالة ماجستير، إشراف:عبد المجيد عيساني، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2012/2011م، ص57-58.، وينظر: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث،ص 75، وينظر: المدخل في علم اللغة، كارل ديتر بونتينج، ترجمة وتعليق:السعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2006م، ص203-211.

[4] - قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ، ص360، وينظر: العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2003م، ص228.

[5] - أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص120.

[6] - قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص360، وينظر: العربية والإعراب، ص228.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص360-361، وينظر: العربية والإعراب، ص229.

أحبّ أن أقول إنّ عملي هذا في الصّوتيات العربيّة إنّما استمدّ إلهامه من الرّوح العلميّة لذلك الفكر العربي الخارق الّذي أراد تحديد الأصل أو التّمثيل الدّقيق للغة العربيّة[1]".

في الأخير يمكن قول كلمة فصل في هذه المسألة، إنّ هناك صمتاً مطبقًا في مسألة تأثّر الغربيّين بجهود العرب اللّغويّة وهو أمر بالغ الغرابة، ويكاد لا يصدّقه عقل، فكيف يستفيد هؤلاء من كلّ جهود العرب الأخرى، مستثنين جهودهم اللّغويّة بالذّات خاصّة وأنّ إبداع العرب في هذا المجال لا يقل عمّا ابتدعوه في المجالات الأخرى، إن لم يكن أفضلها على الإطلاق؟!أمّ أنّ ما ليدهم في هذا المجال يغنيهم عمّا عند العرب، وهذا أمر واضح، إنّ تخلّف الأوروبيين في القرون الوسطى كان يشمل كلّ المجالات دون استثناء، بما فيها الدّراسة اللغويّة فحتّى لغاتهم كانت بدائيّة لنتحدّث عن دراسات متخصّصة تصف وتشرح وتحلّل تلك اللّغات؟! والسّؤال الّذي نعيد طرحه، هل هذا التّغييب تغييب وجود بمعنى أنّهم لم يلتفتوا، ولم يهتمّوا مطلقًا بجهود العرب اللّغويّة، وهذا أمر مستبعد تمامًا في اعتقادي للأسباب سالفة الذّكر؟! أمّ أنّ هذا التّغييب تغييب إقصاء وإنكار، بدافع الحقد الدّفين للغرب تجاه العرب والمسلمين، خاصّةلحساسيّة اللّغة وارتباطها بالدّين الحنيف، وبالقرآن الكريم(الجانب الإيديولوجي)، فأمّا هذا الأمر فعكس الأوّل، فهو غير مستبعد تمامًا؟!

وإذ كنّا لا نملك الدّليل القطعي، لا على هذا ولا على ذاك، وإن تمّت الإشارة إلى التقارب الّذي حدث في الآونة الأخيرة بين الاتّجاه التّوليدي التّحويلي، وكذلك الوظيفي التّداولي من جهة والتراث العربي من جهة ثانية، لكن حتّى ولو افترضنا عدم اطّلاعهم على تراث العرب اللّغوي، فإنّ ذلك لايُنْقِصُ من قيمته شيئًا، ذلك أنّ كتب المتقدّمين من النّحاة كالخليل وسيبويه وابن جني وابن السرّاج والجرجاني وغيرهم، تدلّ على عمق تفكير في النّظر والتّقعيد، حتّى وُصفت جهودهم بالسّابقة لأوانها أو أنّهم لم يتركوا للمتأخرين شيئًا، وقد تمت الإشارة إلى بعض تلك الأفكار خاصّة في المحاضرة السابقة.

وإذا كان التّأثير والتّأثر بين الحضارات يكاد يكون قدرًا محتومًا لابدّ منه، فقد لا يكون نهجًا يُتّبع ولا على سبق إصرار وترصّد، خاصّة إذا كان التّأثير يتعلّق بظاهرة ذات طابع عالمي كاللّغة ولو اختلفت الألسن، لكنّ تفسير هذه الظّاهرة وتحليلها يتشابه إلى حدّ التّماثل والتّطابق في كثير من الحالات، فكما يقول **محمد عابد الجابري**"**إنّ الثّقافة العربيّة الإسلاميّة كانت تمثّل خلال أوجّ ازدهارها ثقافة عصرها على مستوى عالمي فلم تكن محدودة ولا منغلقة كثقافة الهند أو الصين أو الفرس، بل على العكس كانت ثقافة متفتّحة قابلة لاستيعاب كلّ أنواع الثّقافات الّتي احتكّت بها ومن هنا عالميّتها، فهل هناك من يستطيع أن يفصل -بطريقة علميّة- في التراث العربي الإسلامي الّذي بين أيدينا اليوم بين ما هو عربي خالص، وما هو يوناني خالص، وما هو هندي خالص، وما هو فارسي خالص**[2]**؟**"

وما ينطبق على التّراث العربيّ الإسلاميّ، ينطبق عن الحضارة الغربيّة المعاصرة، فهي ليست انعكاسًا إيديولوجيًّا للأوضاع الاجتماعيّة الّتي يعيشها الغرب، بل هي نتاج فكر عالميّ تمتزج فيه الإيديولوجيات والمفاهيم والتّصوّرات الدّينيّة والفلسفيّة والأخلاقيّة، إلى جانب العلم الّذي يحتل فيه مكانة أساسية ورئيسيّة، وعلى الرّغم من هيمنة المظاهر الأوروبية فيه، فإنّ الجوانب القديمة الإنسانيّة –اليونانية والرّومانية والإسلاميّة والشّرقية بكيفية عامّة مازالت تلعب داخله دورًا هامًّا سواء في المنطلقات أو الصّياغة، إنّ الفصل بين الفكر الغربيّ والفكر الشّرقي في الثّقافة المعاصرة فصل تعسّفي لا علميّ[3].

3- دور اللسانيين العرب المحدثين في إغناء و إثراء النظريات اللسانية والاشتغال داخلها:

إنّ العمل المتميّز الّذي يقوم به أحمد المتوكّل بإغناء الاتّجاه الوظيفي التّداولي والمساهمة في تطويره يجعل من تأثر اللّسانيات الحديثة بالتّراث اللّغوي العربي أمرًا واقعًا بالفعل، والمتوكّل كما هو معلوم ينطلق من أنّ التراث اللغوي العربي وظيفيّ من حيث المفاهيم والمنهج والمقاربة، حيث يذكر **المتوكل** مثلاً في سياق حديثه عن الكفايات الثلاث(التّداولية والنّفسة والنّمطيّة):«ما **نريد قوله هنا أنّ المنحى الوظيفي العربي أسهم في إغناء الكفايات الثّلاث طيلة العقود الثّلاثة الأخيرة، وقد كشفنا عن ذلك بوضوح في كتابنا"المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي**"»[4] ولقد تبنّى **سيمون ديك**Simon Dick(1940م-

---

[1] - دراسات نحويّة ودلاليّة وفلسفيّة في ضوء اللسانيات المعاصرة، ص115.

[2] - التراث والحداثة دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م، ص37-38.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص40.

[4] - أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، إعداد وتقديم:حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، دار الأمان، الرباط، ص44.

1995م) مؤسّس النّحو الوظيفي عدّة اقتراحات ممّا تقدّم به المتوكّلوخاصّة ضرورة التّمثيل للقوّتين الإنجازيّتين الحرفيّة والمستلزمة حواريًّا في بنية النحو الوظيفي، وقد أصبحت أعمال المتوكّل الوظيفيّة التّداوليّة الّتي تنطلق من اللغة العربيّة مصدرًا لا يستغنى عنه ضمن الأدبيّات الوظيفيّة العالميّة[1].

كما **أنّ عبد الفاسي الفهري** ورغم موقفه الرافض للتّراث اللّغوي العربي-فإنّه رغم ذلك استعمل أفكار النّحاة في إطار دراسة اللّغة العربيّة بمنظور توليدي تحويلي من داخل النّظريّة وليس تطبيقًا لقواعد جاهزة مستوردة، فقد كان يكيّف بجهده الخاص قواعد توليديّة تحويليّة تتناسب مع اللّغة العربيّة، والباحثون يعترفون بكونه ساهم بشكل فعّال في إثراء وإغناء هذه النّظريّة، بما كان يقوم به من تحليل للّغة العربيّة، وهذا يعني ضمنًا أنّ اللّغة العربيّة وبعض قواعدها قدّ أصبحت داخل نماذج هذه النّظريّة وجزءًا لا يتجزّء منها ما يعني الانصهار والاحتواء، وسيأتي التفصيل في بعض أعمال أحمد المتوكّل والفاسي الفهري في المحاضرات القادمة.

[1] - اللسانيات العربيّة أسئلة المنهج، مصطفى غلفان، دار ورد الأردنية للنشروالتوزيع، ط1، 2013م، ص35-36.

المحاضرة السابعة:(اللسانيات العربية والغربية التأثير)

تمهيـــــد:

إن من أهم ما أشكل فيما يخص النحو العربي هو من أين نشأ، وكيف، ومتى نشأ[1]، غير أن الباحث يقف أمام ثلاثة آراء تتعلق بهذه المسألة الجوهرية، ففي حين ذهب فريق إلى القول بأن هذا العلم نبت في بيئة عربية خالصة كما تنبت الشجرة في بيئتها، لعدم وجود السند التاريخي الذي يخالف ذلك،[2] ذهب فريق ثان عكس ذلك تماما حيث يؤكد بأن النحو العربي مدين للفلسفة اليونانية بأهم معطياته، ونشأ في بيئة متشبعة بها، وبوب على أساس مقولاتهاواكتمل بناء صرحه بفضل ما اقتبس من مقولاتها[3]، ووقف فريق ثالث موقفا وسطا، حيث ذهب إلى القول بأن بداية هذا العلم كانت عربية خالصة، ثم تأثرت بعد ذلك بالفلسفة اليونانية، حيث أخذ النحويون ما اتصل بالنحو منها وظهر ذلك في التقسيم الثلاثي للكلمة والقياس والعلة، وما إلى ذلك من مصطلحات[4].

أولا:التفكير النحوي العربي بين الأصالة والأثر الأجنبي:

1-القـول بأصـالة النحـو العربي:من المتحمسين للقول بأصالة النحو العربي وعدم تأثره بالثقافات الأجنبية، ولاسيما اليونانية والسريانية المستشرق الفرنسي"**جيرارتروبو**"، الذي نشر بحثا رد فيه على القائلين بعدم أصالة النحو العربي، سماه" نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه" وذهب فيه إلى القول بأن القائلين بتأثر النحو العربي بالثقافات الأجنبية المذكورة، قد اقتبسوا في دراساتهم النحوية أربعة مصطلحات عن المنطق اليوناني، هي الإعراب، الصرف، التصريف، والحركة، وأنهم اقتبسوا عنهم أيضا التقسيم الثلاثي للكلمة"**الاسم والفعل والحرف**"، والتي يقابلها في اليونانية ثمانية، وهي"**الحرف، المجموع، الرباط الفاصلة، الاسم، الكلمة، الرقعة، والقول**"، ثم أخذ كل كلمة من هذه الثماني، ويقابلها بالتقسيم الثلاثي العربي ، وينتهي بعد هذه المقابلة إلى أنه من الناحية اللسانية يظهر أنه من المستحيل أن يكون التقسيم الثلاثي العربي منقولا من التقسيم اليوناني لأن عدد الأقسام ومضمونها يختلف في النظامين اختلافا تاما[5].

إن الاحتجاج بالشبه بين تقسيمات النحاة العرب ومصطلحاتهم، وتقسيمات أرسطو ومصطلحاته مردود بأن هذا الشبه لا يصل إلى حد التطابق، وأنه لا يقوم على استنباط ذهني مجرد، بل ميدانه استقراء اللغة، وكل لغة لا بد أن تقود إلى مثل هذا التقسيم، وفي مقارنة بسيطة بين النحو العربي وأرسطو فيما تعلق بتقسيم الكلم[6]، ففي الكتاب يقول سيبويه:«**فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسم رجل وفرس وحائط، وأما الفعل، فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن ولم ينقطع**»[7]، في حين يحددأرسطو الاسم بقوله: «**لفظة دالة بتواطؤ مجردة من الزمان وليس واحد من أجزائها دالا على انفراده**[8]»، وحين يعرف أرسطوالكلمة، وهي ما يدعوه النحاة الفعل، حيث يقول:«**وأما الكلمة فهي ما يدل - مع ما تدل عليه- على زمان وليس واحد من أجزائها يدل على انفراده، وهي أبدا دليل على ما يقال على غيرها**[9]».

ويتبين من خلال هذه الأمثلة الفرق بين حدود النحاة وحدود الفلاسفة ، ويتبن الفرق تحديدا من خلال ما عناه النحاة بالفعل، وما عناه الفلاسفة بالكلمة[10].

ثم انتقل **تروبو** إلى المصطلحات الأربعة والمتمثلة في : **الإعراب، الصرف، التصريف، والحركة**، قام بمقارنتها بما ذكره سيبويه وابن جني والأنباري، مؤكدا أن هذه المصطلحات عربية خالصة، وذكر في هذا الشأن بأن العرب لم يعرفوا اللغة

---

[1] - منطق العرب في علوم اللسان، د: عبد الرحمان الحاج صالح، موفم للنشر، دط،2012، ص32.

[2] - ينظر:في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص61، وينظر كذلك: الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، علي مزهر الياسري، ص105.

[3] - ينظر: نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، ص85.

[4] - ينظر: في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص61، وينظر كذاك: المدارس النحوية خديجة الحديثي، ص31.

[5] - ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص36-37.

[6] - الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، علي مزهر الياسري، ص128.

[7] - الكتاب، سيبويه، ج1، ص12.

[8] - الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، علي مزهر الياسري، ص128.

[9] - المرجع نفسه، ص129.

[10] - ينظر: - الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه ، ص129.

اليونانية، ولم يكن لديهم كتاب في النحو اليوناني مترجم إلى اللغة العربية، وأن النحاة العرب أتيح لهم ذلك فقط بواسطة النحو السرياني الذي يرى أصحابه بأن النحو العربي مختلف عن النحو اليوناني والسرياني اختلافا تاما[1].

وقد استطاع هذا المستشرق المنصف في بحثه البعيد عن كل تعصب للعرب أو الثقافات الأجنبية أن يثبت أن النحو العربي من المستحيل أن يكون قد اقتبس مصطلحات معدودة لا تتجاوز أصابع اليدين عددا من النحو اليوناني، ولم يكتف بهذا، **و إنما كرر في ختام بحثه بأن علم النحو أعرب العلوم الإسلامية ، و أبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول**[2].

أما القول بأن الحركات ونقط أبي الأسود مأخوذة من النحو السرياني، فلا صحة له كما نشأت مصطلحات النحو وأبوابه نشأة أولية نشأت الحركات أول أمرها على شكل نقاط وسواء أقيل أصلها سرياني أم لم يقل، فإنها طورت على يد الخليل إلى الحركات المعروفة اليوم، وهي عربية خالصة ولم تقتبس من أحرف الألسنة الأخرى، بل أخذت من الأبجدية العربية، فاستخدموا حروفها الصوتية مختصرة لتدل على الحركات ، حيث إن الخليل يعد الضمة بعض الواو، والفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، وهذا دليل على أنها عربية خالصة[3].

ولا بد ههنا أن نذكر رأي المستشرق الفرنسي الشهير"**لويس ماسينيون**L.Massignon، فقد انفرد هذا الرجل الجليل كما يقول الدكتور الحاج صالح بآراء حول طرق النظر عند مفكري الإسلام، حيث يقول في مقالة نشرها في مجلةArabica: «**أنه منذ اختفاء ماركس حظينا بدراسة وثائقية لطرق الترجمة العربية للأرجانون(كتب أرسطو في المنطق)، وذلك بواسطة السريانية ، وقد بينت لنا هذه الدراسات أن النحو العربي كان أشد امتناعا من السرياني على تسرب اليونانية إلى أوضاعهما، وكان قبل أن يتخذ العرب التقسيم الثلاثي لأقسام الكلام (اسم- فعل- حرف) قد أبدعوا تقسيما ثنائيا موفقا للأصول الجدلية السامية(أصل- فرع- عمدة- فضلة- مبتدأ- خبر)**[4] ».

ويتعجب **الحاج صالح** من القائلين بتأثر النحاة الأوائل خاصة الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه بالمنطق الأرسطي وحجتهم في ذلك أن عدم امتلاك هؤلاء الأعلام النضج الفكري اللازم لوضع منهجية علمية راقية، لكن نظرة متأنية لموقف كل الباحثين والمستشرقين أن الفقه مثلا علم عربي أصيل لم يتأثر بما سبقه من المنطق اليوناني ومن قوانين الأمم ، وذلك بعد مقارنتهم بينه وبين أصول القانون الروماني، وغيره مع أن النحو والفقه نشآ وتطورا في وقت واحد تقريبا، وتأثرا ببعضهما، وحصل التفاعل على حد سواء، فكيف يتأثر النحو العربي بالثقافة اليونانية، ولم يحدث ذلك للفقه؟[5].

ثم إن الخليل كما يقول الحاج صالح لم يخترع كل شيء من لاشيء ، وإنما تميز عن غيره في الإتيان بما لم يأت به أحد قبله فقد اعتمد في تفكيره على مفاهيم أساسية ظهر الكثير منها عند الساميين منذ ازدهار الحضارة البابلية، كما أن حاجة اللغة لضوابط هو من المتطلبات العقائدية المسيسة التي لا يمكن أن يسدها منطق أرسطو، وهذه الحاجة مماثلة لحاجة المسلمين للفقه الذي يضبط الأحكام الشرعية للنوازل التي لم يرد فيها نص، فأي فلسفة تمدهم بالحلول المطلوبة؟![6].

كما أن طبيعة اللغة المتمثلة في صيغ وبنى متمثلة في ألفاظ تتركب من وحدات، ولكل وحدة تركيب وبنية تشاركها فيها وحدات أخرى لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسلط عليها في تحليلها أي نوع من المنطق، ومعروف أن البنى اللغوية ذات جوهر رياضي ومنهج تحليلها رياضي أيضا[7].

ويجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد الرد القوي الذي رده اللغويون العرب القدامى عند ظهور منطق أرسطو وبدأ ينتشر على ما كان يدعيه أصحابه لأن يكون معيارا يعصم من الخطأ ، وأن معانيه هي معان كلية ليست خاصة بلغة من اللغات، فهذا **أبو سعيد السيرافي**، وهو من أتباع الخليل وسيبويه يوجه انتقادات شديدة وعميقة للمنطق الأرسطي أثناء المناظرة التي جرت بينه وبين الفيلسوف المنطقي أبي بشر متي بن يونس(ت326هـ)، ومن هذه الانتقادات قوله: «**إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا وحكما**

---

[1] - ينظر: المدارس النحوية ، خديجة الحديثي، ص37.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص37.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص38.

[4] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاد صالح، ج1، ص45-46.

[5] - ينظر: منطق العرب في علوم اللسان، عبد الرحمان الحاج صالح، ص28.

[6] - ينظر: منطق العرب في علوم اللسان ، ص29-31.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص31.

لهم وعليهم، ما شهد لهم به قبلوه، وبما أنكره رفضوه[1]»، فأجاب متي على ذلك بالقول بأن المنطق لا يبحث إلا عن «الأغراض المعقولة والمعاني المدركة» عند الجميع، وقال : «**ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم** »، **فقال له السيرافي: «لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع...إلى هذه المرتبة البينة (أي هذا المستوى من البداهة الذي يستطيع كل إنسان إدراكه، زال الاختلاف وحضر الاتفاق...ولكن مع هذا أيضا إذا كانت الأعراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة...أوليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة»**[2].

وبعد أن لاحظ السيرافي أن متي لم يدرك فحوى هذه الحجج، وأنه لم يستطع أن يتصور فكرة التلازم القائم بين اللغة والفكر، أرسل عندئذ هذه العبارة البليغة الجامعة لكل الحجج «**النحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ولكنه مفهوم اللغة** »[3]

ويذهب **ابن فارس** أكثر من ذلك في كتابه "الصاحبي"أن علم العربية كان العرب يعرفونه قبل الإسلام ، فهو توقيف من الله مثل أصل اللغة والخط والعروض ، هذه المعارف كانت قديما ثم أتت عليها الأيام وقلت في أيدي الناس، ولما جاء أبو الأسود الدؤلي جدد العربية كما جدد الخليل علم العروض[4]، حيث يقول في كتابه الصاحبي« **فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية وأن الخليل أول من تكلم في العروض...بل نقول إن هذين العلمين كانا قديما و أتت عليهما الأيام وقلا في أيدي الناس، ثم جددهما هذان العلمان** [5]»، **ويقول كذلك: « وقد زعم ناس أن علوما كانت في القرون الأوائل والزمن المتقادم وأنها درست وحددت منذ زمان قريب وترجمت واصطلحت منقولة من لغة إلى لغة، وليس ما قالوا ببعيد، وإن كانت تلك العلوم بحمد الله وحسن توفيقه مرفوضة عندنا**[6]».

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد القادر المهيري :«**إن إمعان النظر في ما خلفه لنا النحاة من مؤلفات يكشف- حسب ما نعتقد- عن أسس منهجية مختلفة منها ما اتسم بطابع منطقي لا جدال فيه ، ومنها ما هو مستمد من المعطيات اللغوية لا يراعي إلا ما يلمس في الكلام ، ولا يقيم وزنا إلا لما يتضمنه النص- ويبدو لنا غريبا- إن كان المنطق هو منبع النحو العربي-أن يتضمن هذا النحو من المواقف ما يدل على الإدراك الصحيح للحقائق اللغوية، وما ينم عن تمييز ما هو لغوي بحت، وما هو من قبيل المنطق ومقولاته، وهذا ما يجعلنا نذهب إلى أن البحث النحوي العربي انطلق من مصدر لغوي تدفعه روح لغوية، وتحدوه رغبة النحاة في وضع نظام شامل تندرج ضمنه كل المعطيات مهما تباينت وتشعبت**[7]»، علما أن المهيري يقصد في هذا القول النحاة الأوائل تحديدا، أو ما يصطلح عليه عند الباحثين الرعيل الأول من أمثال الخليل وسيبويه الذين ابتدعوا هذا العلم.

وعلى كل فملاحظة توازن بين منهجين أو قرابة بين طائفتين من المفاهيم لا تثبت أن توازيهما أو القرابة بينهما نتيجة التأثير والتأثر إلا إذا اعتمدت معطيات إضافية من نوع الوثائق التاريخية. فمن البديهي- عندما نتحدث عن تأثر مفكر بنظريات غيره أو عن اقتباسه لأرائه- أن نتساءل هل أن الظروف التاريخية التي عاش فيها مكنته من معرفة تلك النظريات أو هذه الآراء، وأن نبحث عن طريق تأثره بها، أو أخذها عن أصحابها[8].

كل هذا يحملنا على التساؤل على مدى ووجاهة الرأي القائل بتأثر النحو العربي في طور نشأته بالتراث اليوناني وخاصة المنطق الأرسطي، وفي الحالة الراهنة ليس لدينا أية وثيقة علمية على ذلك ، والآراء التي ذهبت في هذا الاتجاه كما يذكر عبد القادر المهيري هي مجرد تخمينات وافتراضات[9].

---

[1] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاج صالح، ج1، ص 129-130

[2] - بحوث ودراسات في السانيات العربية، الحاج صالح، ص130

[3] - المرجع نفسه، ص129-130، وينظر كذلك المرجع نفسه، ص61—62، وينظر كذلك: نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، ص93-94.

[4] - ينظر: في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص62.

[5] - الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص10

[6] - المصدر نفسه، ص17.

[7] - نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، ص98-99.

[8] - المرجع نفسه، ص89.

[9] - ينظر: المرجع نفسه، ص91.

وأقصى ما يمكن أن يقال هنا أن ثقافة الرعيل الأول من النحاة في القرنين الأول والثاني ثقافة بصرية تكامل فيها النقل والعقل، وتآلفت فيها الرواية والنظر نتيجة التقاء التراث العربي بأصداء الثقافات الأجنبية، فأسفر ذلك عن منهج لمعالجة مختلف ميادين المعرفة لا يتمثل في اقتباس عناصر وتلفيقها لتكوين علم جديد ، وإنما في القدرة على تعليل شتات المعطيات واكتشاف ما وراء مظاهرها الملموسة من أسس جامعة أو مميزة ليتسنى التبويب ويتأتى استنباط القواعد والأشكال المجردة، ولا يمكن أن نظن بأن النحاة القدامى كانوا يمارسون علمهم على ضوء ما يجدونه في مرجع يوناني أو غيره إن وجد، وإنما بهدي عقولهم التي غذتها الثقافة البصرية[1].

ختاما إن القناعة الراسخة التي يؤيدها العلم والمنطق والتاريخ أن النحو العربي لم يتأثر في بداية نشأته بمنطق أرسطو ولا بأي ثقافة أجنبية أخرى لا في مناهج بحثه ولا في مضمونه التحليلي، فإنه لا يدين بشيء أصلا فيما ابتناه أول أمره للثقافة اليونانية.[2] وهو بالتالي نشأ وترعرع في بيئة عربية خالصة، خاصة وأن النحو العربي لم يترك فيه الرعيل الأول من النحاة (القرون الأربعة الأولى للهجرة كما يقول الحاج صالح) شيئا للمتأخرين كي يضيفوه ، وكان جهد المتأخرين منصبا على الشرح والتفسير والتأويل لكلام القدامى، وإذا ثبت تأثر بعضهم-أي المتأخرين- بعوامل خارجية لم يمس ذلك النحو العربي في جوهره للأسباب التي ذكرناها.

2- القول بتأثر النحو العربي بالثقافات الأجنبية:

بدأت هذه النظرية منذ أن أشاع المستشرق الألماني "**ماركس**"Marxآراءه حول هذا الموضوع في المحاضرة التي ألقاها في المعهد المصري مقتفيا أثر"**قويدي**"Guidi مستعرضا الحجج الدالة في نظره على مدى ما نقله النحاة العرب من الفلسفة اليونانية إلى فنهم، ما انفك جل من تحدثوا عن النحو العربي يرددون هذه الآراء، ولا يكاد الشك يخامرهم في سدادها ولا في تصويرها لحقيقة معطيات النحو العربي[3].

طرق ماركس هذا الموضوع وأفاض فيه كل الإفاضة، وأصبحت آراؤه منطلق من تطرقوا للموضوع بعده[4]، ألف ماركس كتابا عنوانه"**تاريخ صناعة النحو عند السريان**" نشر في القرن التاسع عشر، زعم فيه لأول مرة أن المنطق اليوناني أثر في النحو العربي، لأن الثاني اقتبس من الأول بضعة مفاهيم ومصطلحات[5].

لقد لاحظ **ماركس**أن الفكر اليوناني لم يهتد إلى المقولات النحوية إلا بعد مضي قرون طويلة من العمل الشاقوأن النحو اليوناني لم يتجل في صيغة واضحة إلا أواخر القرن الأول قبل المسيح، لهذا السبب يرى ماركس أنه من العسير أن يهتدي النحاة العرب إلى ما اهتدوا إليه من النظريات النحوية بدون الرصيد المنطقي والفلسفي الذي مكن اليونانيين من وضع قوانين لغتهم واستنباط نظرياتهم النحوية ، لذا فالنحاة العرب إن لم يطلعوا على النحو اليونانيفلا بد أنهم ألفوا- حسب ماركس-منطق أرسطو، وفي نحوهم ما يدل على ذلك، فتقسيمهم الكلام إلى اسم وفعل وحرف موافق تمام الموافقة لتقسيم أرسطو ، كما أن بعض المفاهيم النحوية، كمفهوم الحال والظرف تذكر بمفاهيم يونانية، وإن التمييز بين المذكر والمؤنث، وبين الماضي والحال والاستقبال قد اقتبس من منطق أرسطو، كما يرى ماركس أن مصطلحات (رفع، نصب، جر، أعرب، إعراب) ليست سوى ترجمة لمصطلحات يونانية.[6]

وقد ذهب المستشرق "**دي لاسي أوليري**" هذا المذهب، فهو حين ذكر انزعاج أبي الأسود الدؤلي لسماعه قراءة الآية﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾[7] بجر ورسوله، قال: بدأ بوضع القواعد لتلافي هذا الخطأ، فأدخل الشكل على العربية التي لم تكن إلى ذلك الحين تعرف الشكل والنقط، وبدأ يلقي دروسا في النحو ومتن اللغة العربية، ومما يُذكر أنه كان في وضعه لهذه

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص91-92.

[2] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمان الحاج صالح، ج1، ص63.

[3] - ينظر: نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، ص85، وينظركذلك: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاج صالح، ج1، ص44، وكذلك: المدارس النحوية خديجة الحديثي، ص31.

[4] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، الحاج صالح، ج1، ص44.

[5] - ينظر: المدارس النحوية خديجة الحديثي، ص31.

[6] - ينظر: انظراث في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، ص86-87.

[7] - التوبة، الآية(3).

العلوم متأثرا بمنطق أرسطو إلى حد ما، ولكنه لم يتأثر بواحد من النحويين السريان[1]، وفي موضع آخر يقول: «**إن العرب قد استقوا معلوماتهم عن أرسطو من المصادر السريانية، وهذه المعلومات قاصرة على مؤلفاته في المنطق ، وكانت هذه المؤلفات قد ترجمت إلى السريانية ، ووضعت عليها شروح كثيرة كانت في متناول اليد**[2]»، ولكنه وقع في تناقض حين تحدث عن الترجمة والمترجمات ، وزمان ترجمتها ، أكد أن كتب أرسطو ترجمت في بداية العصر العباسي ، وفي عصر الرشيد على وجه الخصوص وقبل ذلك كانت الترجمة لكتب الرياضيات والطب والفلك[3].

وهذاالمستشرق دي بور **De Boer**مؤرخ الفلسفة الإسلامية كثيرا ما ينسب في تحريراته أصالة المنهج النحوي الذي سلكه العرب في مباحثهم إلى أرسطو، إذ يقول في تاريخه: «**وقد أثر منطق أرسطو في علوم اللسان ....السريان والفرس كانوا قبل العصر الإسلامي قد درسوا كتاب "العبارة" لأرسطو مع إضافات إلى الرواقيين، وإلى المذهب الإفلاطوني ، و ابن المقفع الذي كانصديقا حميما للخليل بن أحمد الفراهيدي يسر للعرب الاطلاع على كل ما كان في اللغات الفهلوية من أبحاث لغوية ومنطقية**[4]».

ولم يقتصر البحث في تأثر النحو العربي بالنحو اليوناني على المستشرقين الغربيين، وإنما نجد المستشرق الهندي"**Verstecgh**" قد نشر كتابا عنوانه "**العناصر اليونانية في الفكر اللساني العربي**"دافع فيه عن نظرية التأثير اليوناني في النحو العربي، وذهب إلى أن النحاة العرب القدامى قد اقتبسوا بضعة من المفاهيم والمصطلحات لا من المنطق اليوناني كما زعم ماركس بل من النحو اليوناني ، وذلك بواسطة اتصالهم المباشر باستعمال النحو اليوناني الحسي كما يقول في مركز الثقافة اليونانية الموجودة في الشرق الأدنى بعد الفتح الإسلامي[5].

أما من اللغويين العرب الذين تحدثوا عن تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو أو بالثقافة اليونانية **ابن النديم** الذي ذكر في الفهرست مجموعة من المؤلفات والكتب اليونانية التي ترجمت للعربية، وهي:

(1-قاطيغوارس"المقولات" نقلة حنين بن إسحاق.2- باري أرمانياس"العبارة" نقله حنين إلى السرياني، وإسحاق إلىالعربي.3- أنا بوطيقا الأولى "تحليل القياس" نقله ثيادروس إلى العربي، ويقال عرضه على حنين فأصلحه.4- أبو طيقا"البرهان" حنين وإسحاق قاما بترجمته إلى السرياني، ونقله متي عن ترجمتهم إلى العربي.5- طوبيقا"الجدل" نقله إسحاق إلى السرياني ويحي بن عدي عن إسحاق إلى العربي.6- سوفسطيقا"المغالطون"أو "الحكمةالموهة" نقله ابن ناعمة وأبو بشر متي إلى السرياني ونقله يحي بن عدي إلى العربي.7- ربو طيقا"الخطابة" نقله إسحاق إلى العربي.8- أبو طيقا "الشعر" نقله أبو بشر متي من اليوناني إلى السرياني ويحي بن عدي إلى العربي[6]).

غير أننا إذا نظرنا إلى زمن هؤلاء المترجمين وجدنا حنين بن إسحاق أقربهم إلى عصر نشأة النحو ، فقد ولد سنة أربع وتسعين ومائة هجرية، أي أنه ولد بعد وفاة تلاميذ الخليل الذين كانوا أئمة هذا العلم[7].

كما ذهب **إبراهيم مدكور** هذا الاتجاه في أطروحته" **أثر الأرجانون في العالم العربي**"، واكتفى بالإشارة إلى التأثير الذي يظنه قد قع في وضع النحو ، ونشر في عام1948م بحثا بعنوان"**منطلق أرسطو والنحو العربي**" في مجمع اللغة العربية بالقاهرة حاول أن يبين فيه كيف حصل هذا التأثير وكانت حجته غير مقنعة[8].

وقد ألف الدكتور **مهدي المخزومي** كتابا عن مدرسة الكوفة سالكا فيه هذا السبيل، بانيا جميع ما يثبته على القول بتأثير المنطق على النحو، وبالخصوص على مدرسة البصرة[9]، حيث يقول:« **قد مهدت هذه الفلسفات للانتفاع بالمنطق اليوناني(وفي البصرة ظهرت الترجمة الأولى لمنطق أرسطو، ترجمة عن اليونانية أو الفارسية عبد الله بن المقفع أو ابنه محمد**[10]»، ويقول في

---

[1] - في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص68.

[2] - المرجع نفسه، ص 68.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص68-69.

[4] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاج صالح، ج1، ص44.

[5] - المدارس النحوية خديجة الحديثي، ص32.

[6] - ينظر: الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، علي مزهر الياسري، ص133-134.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص 134.

[8] - ينظر" بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاج صالح، ج1، ص46.

[9] - ينظر: المرجع نفسه، ص47.

[10] - مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، ص55.

موضع آخر:« ...**والواقع أن تأثير علم الكلام أو الثقافة البصرية اليونانية إنما ظهر في زمن مبكر منذ أوائل القرن الثاني، وهي الفترة التي ظهرت الفلسفة الكلامية ظهورا واضحا، ولم يكن الخليل بن أحمد أول من ظهر في نحوه تأثير هذه الثقافة الجديدة بميله إلى القياس والتعليل، فقد سبقه إلى ذلك عبد الله بن أبي إسحاق**[1]**».**

ويذهب الدكتور **إبراهيم أنيس** في هذا الاتجاه عندما حاول إثبات أن الحركات الإعرابية في العربية ليست دالة على معان في الكلام، وإنما هي وسائل يحتاج إليها لوصل الكلام والتخلص من الساكن، وأن النحاة قد ابتكروا ظواهر الإعراب وقاسوا بعض الأصول رغبة منهم في الوصول إلى قواعد مطردة ، وكان ذلك بتأثير ما حولهم من لغات كاليونانية التي فيها يفرق بين حالات الأسماء التي تسمىCases، ويرمز لها في نهاية الأسماء برموز معينة[2] .

أما ما يتعلق بالأثر الفارسي في النحو العربي، فيقول "**فون كريمر**"في هذا الشأن:« **إن تسرب الفساد للغة العربية كان السبب في ضرورة وضع قواعد لإنقاذ اللغة العربية رواية لا يعول عليها إطلاقا ولا أساس لها، فالنحو العربي من وضع الأجانب من الآراميين(**شعب سام عاش في الشام**) والفرس، وقد أوجدته الحاجة التي أحس بها هؤلاء الأجانب لتعلم الكتابة العربية وقراءة اللغة العربية على وجه صحيح ، وعلى الأخص غير العرب الذين أرادوا أن يقفوا حياتهم للدراسات العلمية**[3] »، وهو رأي بالغ السذاجة، فكيف يقوم الأجنبي بوضع قواعد وأسس للغة غير لغته إذا أراد أن يتعلمها، هل يمكن للعربي أن يضع قواعد الفرنسية أو الأنجليزية ؟!، وهذا الرأي يدل على مغالطة سيئة القصد.[4]

وإلى مثل هذا الرأي يذهب **دنيس روس**، فيقول: « **وإلى أن قام الخليفة عمر**ﷺ **بمراجعاته الرسمية الدقيقة للقرآن لم يكن هناك أي كتاب في النحو كما لم يكن هناك أي قاموس عربي، وكان الفرس أول من ميزوا أنفسهم باستنباط بعض القواعد النحوية من القرآن**[5]»، وهذا الرأي كذلك مردود عليه، فلا يمكن أن يبتدع هؤلاء علما بمجرد حبهم التمييز لأنفسهم كما أن الإسلام لا يزال جديد العهد، ولا يمكن أن يضعوا علما كالنحو في هذا الوقت المبكر، وكيف لهم أن يتقنوا هذه اللغة في هذه الفترة الوجيزة؟![6]

أما بالنسبة للدارسين العرب، فيعد **ابن خلدون** أقدمهم[7]، حيث يرى بأن العرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين في أول أمر ملتهم، وكانوا أبعد الناس عن هذه الصنائع، وأن العجم هم الذين قاموا بهذه الأمور ، وقد كان العرب فيها تابعين للفرس والعجم، يقول **ابن خلدون** في هذا الشأن: « **من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، وليس في العرب حَمَلَةُ علم لا في العلوم الشرعية، ولا في العلوم العقلية، ولا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته، فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي**[8] **»، ويقول كذلك: « وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر، وأن العرب أبعد الناس عنها ، فصارت العلوم لذلك حضرية، وبعد عنها العرب وعن سوقها ، والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف، لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس، وكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم**[9]**».**

أما بالنسبة للباحثين العرب المحدثين الذين وقفوا في هذا الاتجاه نجد الدكتور **شوقي ضيف** الذي ذهب إلى أن العرب تأثرت مناهجهم في العلوم الدينية واللغوية بمن كان في العراق أهدى هو وما وراءه من بلاد الفرس إلى العربكل ما عرف الفرس من حضارة دفعت العرب دفعا إلى أن يؤسسوا على مناهج صحيحة دراساتهم المختلفة[10] .

---

[1] - المرجع السابق ، ص60.

[2] - ينظر: في التفكير النحوي عند العرب، زهي غازي زاهد، ص70-71.، وللتوسع في الموضوع ينظر: أصول النحو في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، محمد عيد، ص18-24.

[3] - الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، علي مزهر الياسري، ص107.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص107.

[5] - المرجع نفسه، ص107.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص107-108.

[7] - ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي ، ص35.

[8] - المقدمة، العلامة عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، تقديم وتحقيق، إيهاب محمد إبراهيم ، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2009م،ص614.

[9] - المصدر نفسه، ص615.

[10] - ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثة، ص34.

وكذلك فعل **أحمد أمين** الذي يرى بأن الفرس الداخلين في الإسلام لما أعطوا حريتهم في العصر العباسي شاركوا في التأليف ونهضوا بالثقافة العربية وأنشأوا اللغة العربية ودونوا علومها كما دونت علومهم[1].

وهذان الرأيان الأخيران **لشوقي ضيف وأحمد أمين** في نظرنا لا يفسدان للود قضية ، فالأول يقول إن الفرس دفعوا العرب دفعا إلى أن يؤسسوا على مناهج صحيحة دراساتهم المختلفة ، وهو أمر ممكن بأن يفتحوا لهم الآفاق في تأسيس هذا العلم وتطوره، أما قول الثاني بأنهم-أي الفرس- شاركوا في التأليف للعربية ، ودونوا علومها كما دونت علومهم، فهو أمر لاشك ولا نقاش فيه، بل إن أكثر من أبدع في هذا العلم كان فارسيا، ونقصد بذلك إمام النحو سيبويه باعتراف كل الباحثين.

وهناك رأي ثالث يذهب إلى القول بتأثر النحو العربي بالسريانية ، وخلاصة موقف هؤلاء أنهم قالوا ثلاثة أقوال:

الأول-أن العربية قامت على نمط السريانية، فهما شقيقتان فكلتا اللغتين سامية[2]، ومن القائلين بهذا الرأي **جرجي زيدان** الذي يذهب إلى أن العرب لما اضطروا إلى تدوين العلوم، وكانوا قد خالطوا السريان واطلعوا على آدابهم ومؤلفاتهم التي كان النحو في جملتها ونسجوا على منوالهم[3]، ورجح **جرجي زيدان** أن يكون أبو الأسود الدؤلي قد اقتبس نقط الإعراب من الكلدان(قوم سكنوا جنوب العراق قديما) والسريان(الآراميون بعد تركهم للوثنية واعتناقهم للمسيحية) جيرانه في العراق ، وكان عندهم نقط أو تعيين الكلمة أاسم هي أم فعلأم حرف، وكان عندهم أيضا نقط كانت ترسم في حشو الحرف ثم تحولت إلى نقط مزدوجة تنوب الحركات الثلاث ، وما زالت عندهم إلى اليوم ، وكذلك فعل **حسن عون و أنيس فريحة**، وحجتهما في ذلك أن العراق كانت مغزوة باللغة والمعارف السريانية وآهلة بعلمائها ، وحينها كان أبو الأسود الدؤلي يعنى بتنقيط القرآن ، وأنه عرف كثيرا عن صرف لغتهم ونحوها[4].

الثاني- أن العربية اقتبست نحوها من السريانية من ناحيتين، الأول التقسيم الكلامي في النحو، والثانية النقاط العربية، وهذا الرأي كذلك يمثله **جرجي زيدان** الذي ذهب إلى أن أقسام الكلام في العربية هي أقسام الكلام في السريانية نفسها[5].

الثالث- أن النحاة العرب قد اقتبسوا عن السريان نقاطهم فقط، وذهب إلى هذا الرأي مصطفى صادق الرافعي والدكتور **حسن عون**، الأول يرى بأن دلالات الحركات لم تكن عند العرب، بل اخترع أصولها السريان، والثاني ذهب إلى أن النحو العربي أخذ الحركات التي كانت في السريانية[6].

والحقيقة إن القول بأن الحركات أو نقط أبي الأسود مأخوذة من النحو السرياني أمر مردود عليه، فكما نشأت مصطلحات النحو وأبوابه نشأت الحركات في أو أمرها على شكل نقاط ثم طورها الخليل إلى الحركات المعروفة ، وهي بهذه الصفة عربية خالصة، وقد كان الخليل يرى بأن الضمة بعض الواو والكسرة بعض الياء والفتحة بعض الألف كما ذكرنا[7].

أما الرأي الرابع فيذهب إلى القول بتأثر النحو العربي بالثقافة الهندية[8]، وهو رأي ضعيف مقارنة ببقية الآراء التي ذكرناها لأن كل الروايات لا تتعلق بالنحو مباشرة، ويورد أصحاب هذا الرأي حكاية هندية تقول: «**أن أحد ملوكهم كان يوما في حوض سباحة مع نسائه فقال لإحداهن: " ماود كندهي"، أي لا ترشي علي الماء، فظنت أنه يقول " مود كندهي"، أي "احملي حلوى" فذهبت فأقبلت بها، فأنكر الملك، فخاشنته في الخطاب فاستوحش الملك لذلك وامتنع عن الطعام، واحتجب إلى أن جاءه أحد العلماء وسلى عنه بأن وعده تعليم النحو والصرف، وذهب إلى " مهاديو" مصليا مسبحا وصائما متضرعا، إلى أن ظهر له وأعطاه قوانين يسيرة، فرجع العالم إلى الملك، وعلمه إياها، وذلك مبدأ هذا العلم**[9]»، ثم علق أحمد أمين قائلا : «**و أنا أخشى أن تكون حكاية أبي الأسود قد وضعت في العربية على نمط الحكاية الهندية، وهناك شبه بين ذهاب العالم الهندي إلى "مهاديو" مصليا مسبحا، وبين ذهاب أبي الأسود إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يسأله المعونة في وضع النحو**[10] » .

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص34-35.، ولمزيد من الاطلاع ينظر:أصول النحو في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، محمد عيد، ص14-16.

[2] - ينظر: في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص73.

[3] - ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص33.

[4] - ينظر: في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص75-78، وينظر كذلك: المدارس النحوية خديجة الحديثي، ص33.

[5] - ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص34، وينظر كذلك: في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص75.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص34.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص38.

[8] - ينظر: أصول النحو في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، محمد عيد، ص16-18.

[9] - ينظر: في التفكير النحوي العربي، زهير غازي زاهد، ص64-65.

[10] - ينظر: المرجع نفسه، ص65، وينظر كذلك: ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية بين علماء اللغة القدماء والمحدثين، عبد الفتاح علي البجة، ص560-561.

والقول الفصل في هذا الرأي أنه أضعف من أن يناقش أو يرد عليه، حيث إن ظهور أي علم لا يتأثر بمثل هذه الطرهات بل يبدأ بإحساس المجتمع بالحاجة إليه لأسباب متشابكة توجب ظهوره فيبدأ بسيطا ثم يتطور وينضج كما سبق إيضاحه، يقول الألماني**بروكلمان** في هذا المجال: « **والرأي الذي يتكرر دوما عند علماء العرب، وهو أن علم النحو انبثق من العقلية العربية المحضة، وبغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق أرسطو، وفي ما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التأثير الأجنبي لا من القواعد اللاتينية ولا من القواعد الهندية**[1] ».

ولا يخفى أن الأحكام العامة التي يطلقها أصحاب الرأي القائل بتأثر النحو العربي بالآثار الأجنبية المختلفة والتي ذكرناها لا تقنع إلا من يكتفي بالرواية حجة ودليلا في ميدان المعرفة[2]، ولذا لا يمكن الوقوف عندها طويلا.

3- الوقوف موقفا وسطا من هذه المسألة(رأي معقول):

من الباحثين الذين وقفوا من هذه المسألة موقفا وسطا بين الفريقين المستشرق لألماني"**ليتمان**"الذي قال: «...**اختلف الأورباويون في أصل هذا العلم ، فمنهم من قال إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب، وهذا هو الرأي الذي روي في كتب العرب منذ زمن، ونحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا...وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق، وتعلموا أيضا شيئا من النحو، وبرهان هذا أن تقسيم الكلمة مختلف ، قال سيبويه: فالكلمة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا تقسيم أصلي، أما الفلسفة فينقسم فيها الكلام إلى اسم وكلمة ورباط، وهذه الكلمات ترجمت من اليوناني إلى السرياني، ومن السرياني إلى العربي، فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو، أما كلمات اسم وفعل وحرف، فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت وما نقلت**[3] ».

ونذكر في هذا الصدد قول"**دي بور**" الذي يقول فيه: « **وبالرغم من هذا كله احتفظ علم النحو العربي بخصائصه، وهو على أي حال أثر رائع من آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظة ، ومن نشاط في جمع ما تفرق ، ويحق للعرب أن يفخروا به**[4] »

أما إذا تحدثنا عن العلماء العرب في هذا الصدد، فنذكر رأي الدكتور **عبد العال سالم** الذي يقول: «**وفي رأيي الخاص أن قضية نشأة النحو مرتبطة بالمعارف السابقة للعرب في الجاهلية ، وفي العصر الإسلامي، وخاصة في مجالي القراءة والكتابة**» ، وكان يرى أن إنكار نسبة النحو إلى العرب في منشئه فكرة ضالة[5].

وكذلك نذكر رأي الدكتور **عبد القادر المهيري**في كتابه "نظرات في التراث اللغوي العربي"، حيث أكد فيه أن النحو العربي كان نقيا خالصا أصيلا في نشأته خاصة، إذ يقول:«**وإن وجد المنطق إلى النحو سبيلا بمقولاته ومبادئه وفرضياته، فليس ذلك في عهد نشأته، وإنما ابتداء من القرن الثالث، حين أصبح النحو ميدان مناقشات لا حد لها، ومجادلات هدفها الإقناع على أساس متطلبات العقل لا على أساس مقتضيات اللغة ، وكل من مارس المؤلفات المستوعبة لمختلف النظريات واطلع على كتب الأصول، وتمعن في طرق الاحتجاج سرعان ما يقتنع بأنها لا تخلو من طابع منطقي**[6]».

كما نذكر رأي الدكتور **عبد الرحمان الحاج صالح** في كتاباته عن التراث النحوي يؤكد على نقاوة التراث وأصالته في زمن النشأة والتطور، والتي حصرها في القرون الأربعة الأولى للهجرة دون نفي لفساد النحو بعد هذه الفترة نظرا للعوامل التي ذكرناها دون إطلاق الحكم جزافا بل يمكن وجود استثناءات في كل عصر،وقد ذكر الإستراباذي والسهيلي إلى جانب الخليل وسيبويه، يقول الحاج صالح: « **هناك تراث وتراث** [7]، **فالتراث الأول أصيل ، وهو ذلك الذي تركة أولئك العلماء المبدعون الذين عاشوا في زمن الفصاحة اللغوية الأولى الذين التجأوا إلى السماع اللغوي المباشر ودونوا الكلام العربي ، وربما يقول قائل أنهم حصروا اللغة في هذا المعيار الذي سموه الفصحى وتركوا غيره، وطبعا هناك أسباب دينية واجتماعية ، وهي الاعتناء بلغة**

---

[1] - ينظر: في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، ص 65.

[2] - ينظر: نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، ص88.

[3] - المدارس النحوية ، خديجة الحديثي، ص32.

[4] - المرجع نفسه، ص36.

[5] - المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص36.

[6] - نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، ص92.

[7] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاج صالح، ص 168.

القرآن الكريم ، أما أن يقال بأنهم وقفوا من اللغة موقفا غير علمي فلا، لأن العلم لا يتحدد بالغاية التي يرمي إليها أصحابه، انتفاعية كانت، أم غير انتفاعية، بل بمقياسين اثنين هما: المشاهدة والاستقراء والاختيار من جهة والصياغة العلمية من جهة أخرى[1]».

وهذا التحديد لا يتعلق بالزمن أساسا ، وإنما يتعلق بالصفات التي يجب أن تتوفر في الباحث اللغوي، سواء تعلق الأمر بالنقل أو تحرر التفكير وتجرده.

أما النوع الثاني من التراث ، فتراث غير أصيل، تأثر بعوامل خارجية، تمثلت في المنطق والفلسفة اليونانية، وعصر الضعف، وما تبعه من تدهور في كل المجالات: « **وها هنا يتفق هؤلاء المقلدون للغربيين مع المقلدين للشيوخ المتأخرين من النحاة العرب ممن ينتمي إلى عهد الانحطاط الفكري، فكلاهما يحمل كلام المبدعين من علمائنا على غير ما يحتمله، إذ كلاهما يتناول الألفاظ التي ترد في نصوصهم كما يفهمها ويستعملها النحاة المتأخرون، ومعنى ذلك أنهم يسقطون معاني هؤلاء على نظريات أولئك الفطاحل، أي تصور ابن مالك ومن جاء بعده، على تصور الخليل، وسيبويه، و أبي علي الفارسي و ابن جني، وغيرهم...**[2]».

وفي تحديده للنحو العربي الأصيل يقول الحاج صالح: «أما **النحو الذي نقصده فهو نحو الخليل وأصحابه، أو ما وصل إليه النحو في زمانه وزمان سيبويه، وفي عهد أتباعهما الكبار، والسبب في ذلك أنهم المبدعون للنحو العربي ونظرياته الأصلية العميقة، ولم يبلغ الذين تلوهم (بعد القرن الرابع الهجري) من الإبداع والعمل ما بلغوه إلا بعض الأفذاذ القلائل، مثل السهيلي، والرضي الإستراباذي، وهؤلاء وحدهم يمثلون في اعتقادنا أصالة النحو العربي وروعته...**[3]».

وتحدث الدكتور **علي مزهر الياسري** في كتابه "الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه" عن مسألة المجهودات اللغوية التي قام بها الأعاجم، حيث يقول: « **إضافة إلى ما تقدم نرى هذه الذريعة-أي اشتغال الأعاجم باللغة والنحو-واهية فيما ذهب إليه الذين تشبثوا بأهدافها، لأننا لا نستطيع أن نتصور هؤلاء الموالي كانوا علماء وأنهم لقنوا أبناءهم علوم قومهم السابقين، إن المقياس الصحيح لنسبة الثقافة هو لغة المثقف والروافد التي كونت حصيلته الثقافية، ومنهجه في الدرس وليس النسبة على أساس انتمائه إلى أمة معينة، وبهذا المقياس نرى أن العلماء الذين اشتغلوا بدراسة اللغة، وهم من غير العرب نسبا، إنما هم عرب في الثقافة، ولا شيء يميزهم عن سواهم من الدارسين العرب، ولاسيما أننا لا نؤمن أن هناك فروقا بين البشر من حيث مراتب الأجناس، كما تفعل بعض النظريات العنصرية**[4]».

إن هذه المواقف الأخيرة اتخذت موقفا وسطا هو أقرب للواقع والمنطق والعلم دون تعصب، وفي نظرنا نذهب إلى القول الذي ينفي تأثر النحو العربي بالمؤثرات الخارجية في بداية أمره، ويكفي في نظري أن يكون الهدف النبيل الذي أنشئ من أجله النحو، وهو صون لغة القرآن(اللغة العربية) أن يكون عاصما لهؤلاء الأئمة من أن يتأثروا بعوامل ليست ذات صلة باللغة العربية، فقداسة القرآن الكريم واللغة العربية، وحرص هؤلاء على صونها وحمايتها، كلها عوامل محصنة للنحو وللغة بأن يشوبها شائبة، كما أنّ أغلب من تحدثوا عن المؤثرات الخارجية أكدوا أصالة النحو في بدايته، وهذا أمر كاف لدحض هذه الادعاءات، لأن من تأثروا بالعوامل الخارجية بعد ذلك كان جهدهم يتمثل في التوضيح والشرح لهذا العلم لا بناء صرحه.

وهذا ما يؤكده **الحاج صالح** في قوله: « **كل ذلك يبين أن المنطق الأرسطوطاليسي لم يجد مرتعا مريئا إلا بعد نشوء النحو واكتماله، أي بعد اغلاق باب الاجتهاد...ونختم مقتنعين أن النحو العربي لم يتأثر في ابتداء نشأته بمنطق أرسطو لا في مناهج بحثه، ولا في مضمونه التحليلي، فإنه لا يدين بشيئ أصلا فيما ابتناه أول أمره للثقافة اليونانية**[5]».

---

[1] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاج صالح، ج1، ص168-169، وينظر كذلك: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، التواتي بن التواتي، ص84-85، وللتوسع في الموضوع، ينظر:السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة ،د: عبد الرحمان الحاج صالح، موفم للنشر، ط1، 2007م، ص7.

[2] - حوليات جامعة الجزائر، د: عبد الرحمان الحاج صالح، ص36.(بتصرف).

[3] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاد صالح، ج2، ص23-24.

[4] - الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، علي مزهر الياسري، ص115.

[5] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الحاج صالح، ج1، ص63.

ثانيا: تأثر الباحثين العرب المحدثين باللسانيات الغربية:

من الطبيعي عدم الحديث عن تأثر التراث اللغوي العربي باللسانيات الغربية الحديثة لأنه أسبق منها تاريخيا، فإن كان هناك تأثير وتأثر فهو عكسي، أي تأثير هذا التراث في اللسانيات، وقد تطرقنا إلى هذه النقطة في المحاضرة السابقة لكن تأثر الباحثين اللغويين العرب المحدثين باللسانيات هو أمر حاصل بالفعل، وهو أمر طبيعي نظرا للتقدّم الذي يشهده العالم بأسره الذي أصبح كالقرية الواحدة، إضافة إلى الجمود الذي كان يعيشه البحث اللغوي العربي إبان فترة ظهور اللسانيات واحتكاك بعض الباحثين العرب بأفكارها وأعلامها، خاصة من خلال البعثات الجامعية.

1- دخول اللسانيات إلى الثقافة العربية في النصف الأول من القرن العشرين:

ربطت **الباحثة فاطمة الهاشمي بكوش** فكرة ظهور اللسانيات وتأثر الباحثين العرب المحدثين بها بنقل مخرجات البحث اللّساني الغربي عن طريق الموفدين المصريين، خاصّة الّذين درسوا المناهج اللّسانية الحديثة في الجامعات الأوروبية، وبدأوا بنشر بحوثهم اللّسانية منذ الأربعينيات من القرن العشرين[1]، ثمّ توالت البعثات بعد ذلك، ولقد لخّص **مصطفى غلفان** مراحل دخول اللّسانيات إلى الثّقافة العربية ومنها المغاربية في سبع مراحل هي[2]:

أ-البعثات إلى الجامعات الغربيّة الّتي ازدهت في الرّبع الثّاني من القرن العشرين، بداية بالجامعات المصرية وانتهاءً بالمغاربيّة.

ب-إنجاز طلّاب عرب لبحوثهم الجامعيّة في الجامعات الغربيّة تناولت وصف الواقع اللّغوي من وجهة نظر مختلف المدارس اللّسانية الغربيّة، وهذا النّوع لم يتوقّف ومازال موجودًا حتّى اليوم.

ج-إدراج اللّسانيات في المقرّرات الجامعيّة في مصر وسوريا والعراق تحت اسم علم اللّغة وفقه اللّغة.

د-ظهور كتابات تعرّف باللّسانيات أو بهذا العلم الحديث، على غرار علي عبد الواحد وافي في كتابه"علم اللّغة" سنة1941م وتمام حسّان من خلال كتابيه"مناهج البحث في اللّغة"سنة1955م، و"اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة"سنة1957م، ومحمود السّعران من خلال كتابه"علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي"سنة1962م، ثمّ توالت الكتابات بعد ذلك دون نسيان جهود رفاعة الطهطاوي وجرجي زيدان والكرملي التي سبقت هؤلاء...

هـ- حركة التّرجمة، حيث تُرجمت أعمال اللّسانيين الغربيّين، كترجمة مندور لمقال مايي"علم اللّغة"سنة1946موترجمة كتاب "اللّغة" لفندريس سنة1950م، كما ترجم كتاب سوسير "محاضرات في علم اللغة العام"من قبل كثير من الباحثين، وأنشئت مراكز علميّة خاصّة بالبحث اللّساني كما هو الحال في تونس سنة1964م، والجزائر سنة1971م.

و- تنظيم ندوات ولقاءات علميّة محليّة وجهويّة ودوليّة في مجال اللّسانيات، وكان للّسانيين التّونسيين والمغاربة دور بارز في ذلك.

ز- إنشاء تخصّصات قائمة الذّات في اللّسانيات العامّة بكليات الآداب بالجامعات العربيّة، لاسيما في المغرب وتونس اللذين يتميّزان عن غيرهما من دول العالم العربي في هذا المجال.

ولا بد أن نشير بداية إلى مسألة هامّة وهي:(تأخّر دخول اللسانيات لدول المغرب العربي)، وهذه المسألة تعود بالدّرجة الأولى إلى الاحتلال، حيث كانت دول المغرب محتلّة فرنسيّة وتأخرّها في نيل استقلالها وخاصة الجزائر الّتي نالته سنة1962م، وقد حصلت تونس والمغرب على استقلالهما سنة 1956م، وكان ذلك خطّة من المحتل الفرنسي الغاشم من أجل التّفرّغ للجزائر، لقد كان احتلال دول المغرب العربي وخاصّة الجزائر احتلالاً استيطانيًّا جاثمًا على الأرض أحرق الأخضر واليابس، وحاول تحطيم كلّ مقوّمات وحدة الأمّة وشخصيّتها، بعكس دول المشرق الّتي كانت في أسوء الحالات تحت الانتداب، الّذي كان أهون ممّا حدث في المغرب العربي.

لقد كانت دول المشرق العربي وخاصّة مصر مركزًا ثقافيًّا عربيًّا ليس في علوم اللّغة فحسب، بل في كلّ الميادين، لذا فاللّسانيات كما ذكرنا دخلت العالم العربي من بوّابته المشرقيّة بفعل الموفدين والمستشرقين في النّصف الأوّل من القرن العشرين، فدخل المنهج التّاريخي والمقارن ثم الوصفي البنيوي الّذي ازدهر بشكل لافت على يد نخبة من الباحثين **كالطّنطاوي والكرملي و إبراهيم أنيس وتمام حسّان ومحمود السّعران**، أمّا المغاربة فكان ظهورهم الحقيقي في هذا المجال متزامنًا تقريبًا مع فترة ازدهار المدرسة التّوليديّة التّحويليّة، الّتي ظهرت سنة 1957م على يد زعيمها نعوم تشومسكي.

---

[1] - نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، فاطمة الهاشمي بكوش، اتريك للنشروالتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م،، ص12.

[2] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، مصطفى غلفان، شركة النشروالتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص146-147.

إنّ تأخّر اللّسانيين المغاربة في الاحتكاك باللّسانيات والاطّلاع عليها كان عاملاً إيجابيًّا جدًّا، حيث مكّن الباحثين المغاربة من اجتناب الكثير من الإشكالات والسّلبيات الّتي وقع فيها أشقاؤهم المشارقة، فاستفادوا من تجربتهم، وتجنّبوا نقائصها وسقطاتها، وقد عبّر **عزالدّين المجدوب** عن هذه الفكرة بالقول:«...**وقد حاولنا أن نتجنّب النّقص في قراءاتاللّغويين العرب السّابقين لنا...فقد اتّضح لنا بفضل تأخّرنا التّاريخي عنهم الّذي ييسّر عملنا**»[1]، كما أنّ هذا التأخّر جنّب اللّسانيين المغاربة الانشغال بالوصفيّة، الّتي كما سبق التّذكير كانت أحد أسباب الفشل اللّساني العربي في بداياته، وسيأتي التفصيل في هذه المسائل.

2-أعلام اللسانيات الغربيين الذين كان لهم تأثيرواضح على الدرس اللساني العربي الحديث:

يمكن أن نذكر في ذلك أهم الأسماء مثل:

أ- فرديناند دي سوسيرferdinand de Saussure(1857-1913م):

اشتغل سوسير باللسانيات التاريخية وقدّم عملين رائدين في هذا الاتجاه هما:

-"دراسة حول النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندو أوروبية"سنة1978م.

-"حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية" سنة1881م.

وقد قدّم هذا البحث لنيل درجة الدكتوراه في جامعة"ليبسيغ" وترجع أهمية هذه الدراسات إلى أمرين أساسيين هما:

- اعتماد المنهج البنيوي في البحث.
- اتباع مناهج البحث النظري البحت.

ثم بعد ذلك بدأ اهتمامه باللسانيات الآنية الوصفية التي اقترنت به واشتهر بها[2]، حيث أظهرت محاضراته التي نشرها تلاميذه سنة1916م، محاضرات في اللسانيات العامةCours de Linguistique général أهمية الفصل بين اللغة من حيث هي نظام مستقر وبين اللغة من حيث هي تغير لغوي وأن كل دراسة لها منهجها الخاص.

لقد أسس دي سوسير منهجا شكليا تركيبيا للغة يعتمد على آراء وأفكار دوركايم في كون اللغة ظاهرة اجتماعية يقوم هذا المنهج على جملة من الأسس والمبادئ[3] أهمها استخدامه لظاهرة ملفتة للانتباه تمثلت في الثنائياتDichotomiesومن الممكن أن يكون دي سوسير قد تأثر بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأنه ثمّة وجهين مختلفين لكل شيء في هذا الكون كلاهما يكمل الآخر، وقد ظهرت هذه الفكرة عند أرسطو وديكارت واستعملها سوسير من جديد في شكل دعائم مزدوجة أو تفرعات ثنائية[4] ومنها على سبيل المثال[5]:

***- اللغة/الكلام:** فاللغة ظاهرة اجتماعية لا يستغني عنها أي مجتمع، ولا يقوم فرد واحد باختراعها ولا تعديلها، واللغة La Langue يمكن دراستها بمعزل عن الكلام، أما الكلامLa Parole فهو ذو طابع فردي وهو عبارة عن نشاط عضلي صوتي يقوم به.

***- الدال والمدلول:**والعلاقة اعتباطية بينهما، فاللغة نظام من الرموز وليست مجرد مفردات، وهذه الرموز عبارة عن دوال انتظمت في نسق واحد واكتسبت عرفا(مدلولات معينة)، وهذه الوحدات اللغوية(الدوال) لا تتطابق مع الواقع الفكري أو المادي(المدلولات) تطابقا كليا، فالرموز الصوتية والعبارات نظام متكامل يتضمن المحتوى الدلالي (المعنى).

***- علاقة العناصر رأسية/ أفقية:** فالمحور الرأسيParadigmatic هو الذي يوضح إمكانية تبادل الكلمات أو الرموز التي تشغل موقعا ما في الجملة كما في المثال: ملأت كأس ماء، حيث يمكن استبدل كأس ماء ب: خزان، برميل، كوب...، وفي جملة مثل: أنت مجتهد، فالضمير أنت يمكن استبداله ب: هو، أنا...أما المحور الأفقيSyntegmatic حيث تنتظم عناصر التركيب في شكل متتابع يشغل كل عنصر موقعا فيها(مسند، مسند إليه، مبني، معرب)، فكل عنصر يتطلب تحديد الموقع والوظيفة والحركة الإعرابية فلا يكفي استبدال اسم باسم أو فعل بفعل إلا إذا توفرت شروط الرابط الأفقي.

***- الآنية والزمانية:** فاللسانيات الآنيةLanguistique synchronique تدرس أية لغة من اللغات على حدة دراسة وصفية في حالة معينة أو في نقطة زمنية محددة ولا تقتصر في الواقع على دراسة اللغات الحديثة أو المعاصرة إذا توفرت كل الشروط والمعطيات

---

[1] - المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، عزالدين المجدوب، دارمحمد علي الحامي للنشروالتوزيع سوسة، ط1، 1998م، ص5-6.

[2] - ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 2008م، ص92.

[3] - ينظر: الاتجاهات المعاصرة في تطوردراسة العلوم اللغوية، أحمد عبد العزيزدراج، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، دط، 2003م، ص78.

[4] - ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، ص121.

[5] - ينظر: الاتجاهات المعاصرة في تطوردراسة العلوم اللغوية، ص78-83.

التي تنبني عليها الدراسة العلمية الوصفية، أما اللسانيات الزمانية Languistique Diachronique فتتناول التغيرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن من خلال حقب متتابعة في الزمن الماضي.

ب-ليونارد بلومفيلدLeonard Bloomfield(1887-1949م):

وهو من أشهر اللغويين الأمريكيين في القرن العشرين، ويعد كتابه"اللغة" هو عمدة الأمريكيين الذي أطلق عليه بعض الدارسين اسم"إنجيل اللسانيات الأمريكية"[1]، وهو من أصحاب النظرية السلوكية الذين ينكرون وجودة عملية ذهنية عند النطق باللغة، وهي امتداد للمدرسة السلوكية في علم النفس التي يتزعمها واطسون، ويعد كتاب "اللغةLanguage" المذكور حلقة وصل بين المدرستين ، حيث نقل أفكار علم النفس السلوكي إلى مجال البحث اللغوي ومعنى أي صورة من الصور اللغوية عند بلومفيلد هو الحالة التي ينطق فيها المتكلم بهذه الصورة والأثر الذي يحدثه في السامع[2]، فاللغة عنده هي مجرد سلوك مثير واستجابة، والموقف الكلامي عنده يتكون من:

- أحداث عملية تسبق الكلام.
- الكلام.
- أحداث عملية تتلو الكلام.

وأهم مثال يقدمه بلومفيلد لإثبات وجهة نظره حول علاقة اللغة بالسوك(حادثة التفاحة بين جاك وجيل)، حيث حدث التالي:

-كان جاك وجيل يتجولان داخل ممر مسيّج، تري جيل تفاحة فتشعر بالجوع(مثير).
- تصدر جيل كلاما يعبر عن الجوع(تحدث أصوات بحنجرتها ولسانها وشفتيها).(كلام).
- بناء على ذلك يقوم جاك بتسلق الشجرة لقطف التفاحة ويقدمها لجيل، فتأكلها.(استجابة).

ج- جون فيرثJohn Firth(1890-1960م):

استقر فيرث بالهند مدة طويلة ما أتاح له تعلّم بعض اللغات الشرقية وتأثر بالنظريات اللغوية الهندية الشيء الذي جعله يعتقد بأن تطوير أية نظرية لغوية لا يكون إلا بالمعرفة الدقيقة للصوتيات الحديثة، ونظرا لاهتمامه بالتعليم ومناهجه فقد تولى مهنة تدريس اللغة الأنجليزية بجامعة البنجاب من سنة1919-1928م. وبعد جولته المشرقية عاد إلى لندن ليشغل منصب أستاذ للصوتيات بجامعتها، وفي سنة 1938م انتقل إلى كلية اللسانيات للدراسات الشرقية والإفريقية بلندن ليتولى تدريس مقياس الدراسات الشرقية والإفريقية، يعد فيرث أول من منح رتبة أستاذ ذي كرسي في اللسانيات العامة في بريطانيا العظمى، وجدير بالذكر أن فيرث قد كوّن أجيالا عديدة من الطلبة وتخرج على يده عدد لا بأس به من اللسانيين الذين ما فتئت أعمالهم تعكس أفكاره[3].

نادى فيرث في منهجه المتميز بالفلسفة الأحديّة إيمانا منه بأن ثمّة مبدأ غائيا واحدا ألا وهو المادة، فكان يرفض باستمرار بناء فكره اللغوي على ما يسمى بالثنائيات التي يصعب تحقيقها من الناحية العملية خلافا لما ذهب إليه سوسير، ولقد كان فيرث شديد الحرص على وصف اللغة بوصفها نشاطا معنويا في سياق اجتماعي معين، وعموما سنتطرق لأهم مجالات التنظير عند فيرث حيث تكلّم عن[4]:

***-المكون الاجتماعي:** تأثر فيرث بالأنثروبولوجيا(علم الإنسان) ما جعله يركز على دراسة المكون الاجتماعي في مختلف اللغات البشرية فاللغة ظاهرة اجتماعية ، وقد ذكر قبل موته سنة1960"**أن اللغة ينبغي أن تدرس بوصفها جزءا من المسار الاجتماعي أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية أو الإشارات**"، وبما أن استعمال اللغة هو الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني قام فيرث بدراسة مكونات اللغة وفق مكونات اجتماعية بحتة، بالتركيز على العلاقات المختلفة التي تربط اللغة بالمجتمع.

***- التحليل اللغوي:** قام فيرث بإرساء مجموعتين رئيسيتين من العلاقات، تنقسم كل مجموعة منهما إلى قسمين:

---

[1] - ينظر: المرجع السابق ، ص193.

[2] - ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص346.

[3] - ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، ص172-173.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص174-183.

1-العلاقات الداخلية أو الشكلية المتعلقة بالنص، وتنقسم إلى:

أ-العلاقات الركنية وهي العلاقات البينية الموجودة بين العناصر على المستوى النحوي والصوتي(العلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية، أو العلاقات بين الوحدات الفونولوجية (العلاقة بين الأصوات)).

ب- العلاقات الاستبدالية بين المفردات في الأنظمة، حيث تمثل كل مفردة عنصرا معينا من البنية، ويمثل النظام مجموعة المفردات التي نختار منها أية مفردة.

2-العلاقات الموقفية: وتغطي شبكتين مختلفتين من العلاقات:

أ- جميع العلاقات الموجودة ضمن سياق الموقف.

ب- العلاقات القائمة بين أجزاء النص ومظاهر الموقف وهي علاقات بين المفردات اللغوية ومكونات الموقف غير اللفظية، ما يكسب وحدات اللغة معاني شكلية وموقفية.

***-علم الدلالة:**أراد فيرث أن يجعل من الدلالة علما قائما بذاته ، ويذهب إلى القول بأن دراسة الدلالة هي المهمة الرئسية للسانيات الوصفية، أقر فيرث أن أيّة خاصيّة للكلام هي جزء من معناه، كما تبنى فيرث نظرية سياق الموقف وأعطاها معنى عاما مجردا، فسياق الموقف بالنسبة له حقل من العلاقات بين أشخاص يقومون بدورهم في المجتمع مستعملين لغات مختلفة، أما المعنى عند فيرث فهو تلك الشبكة العامة للعلاقات والوظائف التي تستعمل فيها كل المفردات، وموضوع النظرية الفيرثية هو السلوك البشري في إطار سياق معيّن، وقد أطلق فيرث على السلوك الكلامي اسم المعطيات الصوتية، وهي عبارة عن متصل كلامي غير مقطّع والسياق الواسع هو الثقافة، والسياقات الثانوية هي سياقات الموقف، والسياقات عنده مضبوطة متسلسلة هرميا كما يلي:(1-مصطلح صوتي2-سياق صوتي3-سياق معجمي4-سياق صرفي5-سياق تركيبي6-سياق موقفي7-سياق ثقافي).

***-الصوتيات الوظيفية**: اعتني فيرث بالصوتيات الوظيفية عناية شديدة مكنته من بلورة مقاربتين أساسيتين ملازمتين للغات:

1-مقاربة الأنظمة المتعددة: يعارض فيرث إقامة نظام واحد من الفونيمات لوصف اللغات البشرية، ونادى بمقاربة الأنظمة المتعددة التي تنص على وجود إمكانيات بديلة ترد على مستويات مختلفة من البنية الفونولوجية، وخلص إلى أنه لا يوجد مبرر منطقي لمطابقة أو معادلة بدائل صوتية في نظام معيّن ببدائل من نظام آخر.

2- مقاربة الصوتيات الوظيفية الفوقطعية: ويشمل ظواهر صوتية مختلفة كالنبر والفاصل والنغم(حسن الصوت وعذوبته) والتنغيم(درجات الصوت المختلة في الكلام)، وتقترن هذه السمات الفوقطعية بالمقطع والجملة وشبه الجملة، ففي الإنجليزية يعد التنغيم سمة فوقطعية على مستوى الجملة وشبه الجملة، ويعد النبر وطول الصوت سمة فوقطعية على مستوى المقطع.

4-أندري ما تينيAndré Martinet(1908-1999م):

رغم أن مارتيني لم يعش في براغ أبدا، لكنه من أخلص أتباع منهج تروبتسكوي في مجال الفونولوجيا، ومن أكبر المؤيدين المعاصرين لأفكار مدرسة براغ[1]، وقد شارك في أعمال هذا النادي التي كانت تنشر بانتظام، كما شاهد تطور اللسانيات الأمريكية على يد سابير وبلومفيلد، في 1947م حمّل مسؤولية إدارة معهد اللسانيات بجامعة كلولومبيا بنيويورك.

وإذا كانت مدرسة براغ فصلت بين الصوتيات الوظيفية(دراسة الأصوات في السياق الكلامي) عن الصوتيات (دراسة الأصوات المجرد بمعزل عن الاستعمال)ونسب الأولى إلى العلوم والثانية إلى الدرسات الإنسانية فإن مارتينيأزال هذا الفصل وعدّ الفونولوجيا نوعا من الفونيتيك الوظيفية، ويهدف من وراء ذلك إلى تفسير تطور اللغة باستعمال مصطلحات بسيطة لا غموض فيها مثل: اللغة، الجملة، الفونيم، السمة المميزة، اللفظم(الوحدة الصرفية)التي تقابل المورفيم، أما غرضه من التحليل الفونولوجي فيهدف إلى تشخيص العناصر الصوتية وتصنيفها حسب وظيفتها في اللغة، وقد ميّز بين ثلاث وظائف أساسية[2]:

***-الوظيفة التمييزية:** أو المضادة التي تمكّن السامع من معرفة أن لفظة معينة عوض لفظة أخرى قد نطق بها المتكلّم.

***-الوظيفة الفاصلة:** التي تمكّن السامع من تحليل القول إلى وحدات متتابعة.

***-الوظيفة التعبيرية**: التي تعلم السامع عن الحالة العقلية أو الفكرية للمتكلم.

---

[1] - ينظر: الاتجاهات المعاصرة في تطوردراسة العلوم اللغوية، ص91.

[2] - ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، ص153.

بشكل عام فإن الفنولوجيا التاريخية لا تهتم بالتغيّر الصوتي إلا لما يحدثه من تعديلات في بنية اللغة لأن في هذه الحالة فقط يمكن أن نقول بأن تغيّرا ما كان تغيّرا وظيفيا، فهذه الأنواع الوظيفية الهادفة للتغير الصوتي بالمقارنة مع تلك التغيرات التي لا تفضي إلى تعديلات منتظمة تدعى تحويلات فونولوجية، كما ننبه إلى اهتمام مارتيني بالاقتصاد اللغوي ، اقتصاد التغيرات الصوتية الذي يعد أهم وأعظم عمل له في الفونولوجيا الزمانية،حيث يرى مارتيني أن الإنسان يعيش في صراع قائم بينه وبين عالمه الداخلي والخارجي، فالخارجي في تطور مستمر ويتطلب ابتكار مفردات جديدة، والطبيعة الإنسانية الداخلية ميّالة إلى الخمول والجمود واستعمال النزر القليل من المفردات الموجودة حوله إضافة إلى وجود صراع بين حاجيات التواصل التي تؤدي إلى تطوير اللغة من جهة وخمول الأعضاء ونزوعها إلى الاقتصاد في الجهد الذي تتطلبه عملية التلّفظ أو التذكّر من جهة أخرى[1].

5- أفرام نعوم تشومسكيAvran Noam chomsky:

ولد في مدينة فيلاديلفيا الأمريكية في 7 ديسمبر1928م وهو من أصل روسي ونشأ في بيئة لغوية حيث كان والده متخصصا في عبرية الأندلس، وصحح لوالده في صباه أصول أحد الكتب عن العبرية مما كشف عن ميوله اللغوية مبكرا، التحق بجامعة بنسلفانيا درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة وتتلمذ على يد زيليغ هاريس أستاذ علم اللغات السامية، انتقل إلى جامعة هارفورد وتأثر بفكر جاكبسون الذي كان يدرس فونولوجيا تهتم بعلم المعنى من ناحية نظرية، وهو اتجاه مناقض لفكر بومفيلد[2]. في عام 1951م قدم رسالة ماجستير بعنوان البنية الصوتية للعبرية الحديثة ونظامها الصرفي، ثم قدّم عملين تأسست عليهما أعماله اللاحقة وهما: التحليل التحويلي، ورسالة الدكتوراه البنية المنطقية للنظرية اللغوية، لكن منحاه الصعودي بدأ مع نشر كتابه التراكيب النحويةSyntactic Structuresسنة 1957م، ثم تسارعت بعد ذلك تطورات النظرية التوليدية التحويلية، ولقد ساعد ظهور أجيال الحاسبات الآلية بالتوازي مع حياة تشومسكي على بقاء علاقته متجددة دائما بعلوم الرياضيات والحاسب الآلي، ففي عام 1958م كتب عن تناهي الأنماط النحوية وعلاقة علم اللغة بعلوم النفس والمنطق والذكاء الصناعي في إطار برمجة الحاسبات، كما ربط بين بنية اللغة من جهة والرياضيات والحاسب الآلي من جهة أخرى، وأفاد علماء الحاسبات من فكرة توليد الجمل وأمدّهم برؤية عملية لآليات النظام اللغوي[3].

لقد ظهر أثر تنوع مصادر تشومسكي الفكرية في جميع المبادئ والفرضيات التي وضعها ملتزما بالدقة الصارمة التي وضعت على أساسها القواعد الرياضية ومن هذه المبادئ نذكر[4]:

***-مفهوم اللغة:** عرف تشومسكي اللغة في كتابة البنى التركيبية قائلا:"من الآن فصاعدا سأعدّ اللغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر، وكل اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى، وذلك لأن كل لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات أو الحروف ومع هذا فإن عدد الجمل غير متناه".

***-الكفاءة والأداء:** إن مفهومي الكفاءةcompetenceوالأداءperformanceوهما يرتبطان بمفهومي اللغة والكلام عند سوسير لكن تشومسكي رفض فكرة سوسير بأن اللغة كتلة من المادة أو قائمة من الفردات التي ينتقي منها الفرد الكلام، وذهب إلى التمييز بين الكفاءة وهي المعرفة اللغوية الباطنية للفرد أي مجموعة القواعد التي تعلّمها، والأداء وهو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية، فالكفاءة هي نظام عقلي تحتي قابع خلف السلوك الفعلي وهو ليس قابلا للدراسة التجريبية المباشرة والوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذا النظام ودراسته هي الاستبطان إذ يساعدنا على إصدار أحكام على كل الجمل من حيث صحّتها النحوية ومقبوليتها.

***-التوليدgeneration:** يدل على الجانب الإبداعي للغة أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم، بما في ذلك الجمل التي لم يسمعها من قبل، وقد أولى تشومسكي القدرة الإبداعية Creativity اهتماما كبيرا وأكّد على أن النظرية النحوية لا بد أن تعكس قدرة جميع المتكلّمين باللغة، والنحو التوليدي في نظره لا بد أن يولّد كل الجمل النحويةgrammaticalفي اللغة أي أننا باتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة.

---

[1] - ينظر: اللسانيات النشأة والتطور،ص154-155.

[2] - الاتجاهات المعاصرة في تطوردراسة العلوم اللغوية، ص111.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص111-113.

[4] - ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، ص206-212.

*- **التحويل:** تحتل التحويلات المكانة الرئيسية والثورية في القواعد التشومسكية، وتكمن أهميتها في تحويل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية، وبعبارة أخرى فإنها تربط البنى العميقة بالبنى السطحية، وفي كتابه البنى التركيبية سنة1957م ميز تشومسكي بين الجملة الأساسية أو النواة والجملة المشتقة التي سماها الجملة المحولة ووصف الجملة النواة بأنها بسيطة وتامة وصريحة وإيجابية ومبنية للمعلوم(للفاعل) والجملة المحولة بأنها تنقصها خاصية من خواص الجمل النواة فتكون استفهاما أو أمرا أو نفيا أو مبنية للمفعول أو معطوفة أو متبعة أو مدمجة وذكر تشومسكي أن التحويل يكشف لنا الطريقة التي تتحول بها الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة بشكل جلي.

وعلى سبيل المثال: جملة فتح الولد الباب المبنية للمعلوم أوالفاعل نواة أو أصل لجملة: فُتح الباب المبنية للمفعول، وجملة جاء علي وصالح محولة عن جملة: جاء علي وجاء صالح، وهذا تحويل بالحذف وهناك تحويل بالزيادة وتحويل بالحركة(التقديم والأخير) والاستبدال..

*-**مفهوم النحو:** النحو عن تشومسكي يشمل الفنولوجيا والدلالة والصرف والتركيب، وقد عرّف النحو في كتابه البنى التركيبية قائلا:"بأنّه جهاز lyonsالتوليد الجمل النحوية في اللغة"، وحسب ليونز فإن استعمال مصطلحات جهاز، توليد في هذا المقام قد أضل الكثير من القراء، حيث فهموا من كلامه أن النحو جهاز إلكتروني أو آلي يكرر أو يفحص سلوك المتكلم عندما يتلفظ بالجملة، وتجدر الإشارة أن تشومسكي قد استعمل هذه المصطلحات لأن فرع الرياضيات الذي استعمله لشكلنة نحوه يستعمل هذه المصطلحات، مثل: جهاز، آلة، إنتاج، توليد، بطريقة تجريدية.

المحاضرة الثامنة:(اللسانيات التمهيدية واللسانيات المتخصصة)

أولا: الكتابة اللسانية التمهيدية

الكتابة التّمهيديّة أو التّيسيريّة طريقة في التّأليف لا يمكن لأيّ عمل أن يشيع بدونها، لذلك من الطّبيعي أن يشكل هذا النّوع من التّأليف أحد الاهتمامات الأساسيّة لنشر العلوم وتقريبها إلى القرّاء[1]، فهي تعتمد المنهج التعليمي القائم على التوضيح والتبيين والشرح من خلال وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة فهي تنطلق بحسب **مصطفى غلفان** من نقطة أو من متصوّر قبلي لمستوى المتلقّي، الّذي سيطّلع على هذا العلم لأوّل مرّة، فهو جاهل بأصول هذا العلم في اعتقاد كثير من اللّسانيين العرب الّذي فتحوا مجال الكتابة في اللّسانيات للقارئ العربي، حيث يذكر **ميشال زكريّاء** بأنّه يهدف في كتابه"**الألسنية مبادئها وأعلامها**"إعطاء نقط الارتكاز للقارئ الّذي يجهل هذا العلم من أجل إدخاله في صميم المنهجيّة اللّسانية محاولين تسهيل التّعامل مع الأفكار والمفاهيم اللّسانية[2] هنا يصبح الكاتبإذا سلّمنا بفهمه أصلاً لما يكتب يستهدف إرضاء القارئ وليس ذلك جرمًا، ولكنّه ينبغي أن لا يكون على حساب العلم وحقيقته، وعلى العموم سنقدّم قراءة للّسانيات التّمهيديّة، منطلقين من تساؤل: هل نجحت الكتابة اللّسانية التّمهيديّة في تقريب اللّسانيات من القارئ العربي؟

1- السمات المنهجية العامة للكتابة اللسانية التمهيدية العربية:

لقد ساهمت الكتابة اللسانية التمهيدية منذ كتاب علي عبد الواحد وافي"علم اللغة" بشكل إيجابي وعملي في تقريب اللسانيات إلى القارئ العربي سواء كان مثقفا عاديا أم طالبا أم متخصصا في العلوم الإنسانية أم مهتما بمجال معرفي آخر، وقد نجحت هذه الكتابات في هدفها الأساس المتمثل في نشر الفكر اللساني الحديث في الثقافة العربية الحديثة، لكن هذا النجاح نسبي لأسباب عديدة بعضها يرتبط بمسائل أخرى تخرج عن طبيعة هذه الكتابة، مثل تراجع الاهتمام باللسانيات خاصة بعد التحولات التي جاء بها النحو التوليدي التحويلي وتراجع المنهج البنيوي والمستوى الذي وصله تدريس اللسانيات في بعض الجامعات العربية بشكل يتجاوز طبيعة الكتابة التمهيدية، وجوانب تتعلق بمسائل تاريخية ونفسية ترتبط بطبيعة التفكير العربي..إلخ، وبعضها يتعلّق بالكتابة التمهيدية نفسها حيث تحدث الباحث مصطفى غلفان عن جملة من الأسباب منها[3]:

أ- الارتباك في تحديد مجال البحث اللساني:

حيث يبلغ الارتباك إلى درجة التضارب والتناقض من خلال حصر مجالات الدرس اللساني، فهي عند بعضهم دراسة بنية الجملة من جانب صوتيPhonétique/Phonologie وصرفي(بناء الكلمةMorpholigy)ونحوي(بناء الجملة Syntax) وبلاغيSemantics، وهي عند آخرين إضافة إلى ذلك البحث في نشأة اللغة، وعلاقة اللغة بالمجتمع والنفس والبحث في صراع اللغات وانقسامها إلى لهجات وصراع اللهجات، فعلى سبيل المثال علم اللهجات، وعلم النفس اللغوي وعلم الاجتماع اللغوي هي علوم مستقلة بذاتها، لكنها عند بعض اللسانيين التمهيديين هي جزء من اللسانيات، كما أن الكثير من الكتابات التمهيدية ما تزال تعرض معلومات معادة في الجانب الصوتي والأطالس اللغوية(الأطالس اللغوية هي وسيلة لتسجيل الظواهر اللغوية على الخرائط، وهو يجسد العلاقة بين علمي اللغة والجغرافيا)، ونشأة اللغة وتفرعاتها، كما يلاحظ اهتمام هذا النوع من الكتابة بالمستوى الصوتي قياسا بالمستويات الأخرى.

فعلى سبيل المثال نذكر**عبد الصّابور شاهين**في كتابه" **في علم اللغة العام**"عند تحديده لعلم اللغة وعلم اللغة العام والمواضيع الّتي يدرجها تحته يحتاج إلى وقفة مطوّلة، لإزالة ما تحمله مثل هذه التّحديدات من غموض وخلط، فهل تندرج الفيلولوجيا وعلم اللّهجات وأسماء الأعلام وأسماء البلدان وعلم الاشتقاق التّاريخي تحت مصطلح اللّسانيات؟! إنّها علوم لغويّة مساعدة للّسانيات-**يقول حافظ إسماعيلي علوي**- ولكنّها ليست بأيّ حال من اللّسانيات العامّة، وهذا على الأقل منذ أن أصبحت اللّسانيات إطارًا لغويًّا مستقلاً عن غيره من المعارف اللّغويّة[4].

---

[1] - اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص100.

[2] - ينظر: اللسانيات العربية الحديثة، ص99.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص108-118.

[4] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص119-120، وينظر: اللسانيات العربيّة الحديثة، ص110.

ب- غياب تقنيات البحث اللساني:

فتعامل الكتابة اللسانية التمهيدية مع تقنيات التحليل اللساني ظلت في العموم منحصرة في تقديم معلومات تعود لبداية القرن العشرين في صيغ يغلب عليها الطابع الأدبي، دون أن تعرض للكيفية التي يتم بها تناول هذه الموضوعات لسانيا سواء في إطار المنهج الوصفي أم التاريخي أم التقابلي باعتبارها أجهزة مفاهيمية لها أدواتها الواصفة التي تضبط عملية التحليل الوصفي للغة.

ج- عدم مواكبة تطور النظريات اللسانية:

فالكتابات اللسانية في المجمل لم تواكب في مجملها التطورات التي حصلت في البحث اللساني الحديث وما عرفته النظريات من تغييرات وتصورات جديدة وتكاد تكون المرحلة التي تتناولها الكتابة التمهيدية في المرحلة البنيوية في إطارها البنيوي الذي عرف في أنجلترا، فعلى سبيل المثال يقف كمال بشر في كتابه"علم اللغة العام: الأصوات" في عرض جيد للنظريات اللسانية في حدود المدرسة البنيوية كما تتجسد في أعمال تروبتسكوي ولا يتعدّاها رغم صدور كتابه في بداية السبعينات، فهو لم يعرض ما قاله تشومسكي وهالي في إطار نظرية النحو التوليدي في الجانب الصوتي.

د- الكتابة اللّسانية التّمهيدية العربية وإشكالية التّأصيل:

يعمد بعض المؤلّفات التّمهيديّة بدافع التّأصيل إلى المقارنة بين التّراث اللّغوي العربي ومبادئ الدّرس اللّساني الحديث وهي مقارنة لا تخلو من تعسّف وإفراط في التّأويل، فالتّأصيل الّذي تتحدّث عنه مثل هذه المقارنات **يقول حافظ إسماعيلي علوي** يقوم على تجاهل الأصول الإبستمولوجيّة لكلّ علم، والّتي من المفروض أن ترتكز عليها القراءة، فهل من المقبول أن نكلّف القارئ المبتدئ عناء الدّخول في مثل هذه المقارنات، ونشحنه بمقارنات مبنيّة على تأويلات هدفها إثبات التّقاطع بين خطّين مختلفين، بل متباعدين زمنًا ومكانًا ومنطلقًا ومنهجًا وغايةً؟ وفي رأيي حافظ إسماعيلي علوي إنّ مثل هذه المقارنات الخاطئة تخطئ هدفها لاعتبارين اثنين على الأقل[1]:

الأول- إذا كان متلقّي هذه المقارنات ملمًّا بالتّراث اللّغوي، فلا يجد داعيًا لتعميق معرفته باللّسانيات، لأنّه بهذه المقارنة يعتقد أنّ مبادئ اللّسانيات هي ما عرفه من مبادئ التّراث كما توحي بذلك المقارنة.

الثاني- إذا كان متلقّي هذه المقارنات جاهلاً بتراثه، فإنّ التّطابق الوهمي الّذي يتراءى له، سيكون كافيًا لقطع كلّ اتّصال وبحث في هذا التّراث، لأنّ اللّسانيات وحدها تكفيه.

وفي الحالتين فقد فشل الكاتب فشلاً ذريعًا في تحقيق هدفه، لا هو أثبت مكانة التّراث اللّغوي العربي، ولا هو أثبت أهميّة اللّسانيات وأحسن تقديمها للقارئ العربي[2]. ونحن نعلم أنّ المقارنة لن تكون نزيهة وعادلة إذا لم يكن الّذي يقوم بها ملمًّا بطرفي المقارنة(التّراث واللسانيات)ومتعمّقًا فيهما، وهذا الأمر لا يتوفّر في أغلب هؤلاء-إلاّ ما ندر-، وإذا توفّر هذا الإلمام المعرفي فإنّه سيكون أكثر في طرف على حساب الطّرف الآخر، وهنا ستكون المقارنة غير عادلة أو غير دقيقة، وهذا كلّه يجعل البحث اللّساني العربي يغرق في هذه المتاهات والمطبّات، ويأخذ القارئ بالتّالي معلومات مغلوطة .

ويزداد الأمر استشكالاً يقول **حافظ إسماعيلي علوي** حين تتجاوز المقارنة حدود الفهم والإفهام، وتروم أهدافًا أخرى حيث يتحوّل الكاتب إلى عارض لمبادئ اللسانيات من أجل نبذها وتجاوزها، وتزكية سلطة القديم وتأكيدها وهذا ما يتوق إليه أحد الكتب التّمهيديّة الّذي حاول أن يبيّن كيف أنّ النّحاة الأوائل إبّان نهضتهم أولوا تلك الأبحاث اللّغويّة جهودًا فائقة خدمة للّغة العربية الّتي هي وعاء مقدّساتنا على أسس سليمة في جملتها، وكانت تلك الجهود نبراسًا لأمّة الغرب حين نهضته حديثًا وساعده ذلك على الرّقي، فإذا ما غضّ الطّرف بعدئذ بعض علمائهم على ما وضع علماؤنا فمرجعه جهل مبين أو حقد دفين[3].

يقول **عبد الصّبور شاهين** في هذا الصّدد:«**ومن ذلك فإنّ أحدًا لا ينكر أنّ التّناول الحديث للّغة، قد خضع للمناهج الأوروبيّة، واتّبع طريقتها في البحث، كما سبق أن اتّبع الأوروبيون مناهج المسلمين، إبّان عصر النّهضة حتّى استطاعوا أن**

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص123.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص123.

[3] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، ص123-124، وينظر:في علم اللغة العام، عبد الصّابور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1993،6م، ص10-21.

يقفوا على أقدامهم، وأن يستقلّوا بوجهات نظرهم في مختلف العلوم، فكانت الحضارة الأوروبيّة الحديثة نتاج الامتزاج التّاريخي بين عطاء العقل الإسلامي والعقل الأوروبي»[1].

هـ- الكتابة اللسانية العربية التمهيديّة ولعبة الإقصاء:

تنهض أغلب المؤلّفات التّمهيديّة على مبدأ نفي الآخر بأسلوب مهذّب وذكي من خلال إشادة كلّ كاتب بكتابهليضمن له الشّهرة والاستحسان والقبول ولا يكتفون بذلك لأنّه أمر مشروع، بل إنّهم يعمدون إلى نقد الكتب الأخرى-إن صحّ تسمية ذلك بالنّقد-والكشف عن عيوبها الّتي تحاشتها كتبهم، بل وإنّ الإقصاء قد يطال البحث اللّساني في ثقافتنا العربيّة برمّته، كما يقول **عبد الواحد وافي:«موضوعات علم اللغة هي موضوع عناية عدد كبير من الأعلام الباحثين في الغرب، وعلى الرغم من ذلك لم يكتب فيه باللّغة العربية مؤلّف واحد يعتدّ به»**[2].

ويتّخذ النّفي والإقصاء شكلاً آخر حين يعمد الكاتب إلى إغداق كلّ أشكال المدح والثّناء على مؤلّفه ومنهجه في البحث، مع الاستغراق في مدح الذّات وفي هذا الصّدد يقول **أحمد مختار عمر** في مقدّمة كتابه: "**علم الدلالة**":«**ورغم كثرة ما كتب وما يكتب بغير العربيّة في علم الدّلالة ومناهج دراسة المعنى من وجهة النّظر اللّغويّة فالمكتبة العربيّة فقيرة أشدّ الفقر في هذا النّوع من الدّراسات، فمنذ أن صدر كتاب المرحوم إبراهيم أنيس"دلالة الألفاظ"عام1958م حتّى الآن، لم تقدّم للقارئ العربي أيّة دراسة علميّة للمعنى بمفهومه اللّغوي، تستفيد ممّا جدّ من نظريات وما قدّم من أبحاث وما ظهر من نتائج، ولا يغني في هذا المقام كتاب الدّكتور كمال بشر"دور الكلمة في اللّغة" والدّكتور مراد كامل"دلالة الألفاظ العربية وتطوّرها"1963م، فأوّلهما ترجمة لكتاب صدر في فترة مبكّرة من تاريخ العلم1951م، والثّاني زاوية واحدة من زوايا العلم الكثيرة»**[3].

2- قراءة نقدية في عناوين ومقدمات بعض الكتب التمهيدية:

أ- قراءة في العناوين:

العنوان له أهميّة قصوى لأنّه مفتاح التّعامل مع النّص دلاليًّا ورمزيًّا، والقارئ لا يستطيع أن يفكّ عوالم النّص أو الكتاب ودلالتهما ومقاصدهما دون امتلاك العنوان، وقد عرض **حافظ إسماعيلي** علوي مجموعة من عناوين كتب اللّسانيات التّمهيديّة، وهي تمثيل لا حصر[4]، سنقدمها على شكل جدول:

الرقم	العنوان	المؤلّف	الرقم	العنوان	المؤلّف
01	علم اللغة	علي عبد الواحدوافي	13	دروس في السيميائيات	مبارك حنون
02	علم اللغة مقدمة للقارئ العربي	محود السعران	14	مقدّمة في علوم اللغة	البدراوي زهران
03	علم اللغة العام	توفيق محمد شاهين	15	مقدّمة في اللسانيات	عاطف فضل
04	في علم اللغة العام	عبد الصّابور شاهين	16	مقدمة في اللسانيات	عيسى برهومة
05	اللسانيات التوليديّة التحويليّة	عادل فاخوري	17	توطئة لدراسة علم اللغة	التّهامي الراجي
06	الألسنية(علم اللغة الحديث)المبادئ والإعلام	ميشال زكريّاء	18	مبادئ اللسانيات	أحمد محمد قدّور
07	المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه	رمضان عبد التوّاب	19	مبادئ في اللسانيات	خولة طالب الإبراهيمي
08	مدخل إلى اللسانيات	صالح الكشو	20	مبادئ اللسانيات البنيويّة	الطيب دبّة
09	مدخل إلى علم اللغة	محمود فهمي حجازي	21	مدارس علم اللغات	المعتمد بن رشيد ومحمد خريص
10	مدخل إلى علم اللغة	محمد علي الخولي	22	اللسانيات العامّة واللسانيات العربية	عبد العزيز حليلي
11	مدخل للسانيات دي سوسير	مبارك حنون	23	اللسانيات الوظيفيّة مدخل نظري	أحمد المتوكّل
12	مدخل للصوتاتة التوليديّة	إدريس السغروشني			

***-وظيفة العنوان:**يذكر **حافظإسماعيلي علوي** بأنّ العنوان عند **جيرار جينيت** يؤدّي أربع وظائف هي : (الإغراء الإيحاء الوصف، التّعيين)، وهناك من يربطها بوظائف جاكبسون السّت المعروفة، وهناك من يتوسّع فيها أكثر حيث قدّم **هينري ميتران**

---

[1] - في علم اللغة العام، ص21.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص125.

[3] - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص6، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص126-127.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص100-103.

وظائف أخرى، كالوظيفة التّحريضيّة والوظيفة الإيديولوجيّة، وكلها وظائف هدفها إخضاع القارئوسنقدّم قراءة تحليلية لوظائف العنوان حسب تقسيم **جاكبسون** بناءً على نظرة **حافظ علوي**:

- **الوظيفة التواصليّة:**وهذه الوظيفة تهدف إلى تبئير المتلقي وربط نوع من التّواصل بينه وبين المقروء لخلق نوع من التّقارب بينهما لتحريض المتلقي على القراءة والتّلقّي، وتقليص المسافة بينه وبين الكتاب، وهي وظيفة عملت عليها كل الكتب التّمهيديّة دون استثناء[1]، وكأنّ العنوان يطرق باب القارئ يود ربط الوصال معه وطرق بابه.

- **الوظيفة الانفعاليّة التأثيريّة الإغرائية:**تنطلق الكتابة التّمهيدية من مسلّمة أنّ القارئ قارئ مبتدئ يريد التّعرّف على اللّسانيات باعتبارها علمًا جديدًا، والمؤلّف في هذه الحالة يختار ما يراه مناسبًا هو لجلب القارئ العربي وإثارة انتباهه وإغرائه بعبارات محبوكة توحي بالتّبسيط والتّسهيل، وتروم الانتفاع لخلق تفاعل بين النّص والقارئ، وهذه وظيفة تؤدّيها العناوين بدرجات متفاوتة، ويمكن التّمثيل لذلك بالعناوين الآتية:[2]

الرقم	عنوان الكتاب	بؤرة العنوان	الرقم	عنوان الكتاب	بؤرة العنوان
01	مدخل إلى علم اللغة	مدخل	07	المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث فيه	المدخل
02	مدخل للسانيات دي سوسير		08	مبادئ اللسانيات	مبادئ
03	مدخل في اللسانيات		09	علم اللغة مقدمة للقارئ العربي	مقدّمة
04	مدخل إلى الألسنيّة		10	توطئة لدراسة علم اللغة	توطئة
05	مدخل إلى السيمياء السرديّة		11	دروس في علم اللغة العام	دروس
06	مدخل للصّو اتة التوليديّة				

نلاحظ من خلال هذه العناوين أنّ الكلمات المبأّرة للعنوان تُظهر بوضوح تام الرّغبة في التّأثير والتّسهيل، وخلق نوع من التّجاوب بين القارئ والنّص[3]، بمعنى أنّ الكاتب يختار العنوان الّذي يوحي للقارئ بأنّه وجد الصّيد الثّمين أو الأمنية الّتي كان يتمنّاها، وهذه في حقيقة الأمر وظيفة الأدب الّذي يهدف أساسًا إلى التأثير في عواطف القارئ بالدّرجة الأولى وهذا يعني بأنّ أصحاب مثل هذه العناوين، كأنّهم يخاطبون العواطف لا العقول.

- **الوظيفة المرجعيّة الإحاليّة:**تهدف هذه الوظيفة إلى تعيين موضوع الكتاب وتحديد غاياته، فتشكّل هذه الوظيفة بذلك نوعًا من التّعاقد بين المؤلّف والقارئ، وتؤدي عناوين الكتب التّمهيديّة هذه الوظيفة بطرق عديدة يمكن أن نوضّحها في هذا الجدول[4]:

الرقم	عنوان الكتاب	الإحالة إلى:	الرقم	عنوان الكتاب	الإحالة إلى:
01	مدخل إلى علم اللغة	اللسانيات بطريقة عامّة	09	علم الأصوات	قطاع خاص من اللسانيات
02	مدخل إلى الألسنيّة	//	10	علم الدلالة	//
03	توطئة في علم اللغة	//	11	السيميائيات	//
04	مبادئ في اللسانيات	//	12	مدخل للصو اتة التوليديّة	فرع قطاع معيّن
05	مبادئ في علم اللسانيات الحديث	//	13	مدخل إلى السيميائيات السردية	//
06	اللسانيات البنيويّة	مدرسة لسانية محدّدة	14	مدخل إلى لسانيات دي سوسير	إسهامات علم من أعلام اللسانيات
07	اللسانيات الوظيفيّة	//	15	النظريّة الأمريكيّة في اللغة تشومسكي	//
08	اللسانيات التوليديّة التحويليّة	//			

وهذه الوظيفة كأنّها تظهر صدقًا(فهي تعتمد التّصريح المباشر)مع القارئ وتقول له إنّك ستجد مبتغاك، دون تعب كبير فعند أخذ عنوان البنيويّة مثلاً، كأنّ هذا العنوان يقول للقارئ هذه المسألة قد حلّت، وستتعرّف على البنيويّة كما تريد وتشتهي.

- **الوظيفة الإيديولوجيّة:**هي وظيفة دومًا حاضرة في كل الكتابات التّمهيديّة الّتي تضع نصب العين هدفًا محدّدًا سواء عبّر عن ذلك المؤلّف صراحة أم تلميحًا، وهذا ما تومئ به عناوين هذه الكتابة، ويأتي في مقدّمة ذلك التّعريف باللّسانيات باعتبارها علمًا قائمًا بذاته، ويتّخذ التّعريف شكل تحديد شامل لأهداف ومقاصد اللّسانيات أو لأحد قطاعاتها بهدف جعل القارئ ينخرط في

[1] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص103-104.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص104.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص104.

[4] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص105.

اللسانيات[1]. ولا يمكن إخفاء هذه الوظيفة في مثل" علم اللّغة الحديث""مدخل في اللسانيات"، "علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي"، كأنها توحي بدعوة القارئ للانخراط في سياق الحداثة، لأن الزّمن يتغيّر والعلوم اللّغويّة تتغيّر أيضًا، يجب الانخراط في الحداثة اللغويّة المتمثّلة في اللّسانيات.

ب- قراءة في المقدّمات:

المقدّمة قديمة في الثّقافة العربية ولم تكن غائبة عن اللّغويّين العرب، وكانت الشّغل الشاغل للباحثين اللّسانيين المحدثين وعليها يترتّب نجاح التّلقي أو فشله، لأنّها تقوم بتوجيه القراءة وتنظيمها، وتهيّئ القارئ لاستقبال مشروع قيد الإنجاز وهي بالتّالي نوع من التّعاقد المسبق بين المؤلّف والقارئ[2]، فللمقدّمة إذن وظيفة اتّصال(phatique) الّتي قال بها **مالينوفسكي**(1884Malinovoski م-1942م)، وتبنّاها **رومان جاكبسون** (1896Jakobson.R م-1982م)، حيث اعتبرها من الرّسائل الّتي تؤدّي إلى ربط التّواصل أو إطالته أو قطعه[3].

***- وظيفة المقدّمة:**

إذا كان العنوان يؤدّي وظائف مختلفة انفعاليّة وتأثيريّة وإغرائيّة ومرجعيّة وإحاليّة وشعريّة جماليّة إيحائيّة وأيديولوجيّة ...وهذه الوظائف تحضر أيضًا في مقدّمات الكتابة اللّسانية التّمهيديّة[4].

- الوظيفة الانفعالية التأثيريّة الإغرائيّة:هي ذات حضور لافت حسب قول **حافظ إسماعيلي علوي** في مقدّمات الكتابة اللّسانية العربيّة التّمهيديّة، بالتّركيز على الغاية التّعليميّة التّبسيطيّة، مع الإشارة إلى أهميّة الدّرس اللّساني ومكانته.

***- الغاية التعليميّة التبسيطيّة:**الغاية التّعليميّة هي مربط الفرس في كلّ مؤلّف تمهيدي، ومن هذا المنطلق فالمقدّمات في هذا النّوع من الكتب تركّز على هذا الجانب وتوليه عناية فائقة، يمكن أن نستدلّ على ذلك بما ورد في مقدّمة كتاب "**علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي**"، إذ يقول مؤلّفه:«...**ولذلك مهّدت لكتابي بمقدّمة طويلة شيئًا ما تهيئة لذهن القارئ الشّادي لتلقّي أصول هذا العلم بأيسر سبيل وأدنى مجهود، ولقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التّبسيط مع حرصٍ على الدّقّة والسّلامة، حتّى يستقلّ القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته وينتقل منه آمنًا إلى مطالعة أصول هذا العلم منقولة إلى العربيّة أو مكتوبة بلغتها**»[5]، واضح أسلوب الإغراء وحتّي نوع من التّغزّل بالقارئ وذكر ما يدلّ على التّيسير والتّسهيل وذكره للمبتدئ خصوصًا يدخل في هذا الإطار.

ولا يكتفي بعض كتّاب هذا النّوع من الكتابة بمثل هذه الإشارات الواضحة، بل تسعى إلى إغراء المتلقّي بعبارات محفّزة لاستدراجه إلى خبايا المقروء كما نقرأ في قول **ميشال زكريا** في مقدّمة كتابه"**الألسنيّة علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام**":«**قصدنا دعوة القارئ العربي إلى تذوّق هذا العلم الحديث والإلمام به، من أجل ذلك هو كتاب تمهيديّ**»[6]، وهذا إغراء واضح وتحفيز وتشجيع للقارئ ومصطلح تذوّق هو أقرب للرّسالة الأدبية، وكأنّه يوحي للقارئ أن يترك ما عنده بسرعة ويأتي لتذوّق اللّسانيات.

إنّ هؤلاء يعمدون من خلال ذلك إلى لفت انتباه القارئ وتحسيسه بأنّ ما في كتبهم مختلف، وهو الخلاص لفهم اللّسانيات هذا العلم المعقّد في نظر ومخيّلة القرّاء، وذلك بعبارات تدل على التّسهيل والتّبسيط والتّمكين والإيضاح والمساعدة والتّقريب والبعد عن الغموض، بل ويسعى بعضهم إلى إغرائه بأمور تمسّ الانتماء القومي والدّيني، كما فعل أحمد محمد قدّور، في قوله:"**يعينهم على كشف جوانب من تراثهم اللّغوي ويعمّق في نظرهم خصائص لغتهم لغة الحضارة والعلم وعروة الأمة الوثقى**"، وبعضهم يحسّس القارئ أنّه أمام قصّة أو قصيدة أو رواية أو نصّ أدبي من أجل تذوّق جماله الفنّي والأدبي، وهؤلاء فعلاً يعملون المستحيل لجلب القارئ العربي بشتّى الطّرق، لكنّ السؤال المطروح هل استطاع هؤلاء إقناع القارئ وقدّموا اللّسانيات على طبق من ذهب له مكّنته من فهمها واستيعابها؟! والسّؤال الأعمق هل هؤلاء كلّهم قد فهموا اللسانيات فهمًا

---

[1] - ينظر: المرجع السابق ، ص106.

[2] - ينظر: المرجع نفسه ، ص101.

[3] - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص101.

[4] - المرجع نفسه، ص106.

[5] - علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، د: محمود السعران، دار النهضة العربيّة، بيروت، دط، دت، ص 6(في المقدّمة).

[6] - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص107.

حقيقيًّا، وبالتالي نشروا هذا العلم بشكل مناسب؟!والأكيد أنّ بعضهم على الأقل كان يكتب من أجل الموضة ومواكبة التّطوّر كما ذكر الوعر، ولأسباب تجاريّة أو من أجل الشّهرة والظّهور، ما ساهم في خلق مشكل يصعب حلّه بين العربي واللّسانيات، فغرّبوها وجعلوها تتميّز بالتّعقيد والصّعوبه من جهة، وخطر محدق باللّغة العربية وتراثها من جهة ثانية، وما يجب أن نؤكّد عليه هنا أنّها ليست عامّة، فهناك كتابات كانت في المستوى، ولا يمكن أن نعمّم حكم الاخفاق على كلّ ما كُتب في هذا السّياق.

- **الوظيفة المرجعيّة الإحاليّة:**إنّ إحالة المؤلّف على مصادره ومراجعه يكون بهدف كسب ثقة المتلقّي، واستدراجه إلى خبايا الكتاب، فمراجع الكتاب ومصادره تكسب الكتاب مصداقيّة أكبر عند القارئ، لأنّ أهميّة المؤلّف وقيمته تتحدّد على الأغلب بالمصادر الّتي اعتمدها منطلقًا في دراسته[1]، وبتتبّعنا لمصادر الكتابة التّمهيديّة نجد أنّها تعتمد على:

*- **مرجعيّة غربيّة:**وفي هذا النّوع يتمّ التّركيز على مرجع أو مجموعة المصادر الغربيّة، ويرجع ذلك إلى طبيعة الكتاب والمواضيع الّتي يعالجها، فإن كانت هذه المواضيع متنوّعة كانت المصادر كذلك، وأمّا إذا كان الموضوع يصبّ في اتّجاه واحد فإنّ المصدر المعتمد يكون واحدًا وإن كانت لا تحضر بهذا الشّكل المعياري دائمًا.

*- **مرجعيّة مزدوجة:**يجمع هذا النّوع مصادر غربيّة وعربيّة بين ما هو تراثي وما هو حديث، وذلك كما ذكر **أحمد محمّد قدّور** في كتابه قائلاً:«**أمّا مصادر هذا الكتاب فهي مجموعة من المصادر الأجنبية والمترجمة إلى العربيّة ومجموعة أخرى من مصادر عربيّة لغويّة متنوّعة منها ما هو ذو منحى لساني عام متأثّر بالدّرس الأجنبي، ومنها ما هو ذو منحى لغوي خاص بالعربيّة وعلومها، إضافة إلى جملة من الكتب القديمة والحديثة ممّا كان مجالاً لاستمداد الأفكار الجزئيّة أو الأمثلة والشّواهد المتعدّدة، وهناك أيضًا مجموعة من الدّوريات العربية الّتي حوت دراسات مهمّة أو كتبًا أجنبية موضوعة باللّغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة**»[2].

- **الوظيفة الإيديولوجيّة:** هي أم الوظائف وهي الوظيفة الإستراتيجيّة كما يقول **حافظ إسماعيلي علوي** الّتي تصبّ فيها كلّ قنوات الوظائف الأخرى الّتي هي في الحقيقة خادمة لها، حيث ترتكز أهداف الكاتب ومقاصده العامّة فهو يسعى جاهدًا إلى جلب القارئ من خلال التّأثير فيه وحثّه على اقتحام فضاءات النّص، وكأنّه يشير من خلال كلّ ما يقوله إلى القارئ بالقول"**ألا يستحقّ ذلك محاولة القراءة والمناقشة**"[3]، ويغلب على مقدّمات الكتب اللّسانيّة التّمهيديّة كلّ أشكال الإشارة إلى مزاياها وتفرّدها موضوعًا ومنهجًا، وهي دعوة صريحة إلى الإقبال على قراءة الكتاب وتبنّي أفكاره[4].

وعلى سبيل المثال نذكر ما قالته **خولة طالب الإبراهيمي** في مقدّمة كتابها المذكور:«...**ولكن وهذا هو فضل أستاذي عليّ –تقصد الحاج صالح- حرصت على الوقوف كلّما كان ذلك ممكنًا على وجهة نظر المدرسة الخليليّة الحديثة في الموضوع تلك المدرسة الّتي تريد ربط الماضي بالحاضر، فتقترح دراسة تجديديّة لتراثنا اللّغوي العربي في ضوء النّظريّات والمبادئ العلميّة الحديثة، تلك هي عصارة تجربة ثريّة وشيّقة، أهديها لطلّاب العلم والمعرفة راجية من الله تعالى أن يوفّقني لبذل المزيد من الجهد في سبيل التّعريف باللّغة، تلك الظّاهرة العجيبة الّتي هي عنوان الإنسان وعلامته بها يمتاز عن باقي المخلوقات الحيّة**»[5]، واضح أسلوب الكاتبة لجلب القارئ، وذكرها للمدرسة الخليليّة الحديثة هو نوع من رسالة إشهار وطمأنة في الوقت نفسه (ربط القديم بالحديث)، ولا شكّ أنّ تذكير القارئ بالخليل يصبّ بشكل واضح في هذا الاتّجاه.

إنّ المعطيات السّابقة توحي بالإشكالات الّتي تواجه البحث اللّساني العربي، وهي إشكالات متعدّدة كما ذكرنا متعلّقة بالقرّاء وباللّسانيين واللّسانيات نفسها، والسّؤال المطروح بإلحاح هل ساهم اللّسانيّون المهّدون للّسانيات في تخلّف البحث اللّساني العربي؟ وهل كانت هذه الكتابة وفيّة لتعاقداتها مع القرّاء أم ذلك مجرّد ذرّ للرّماد على العيون؟[6]

ولا شكّ أنّ أفق انتظار القارئ المبتدئ الّذي يتلقّى هذا النّوع من الكتابة سيخيب ظنّه، وتخييب أفق انتظار القارئ لا يؤدّي وظيفة جماليّة كما تنصّ على ذلك نظريّة التّلقّي، بل يؤدّي وظيفة إبعاديّة، فإذا كان هذا حال الكتابة اللّسانيّة التّمهيديّة فالأكيد أنّ الكتابة المتخصّصة في نظر هذا القارئ ستكون أدهى وأمر، وهذا يدعو إلى الابتعاد والنّفور والتّقزّز من اللّسانيات

---

[1] - المرجع السابق، ص113.

[2] - مبادئ اللسانيات، ص11-12، وينظر:اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص114.

[3] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص114.

[4] - المرجع نفسه، ص115.

[5] - مبادئ في اللسانيات، ص5-6.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص115-116.

وقطع كل خيوط التّواصل، فتكون الكتب اللّسانيّة التّمهيديّة وسيلة للتّنفير والتّرهيب فتنزاح عن وظيفتها الأساس الّتي تدعو إلى التّحفيز والتّرغيب[1].

وبهذه الطّريقة-**يقول حافظ إسماعيلي علوي**-تقدّم اللّسانيات العربيّة التّمهيديّة اللّسانيات إلى القارئ العربي معتمدة على الوظيفة الانفعاليّة التّأثيريّة الإغرائيّة بغية التّأثير على المتلقّي وإقناعه بتوجّهاتها، وأنّها البديل الّذي يبحث عنه فطغى هذاالجانب (التّجاري) على الجوانب الأخرى، وتحوّل في أحيان كثيرة إلى هاجس، جعل أغلب تلك الكتابات لا تلتزم بتعهّداتها مع قرّائها، فتصدع في عناوينها ومقدّماتها بشيءٍ لا أثر له في صلبها وأحشائها، وهذا الّذي يفسّر إشكالات البحث اللّساني العربي الحديث[2].

ثانيا: اللسانيات المتخصصة

تشكل الغاية التعليمية الهدف الذي تروم تحقيقه اللسانيات التمهيدية[3]، بينما يطلق علي البحوث التي دخلت في صلب اللسانيات تحليلا وتطبيقا على اللغة العربية وإثراء للنظريات الأم اسم اللسانيات العربية المتخصصة، وذلك من منطلق أن ما اقترحته اللسانيات من مفاهيم وتحليلات وأفكار لا مانع من تطبيقها على اللغة العربية، يقول مصطفى غلفان:«**فإذا أخذنا ما تمّ اقتراحه من مفاهيم في اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية مثل: التقطيع والتوزيع والاستبدال والتعاقب والتحليل إلى المكونات المباشرة والبنية العميقة والبنية السطحية والتحويلات وما إلى ذلك من مفاهيم جوهرية في اللسانيات الحديثة، فإننا لا نرى ما يمنع من تطبيقها على اللسان العربي أو أي لسان آخر خارج نطاق الألسن الأوروبية المعروفة مثل: الأنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية**»[4].

إن أهم المحاولات الهادفة إلى التطبيق الحقيقي على اللغة العربية بدأت في الظهور مطلع السبعينات من القرن الماضي(العشرين) ورغم قلّتها إلا أنها لقيت اهتماما وإقبالا من المشتغلين باللغة العربية وأصبحت مرجعا أساسيا لكثير من الدراسات داخل الجامعات العربية نتيجة استفادة الثقافة الأدبية العربية من المناهج اللسانية والدرجة العلمية التي حضيت بها اللسانيات عربيا وعالميا، حيث أصبح البحث عن وصف جديد لبنية اللغة العربية هاجسا لكثير من الباحثين والدارسين، ولم يخل مؤلف لغوي عربي حديث من الدعوة إلى الاستفادة من الطفرة التي أحدثتها اللسانيات[5].غير أن المساهمات اللسانية العربية التي قدّمت تجديدا حقيقيا في هذا الباب نادرة جدا وتعد على أصابع اليد الواحدة، لم تحقق ما وصلت إليه اللسانيات بالنسبة للعديد من الألسن العالمية كالأنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية أو الألمانية[6].

لقد أدرك عدد قليل جدا من اللسانيين العرب ألاّ تعارض بين البعدين العام والخاص في البحث اللساني، فجاءت أبحاثهم بمثابة محاولات إيجابية في تنمية البحث اللساني العربي وتطويره وتعكس مجموعة من أبحاث اللسانيين الرواد هذا الموقف المنهجي الفكري أمثال: **إبراهيم أنيس وتمام حسان وعبد الرحمان أيوب وكمال بشر**[7]، ولقد أدرك الجيل الجديد من اللسانيين العرب الأبعاد النظرية الهامة لدراسة اللغة العربية من منظور اللسانيات المعاصرة من بنيوية وتوليدية وتحويلية ووظيفية فجاءت أعمالهم أكثر مردودية من الناحية النظرية والمنهجية سواء بالنسبة إلى الدرس اللساني العام أو الدرس اللساني الخاص متجاوزة بذلك حدود الثقافة المحلية ومساهمة في تنمية البعدين العام والخاص معا وتطويرهما، نذكر في هذا الباب أعمال الباحثين **عبد القادر الفاسي الفهري** في إطار النحو التوليدي وأعمال **أحمد المتوكل** في إطار النحو الوظيفي، وهي أعمال عربية-يقول مصطفى غلفان- استطاعت أن تزاوج بكثير من النجاح بين البعدين العام والخاص[8].

إن المتتبّع لما قدّمه **أحمد المتوكّل** طيلة مسيرته الحافلة بالإنجازات يدرك أنّ غايته لم تكن فقط دراسة اللغّة العربيّة دراسة وظيفيّة تداوليّة من خلال تطبيق مبادئ وقواعد هذه النّظريّة على اللغة العربيّة، بل كان همّه وجهده الأساس منصبًّا على

---

[1] - اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص127.

[2] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص127-128.

[3] - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص99.

[4] - اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص29.

[5] - ينظر: اللسانيات العربية الحديثة، ص172.

[6] - اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص13.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص33

[8] - المرجع نفسه، ص33-34.

تطوير وإغناء وتطعيم نظريّة النّحو الوظيفي بأفكار ومعطيات استلهما المتوكّل من دراسته المستفيضة للتّراث اللّغوي العربي المصبوغ بصبغة وظيفيّة كما يؤكّد المتوكّل دائما، وكان مؤمنًا أشدّ الإيمان أنّه يمكن تطوير نماذج النّحو الوظيفي وإغناء نماذجه بالاعتماد على استثمار أفكار اللّغويين العرب وتطويرها، بما يتناسب وآليات التّحليل المنتهجة في التّحليل الوظيفي، وأنّ علاقة الدّرس الوظيفي الحديث بالفكر اللّغوي العربي علاقة امتداد لأصل تتيح استحياء واستثمار ما يمكن استحياؤه واستثماره منه **فكان المتوكّل مُمِدًّا للجسور لوصل البحث اللّساني الوظيفي بالتّنظير الدّلالي العربي منظورًا إليه ككلّ متكامل، نحوًا وبلاغةً وفقه لغة، وأصول فقه وتفسيرًا**.

وعلى العموم يمكن تقسيم الكتابة اللسانية العربية المتخصصة إلى ثلاثة اتجاهات أساسية[1] سنذكرها باختصار نظرا لكونها ستكون تفصيلا في المحاضرات القادمة:

1-الاتجاه البنيوي الوصفي:

يعدّ المنهج البنيوي من المناهج الّتي تجسّد الاتّجاه الشّكلي، فهو يُعنى بدراسة المنجز في صورته الآنيّة بغض النظر عن السّياق الّذي أُنتج فيه أو علاقته بالمرسل وقصده وإنتاجه، ويتمّ ذلك بتحليل لغة بعينها مثل اللّغة العربيّة بوصفها كيانًا مستقلًّا ذات بنية تركيبيّة وإيجاد العلاقة بين هذه المستويات، بدءًا من تحليل الأصوات والصّرف والتّركيب إلى تحليل جزئيٍّ لمستوى الدّلالة، واكتفى هذا النّوع من الدّراسات بدراسة الجملة على المستوى التّركيبي، ثمّ تجاوزتها في الآونة الأخيرة إلى مستويات أعلى فبرزت بعض المفاهيم مثل تحليل النّص والخطاب ونحو النّص، والنّص هو ذلك النّسيج اللّغوي المنغلق على ذاته، واهتمّ هذا المنهج بمحاولة إدراك تنظيمه وعلاقة مستويات اللّغة بعضها ببعض، مثل التّراكيب في بناها الكبرى، وما يتفرّع عنها من بنى صغرى، وتحليل الرّوابط وتصنيفها بين هذه البنى أو تلك الجمل2. ومن أهم اللسانيين العرب الذين برزوا بشكل واضح في هذا الاتجاه وطبقوا مبادئ اللسانيات البنيوية الوصفية نذكر: **إبراهيم أنيس، عبد الرحمان أيوب، تمام حسان، كمال بشر**...

2- الاتجاه التّوليديالتحويلي:

اهتم هذا الاتّجاه بتكوين الكفاءة اللّغوية ونموّها عند الطّفل من هنا كانت العناية بتفسيرها والأنساق الّتي يعمل فيها، لذا فالنّحو التّوليدي لتشومسكي رغم أنّه يعتبر مرحلة متطوّرة قياسًا بما سبقه فإنّه ينحو إلى التّجريد واصطناع الجمل في بعص الحالات، كعبارته المشهورة"**تنام الأفكار الخضراء عديمة اللّون باختناق**"، ورغم أنّ هذه الجملة صحيحة نحويًّا، إلّا أنّها لا تدلّ على معنى مفهوم، غير أنّ الملاحظ كما هو معلوم تطوّر أفكار تشومسكي، فبرز مفهوم النّحو التّوليدي الّذي يرى أنّ اللّغة هي عبارة عن مجموعة من الجمل العميقة، وذلك ليفسّر محدوديّة الأصل ولا نهائية المنجز3. ومن أبرز اللسانيين العرب الذين نشطوا في إطار تطبيق مبادئ النحو التوليدي التحويلي على اللغة العربية نذكر: **داوود عبده، ميشال زكريا، محمد علي الخولي مازن الوعر،ومحمد بلبول ونعيمة توكالي وعبد المجيد جحفة وإدريس السغروشني ومحمد غاليم...لكن أبرزهم على الإطلاق عبد القادر الفاسي الفهري**الذي ساهم في إثراء أفكار هذا الاتجاه متجاوزا التطبيق.

لقد اتجّه الشّقّ الشّكلي بصنفيه البنيوي والتّوليدي في دراسة اللّغة على أنّها عبارة عن ظاهرة أو نظام يمكن وصفه وتحليله بمعزل عن دورة التّوالي، ورغم ما قدّم هذا الاتّجاه من أفكار أغنت الدّرس اللّساني، إلا أنّه أثبت قصوره في دراسة الظّاهرة اللّغوية الّتي على أساسها يتم إقامة تواصل نشيط وعميق لا يمكن تحليله بمعزل عن سياقه الوظيفي التّواصلي الفعلي أو ما يسمى التّفاعل الاجتماعي عبر اللّغة.

3- الاتّجاه الوظيفي التداولي:

لقد أثارت العلاقة بين البنيات اللغوية والبنيات الاجتماعية اهتماما للغويين والمفكرين والفلاسفة منذ زمن بعيد فكان البعد الاجتماعي الوظيفي حاضرا في كثير من التعاريف التي قدمت للغة منذ زمن قديم، وهذا ما تلمسه في تعريف ابن جني للغة بقوله:«وأما حدها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[4]»

---

[1] - ينظر: اللسانيات العربية الحديثة، ص172.

[2] - استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص7-8.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص8-9.

[4] - الخصائص، ابن جني، تح: مجمد علي النجار، دارالكتب المصرية، دط، دت، ج1، ص33.

ينظر هذا الاتّجاه إلى اللّغة باعتبارها بنية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بوظيفتها التّواصليةفلابدّ من البحث عن الخصائص الّتي تخوّل للّغة إنجاز وظائف معيّنة1، والمقاربة الوظيفيّة للّغات الطّبيعية أهمّ ما ترتكز عليه مبدأ ربط المقال بالمقام أي ربط الخطاب بظروف إنتاجه، فهي مقاربة إنجازيّة ترتكز على المنجز اللّغوي2. إنّ هذا الاتّجاه يشدّد على وظيفة الأشكال اللّغوية ويكون ذلك انطلاقا من تبعيّة البنية للوظيفة3، علمًا أنّ الاتّجاه التّواصلي الوظيفي يتمثّل في مناهج كثيرة، منها الدّراسات التّداوليّة والنّحو الوظيفي واللّسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب في المراحل المتأخّرة من خلال ربطه بسياق إنتاجه، إذ انفتح في تحليله على كثير من العلوم، كعلم الاجتماع وعلم النّفس وغيرهما4.

إنّ الاتّجاه الوظيفي يهتمّ برصد خصائص بنية اللّغة الطّبيعية وربطها بوظيفتها في التّواصل، والتّوصل إلى أنّ قدرة طرفي الخطاب التّواصلية تكمن في معرفة القواعد العامّة الّتي تمكّنهما من تحقيق أهداف التّواصل وتأويل الخطاب ومنها القواعد اللّغوية في مستوياتها التّركيبية والدّلاليّة والصّرفيّة والصّوتيّة، وتتميّز الدّراسات اللّغوية الّتي تتّخذ التّواصل إطارًا عامًّا لها بأنّها دراسات لسانيّة مرنة، فهي تصف وتفسّر استعمالات المرسل المتنوّعة، بل وعدوله عن بعض المعايير الّثابتة في مستويات اللّغة ليجعل خطابه مناسبًا للسّياق الّذي يتلفّظ فيه5، وبهذا يتجلّى الفرق بين الاتّجاهيين العامّين، وذلك بأنّ الاتّجاه الشّكلي البنيوي بشقّيه (البنيوي والتّوليدي) لا يعتدّ بما هو خارج نظام اللّغة ولا يعترف بتأثيره في بنيتها الدّاخلية، في حين يركّز الاتّجاه الثّاني(التّواصلي الوظيفي) على سياق إنتاج اللّغة وأثره في بنية الخطاب بين المتواصلين. وعلى العموم يعتبر **أحمد المتوكل** رائد هذا الاتجاه دون منازع دون التقليل من جهود أخرى أغلبها مغربية **لطه عبد الرحمان، وعز الدين البوشيخي، محمد مفتاح ونعيمة الزهري...**

[1] - ينظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوية في نظرية النحو الوظيفي، يوسف تغزاوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ،2014م، ص92.

[2] - ينظر: المنهج الوظيفي في البحث اللساني، أحمد المتوكل، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2016م، ص27.

[3] - ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص255.

[4] - استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 9- 10.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص11.

المحاضرة التاسعة:(البحوث اللسانية العربية الحديثة)

تمهيـــــد:

معلوم أن مسألة التّصنيف في البحث اللّساني العربي الحديث أمر صعب إن لم يكن مستحيلاً*، وهذا ليس أمرًا غريبًا في نظري، فنحن لا نصنّف كتابًا واحدًا أو مقالاً أو بحثًا واحدًا لدارس ما، بل نحن نتعامل مع منجز عمل سنوات عديدة قد تصل إلى العشرات للباحث نفسه ، ونحن نعلم أنّ التّشبّث بوجهة النّظر الواحدة أو الموقف الواحد في المجال العلمي قد تكون ناتجة عن عناد وتعصّب ونوع من الدّكتاتوريّة في الموقف العلمي، والطّبيعي أن تَحدث مثل تلك المراجعات والتبدّلات إذا حدث ما يستوجبها، وظهر للعيان فساد الموقف أو الرأي، ويكاد يجمع الدّارسون أنّ الاتّجاهات الّتي سلكتها البحوث اللّسانية العربيّة بناءً على الرّافدين الدّاعمين(التّراث اللّغوي العربي واللّسانيات الحديثة) لا تخرج عن الاتجاهات التالية:

أولا- الاتجاه البنيوي الوصفي العربي:

1-التعريف بهذا الاتجاه:

الوصفية منحى في الدراسات اللسانية الحديثة يقوم بدراسة اللغة ووصفها مستبعدا التعليل والتقدير في تحليل الظاهرة اللغوية[1]، وقد عرف الاتجاه الوصفي طريقه إلى الثقافة العربية بعدما شرع العديد من أفراد البعثات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية في العودة إلى أوطانهم، وقد كان من بين العائدين من تخصصوا في اللسانيات أو أحد فروعها ومن تتلمذوا خصوصا على يد فيرثFirth في مدرسة لندن، فبعد عودة هؤلاء تصدوا للتدريس والبحث اللغوي في الجامعات المصرية التي كانت بذلك منطلقا لبلورة الاتجاه الوصفي في الثقافة العربية بعدما كانت مهد المنهج التاريخي-المقارن من قبل، وبذلك استمرت بحمل لواء التجديد اللغوي في الثقافة العربية.[2] ويعد كتاب "**علم اللغة" لعلي عبد الواحد وافي** سنة1941م أول محاولة تأليف في مجال الدراسات اللغوية الحديثة تنم عن تأثر واضح ببعض قواعد المنهج الوصفي والتمييز بينه وبين المنهج المقارن واعتماده المستويين الصوتي والدلالي لكنه رغم ذلك لم يهتد إلى الفروق الدقيقة بين المنهجين[3].

إن البداية الحقيقية لهذا الاتجاه في الثقافة العربية تبلورت على يد **إبراهيم أنيس** الذي بعودته ساد هذا الاتجاه وترسخ بفضل جهود أعقبته على يد تلاميذه وبعض العائدين الجدد من المدرسة نفسها، وكان من أبرز هؤلاء: **عبد الرحمان أيوب، تمام حسان، كمال بشر، محمود السعران**...وقد ظهر هذا الاتجاه على شكل ثلاثة تيارات واضحة صاحبت تقديم هذه النظرية وهي[4]:

-الوصفية ونقد التراث العربي.

- التحليل البنيوي للغة.

- تطبيق النظرية الحديثة على اللغة العربية.

وإذا كان من المعروف أن اللسانيات الوصفية أو البنيوية اتجاهات ومدارس متعدد تتفق في أمور وتختلف في أخرى، إلّا أنّ اللسانيين العرب لا يهتمون بمسألة التحديد المضبوط للإطار النظري الذي يوظفونه في تعاملهم مع قضايا اللغة العربية ويشتغلون في إطاره، يقول **مصطفى غلفان:"إن الكتابات اللسانية العربية الوصفية لا تحدد بكيفية واضحة الإطار النظري الذي تندرج فيه، ولعل أبرز مثال على ما نقول عمل تمام حسان"العربية معناها ومبناها" الذي يمكن اعتباره من عدة أوجه عملا لسانيا رائدا، إن هذا اللساني لا يذكر المصادر والأسس النظرية والمنهجية الثاوية وراء مقاربته للغة العربية"**[5].

وما قيل عن تمام حسان ينطبق على عبد الرحمان أيوب مثلا فهما جمعا بين التحليل التوزيعي الشكلي وبين تصورات فيرث الوظيفية وهو يرفض النظرة البنيوية القائمة على تجزئة اللغة إلى مستويات فهي متداخلة بالنسبة له فلا قيمة للمستوى دون

---

* - لقد استخدم مصطفى غلفان هذا الموضوع (اللسانيات العربية أو الخطاب اللساني العربي وصعوبة التّصنيف) كعنوان في كتبه النّقدية، ويرجع الباحث ذلك لجملة من الأسباب من بينها: غياب جرد كامل للجهد اللساني العربي الحديث، وعدم البقاء على خط نظري لكثير من الباحثين، فيحدث كثير من التّقلبات والتناقضات في المو اقف...، للاطّلاع عن المسألة ينظر: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص85-90 وينظر: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ، ص55-57.

[1] - دراسات في اللسانيات العربية، ص64.

[2] - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص42.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص43.

[4] - المرجع نفسه، ص44.

[5] - اللسانيات العربية الحديثة، ص178.

اعتبار المستوى الذي يعلوه، ولهذا السبب يصعب تصنيف كتاب تمام حسان " اللغة العربية معناها ومبناها" فهو جمع بين المنهجين الوصفي البنيوي والوظيفي.

2-موقف الاتجاه البنيوي الوصفي العربي من التراث النحو العربي:

لقد تأثر اللسانيون الوصفيون العربباللسانيات الغربية الحديثة تأثرا بالغا، فثار بعضهم على النحو العربي ثورة غير مبررة وغير موضوعية فدعوا إلى تركه، وقد قسم الباحث **عز الدين المجدوب** الوصفيين العرب من خلال تأثرهم باللسانيات الوصفية إلى قسمين: قسم تأثر تأثرا خفيا باللسانيات أمثال **إبراهيم مصطفى وتلميذه مهدي المخزومي** اللذين بقيا في إطار التراث نقدا وإحياء وتجديدا، ألف إبراهيم مصطفى كتابه الموسوم، بـ(إحياء النحو)،الّذي ظهر سنة 1937 م دعا فيه إلى إلغاء نظريّة العامل، كما ذهب ابن مضاء، حيث يرى بعض الباحثين أنّ الأستاذ إبراهيم مصطفى قد اطّلع على كتاب ابن مضّاء (الرد على النحاة)، و تأثّر به تأثّرا شديدا، جعل من كتابه الجديد إحياء النحو إخراجا جديدا لذلك الكتاب بأسلوب جذّاب وحاول تطبيقه تطبيقا علميّا[1].كماتأثّر إبراهيم مصطفى بما ذهب إليه ابن جني والرضي في أن العامل هو المتكلم، وكما تأثر برأي ابن مضاء برفض العلل[2].فقال معلّقا على منهج النحاة في فكرة العامل : « **رأوا أنّ الإعراب بالحركات، و غيرها عوارض للكلام تتبدّل بتبدّل التّركيب على نظام فيه شيء من الاضطراد ، فقالوا عرض حادث لا بد له من محدث ، و أثر لابد له من مؤثّر، و لم يقبلوا أن يكون المتكلم محدثا هذا الأثر، لأنّه ليس حرّا فيه يحدثه متى شاء، وطلبوا لهذا الأثر عاملا مقتضيا، وعلّة موجبة ، و بحثوا عنها في الكلام، فعدّدوا هذه العوامل، ورسموا قوانينها**» [3].و في رأي هذا الباحث أن البحث يجب أن يكون في المعنى الّذي تشير إليه كلّ حركة لا أن يكون في عاملها ، ذاهبا إلى أنّ الضّمّة علم الإسناد و دليل أنّ الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها، و يتحدّث عنها، أمّا الكسرة علم الإضافة، وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها، وأن الفتحة ليست علامة إعراب ولا تدلّ على شيء من المعاني، بل هي الحركة الخفيفة المستحبّة الّتي يراد أن تنتهي بها الكلمة كلّما أمكن ذلك[4] ، حيث يقول : « **ونحن نبحث عن معاني هذه العلامات الإعرابية، وعن أثرها في تصوير المعنى ولم يكن لنا أن نسال عن كلّ حركة ما عاملها، ولكن ماذا تشير إليه من معنى** » [5]

و قد سلك **مهدي المخزومي** تلميذ **إبراهيم مصطفى** هذا الطريق، فتبنّى مذهبه، حيث يقول :« **والقول بأن الضّمّة علم الإسناد لا يشير بحال إلى العوامل ، ولا يزعم وجودها، والواقع أنّ الضّمّة ليست أثرا لعامل لفظيّ ولا معنويّ ، وإنّما هي مظهر من مظاهر العربية في توظيف الوظائف اللّغوية أو القيم النحويّة** »[6].

وقسم تأثروا باللسانيات بشكل جلي وواضح من خلال الانخراط في التأليف اللساني كإبراهيم أنيس وتمام حسان وأنيس فريحة،فدعا **إبراهيم أنيس** إلى ترك الإعراب فيقول:« **ومع أن الإعراب ليس في الحقيقة إلا ناحية متواضعة من نواحي اللغة فقد ملك على الناس شعورهم، وعدّوه مظهر ثقافتهم ومهاراتهم الكلامية**»[7]، وهو يرى بأن النحاة قد فرضوا الإعراب على الناس فرضا، وجعل لهم نفوذا على الخطباء والشعراء، والفصحاء، فيقول: « **وقد نما نفوذ النحاة على مرور الأيام وأصبح الكتاب والشعراء يعرضون عليهم بضاعتهم، فما أجازوه منها تقبله الناس قبولا حسنا، وأصبح النحو يشرع لهم ويقنن**».[8] ولقد حمل تصور الظاهرة الإعرابية بالكيفية التي ذكرناها انعكاسه على العلامة الإعرابية التي عدّوها قرينة من قرائن كثيرة تحدد النوع النحوي، حيث يقول إبراهيم أنيس:«**لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء -**

---

[1]- ينظر: ابن مضاء وموقفه من أصول النحو، ص170.

[2]- مدخل إلى أصول النحو العربي، ص84.

[3]- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ص31.

[4]- ينظر: مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي، ص137.

[5]- إحياء النحو، ص41-42(بتصرف).

[6]- في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ص67.

[7]- من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م، ص183

[8]- المرجع نفسه، ص194.

كما يزعم النحاة – بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض»[1] فهو يرى أن وظيفة الحركة الإعرابية هي وصل الكلمات فقط، وليس لها أي مدلول، إذ ليس ثمة تلازم بين العلامة الإعرابية وتغير المعاني[2].

ودعا **أنيس فريحة** في كتابه "**نحو عربية ميسرة**"، والذي طُبع سنة 1955م إلى ترك الإعراب حيث يرى أنه عقبة في سبيل التفكير، وقد تطرّف أنيس فريحه في رفضه لنظريّة العامل كثيرا ، فرفض العربية الفصحى، حيث يرى بأنّه عند سقوط الإعراب والعامل الموجد له تتطور اللغة، وترتقي بنا الحياة، ويسمو بنا الفكر[3]، يقول مشيدا باللّغة الأنجليزية[4] : « **وها هي الأنجليزيّة الّتي لم يبق فيها من أثر كبير للإعراب، تعبّر عن الفكر والعلم والفنّ بيسر**»، فقد ثار أنيس فريحة على الإعراب وأنكره، و دعا إلى إسكان أواخر الكلمات وعدم تحريكها بأيّ عامل من العوامل،هذه الأخيرة الّتي جعلها سبيلا للتّخلّف حيث يرى بأنّه إذا أقرّت العوامل أرسيت بذلك سبل البداوة و التّخلف [5] .

كما رفض **تمام حسّان** العامل جملة وتفصيلا سواء كان العامل لفظيا أو معنويا، أو كان العامل متكلّما، أو هو الله عز وجل[6]، حيث يقول في رفضه لفكرة العامل : « **إنّ فكرة العامل مرفوضة لرفض كون الألفاظ تعمل في ألفاظ أخرى، لأن المعربات جاء إعرابها للتعبير عن موقعها من السياق، و قد ارتضى النّحاة مثلا أن يكون المبتدأ مرفوعا بالابتداء، فلماذا لا يرفع الفاعل بالفاعلية، وينصب المفعول بالمفعولية... إلخ**؟[7]. وقد أعطى **تمام حسّان** بديلا لنظريّة العامل النّحويّ - الّذي يرى أن فكرته خرافة – تمثّل في نظريّة القرائن الّتي تتمثّل في فهم التّعلّق على وجهه الكافي[8].حيث يقول : « **و في رأيي، كما كان في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال، أنّ التّعليق هو الفكرة المركزيّة في النّحو العربي، وأنّ فهم التّعليق على وجه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النّحويّة، لأنّ التّعليق يحدّد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق ويفسّر العلاقات بينها على صورة أوفى، و أفضل و أكثر نفعا لهذه المعاني الوظيفية النحوية** »[9].

وقد ظهر موقف تمام حسّان على صورته النهائيّة في كتابه الموسوم بـ: "**اللغة العربية معناها ومبناها**" والّذي تناول فيه نظريّة العامل النّحويّ وأعطى لها البديل الأنسب في رأيه متمثلا في نظرية القرائن، وكان تمام حسان كثيرا ما يفند رأيا للقدامى في طيّات كتابه و يعطي بديله، انطلاقا من نظريّته تلك . وسنتطرق لنظرية القرائن في محاضرة" اللسانيات التركيبية".

ومن هذا المنطلق فقد حاول بعض اللسانيين العرب الوصفيين إعادة النظر في بنية الدراسات الغوية، اعتمادا على النظريات اللسانية الغربية البنيوية منها على وجه التحديد، بحيث تبنى هؤلاء في إعادة وصفهم للغة العربية الفصحى ما اقترحته اللسانيات البنيوية من تقسيم للغة على مستوياتها الأربعة الصوتي والصرفي والتركيبي و المعجمي الدلالي [10].

ثانيا- الاتجاه التوليدي التحويلي العربي:

1-التعريف بهذا الاتجاه:

إذا كانت النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة قد عرفت طريقها إلى الوطن العربي بداية السّبعينيات من القرن العشرين غير أنّ السّمة البارزة الّتي ظلت تطبع هذا النّوع من الكتابة هي التّفاوت، وتكاد الكتابة التّوليديّة لا تخرج عن دائرة بعض الأسماء الّتي ساهمت بشكل واضح وفعّال في التّعريف بالنّحو التّوليدي وتطبيقه على اللّغة العربيّة[11]، ولقد اتّخذت الدّراسات العربيّة الحديثة المنضوية تحت النظريّة التّوليديّة ثلاثة اتّجاهات:

أ- اتجاه يعرّف بآراء هذه النظرية ويعرضها كما عند تشومسكي ولكن بشكل نظري، وهذا يدخل ضمن اللسانيات التمهيدية.

---

[1] - المرجع السابق، ص225.

[2] - ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1971م، ص33.

[3] - ينظر: نظرية تشومسكي في العامل والأثر، شفيقة العلوي، ص32.

[4] - نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، دط، 1955م، ص127.

[5] - نظرية تشومسكي في العامل والأثر، شفيقة العلوي، ص32.

[6] - ينظر: اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م، ص55-58.

[7] - الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2004، ص52.

[8] - ينظر: النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، ص119 .

[9] - اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان،ص189.

[10] - ينظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، فاطمة الهاشمي بكوش، ص100-101.

[11] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة الحديثة، ص261، وينظر أيضا: اللسانيات العربية الحديثة، ص201.

ب- اتّجاه قام يتطبيق أفكار تشومسكي على اللّغة العربيّة يمكن أن ندرجه ضمن التّحديث والتّجديد لقواعد اللّغة العربيّة وهذا التّطبيق قد يكون آليًّا(حرفيًّا)ومن هؤلاء على وجه التّحديد ميشال زكريا، وقد يكون فيه تكييف لهذه القواعد بما يناسب اللّغة العربيّة، ومن هؤلاء داوود عبده عطيّة وعبد القادر الفاسي الفهري، هذا الأخير الّذي استطاع إغناء هذه النّظريّة بأفكار استقاها من قواعد وطبيعة اللّغة العربيّة، وسيأتي التّفصيل في المسألة.

ج- اتّجاه حاول أن يوازن بين هذه النّظريّة واللّغة العربيّة وهذه المقارنة تكون كليّة أو جزئيّة، من هؤلاء مازن الوعر وكذلك عبد الرحمان الحاج صالح الّذي يقرّ بعبقريّة تشومسكي، كما يؤكّد أن أفكاره هذه تتقاطع مع كثير من أفكار الرّعيل الأوّل من النّحاة، وهو ما يظهر جليًّا في نظريّة العامل، وسيأتي التفصيل في هذه المسألة أيضًا عند الحديث عن الاتجاه التوفيقي التجسيري.

ولعلّنا في هذا الصّدد نذكر أهم هؤلاء على الإطلاق، وهو **عبد القادر الفاسي الفهري** الّذي اعتنق نظريّة النّحو التّوليدي التّحويلي المطوّرة وقام بتطبيقها على اللّغة العربيّة.[1] وليس هذا فحسب بل إنه يعدُّ من منظّري هذا الاتّجاه العالمي، حيث عارض أعلام التّوليديّة في كثير من الآراء والتّحليلات واعْتُمِدَ الكثير منها، لذلك يمكن القول بأنّه رائد من روّاد هذا الاتّجاه العالمي.

وإذا كان "**نقولا روفي**"، رائدًا في تقديم كتاب يُبَسِّطُ نظريّة النّحو التّوليدي للفرنسيّين في وقت كانت هذه النّظرية مألوفة فقط في بعض الأوساط العلميّة الرّياضيّة والنّفسيّة، وكانت شبه مجهولة عند اللّسانيين الفرنسيين، فإنّ **الفاسي الفهري رائد في نقل النّظريّة نفسها إلى المغرب**، في وقت كانت فيه بعض الدِّراسات الوصفيّة هي المسيطرة على الدّرس اللّساني[2].

2-موقف الاتّجاه التّوليدي التّحويلي المغاربي من التّراث النحوي العربي:

تعد قضيّة الموقف من التّراث من القضايا المفصلية في البحث اللّساني العربي المعاصر، وقد شغلت حيّزا كبيرًا من الجدل الفكري والنّظري بين المفكّرين العرب المعاصرين مشرقًا ومغربًا، وإجمالاً فإنّ المتتبّع للكتابة التّوليديّة العربيّة عامّة والمغاربيّة خاصّة يرى بأنّها سلكت طريقين لا ثالث لهما، يرى الفريق الأوّل أن معطيات التّراث ناقصة وليست ذات قيمة بأن تُعتمد لوصف اللغة العربيّة الحاليّة، وأهم من اتّخذ مثل هذا الموقف ميشال زكريّا، الّذي يقول في أحد كتبه:«**لابد من أن نقول بمنتهى الصّراحة والموضوعيّة أن لا نفع بعد الآن في أن نردّد بصورة متواصلة الدّراسات الّتي قامت بها الأجيال السّابقة والمفاهيم الّتي تبنّوها في المجالات اللغويّة...ففي هذا المجال تكوّن النّظريّات الألسنيّة العلميّة الحديثة في نظرنا التّقنية المطوّرة الّتي نتسلّح بها لسبر قضايا اللّغة العربيّة وتفسيرها وتوضيحها...والمطلوب الآن هو إعادة النّظر مجدّدًا في طرائق التّحليل اللّغوي العربي على ضوء التّطوّر العلمي الحاصل في مجال الألسنية الحديثة والسّعي إلى إيجاد ألسنيّة عربيّة تغدو قادرة على تفهُّم قضايانا اللّغويّة...**[3]»، **وعبد القادر الفاسي الفهري** الذي اتّخذ موقفًا متصلّبًا من التّراث اللّغوي والنّحوي خاصّة، واتجاه الرأي القائل بضرورة الاعتماد عليه في إعادة وصف اللّغة العربيّة وصفًا جديدًا، وهو يرى بعدم ضرورة بل بعدم صلاحيّة تلك المعطيات، مبرّرًا ذلك بأنّ معطيات اللّغة العربيّة الحاليّة لا تنسجم مع معطيات النّحاة القدامى، ويقول في هذا الصّدد:«**فالنّماذج الغربيّة أثبتت كفايتها الوصفيّة وليس هناك ما يمكن أن يشكّك فيها بهذه السّطحيّة ولا أحد يستطيع بشيءٍ من الجدّيّة(اللّهم إلاّ إذا كان الأمر يتعلّق بشعوذة) أن يدّعي أنّنا في حاجة إلى نموذج آخر يبنى بالاعتماد على اللّغة العربيّة لوصفها، والأكثر من هذا أنّ مثل هذا الكلام الغريب حقًّا عن الخطاب العلمي يقدّم دون أيّ استدلال على صدقه وثبوته**[4]»، والأكثر من ذلك **أغلق الفهري الباب عن إمكانية استثمار مجهود القدماء** فيقول: « **بيّنت أبحاثنا كذلك أنّ ترجمة بعض تحاليل القدماء الحديثة(بإعادة صياغتها) مهمّة صعبة بل أحيانًا مستحيلة**[5]»، وفي سياق حديثه تحت عنوان:"**تصوّر خاطئ للتّراث**" أبدى تذمّره من الباحثين العرب الّذين دعوا إلى توظيف التّراث ودراسته واستثماره بغية عصرنته وإخراجه بحلّة جديدة، وهذا الموقف في نظر الفهري غير مجدٍ ولا فائدة تُرجى من ورائه، بل إنّه يفسد على القارئ تصوُّرَهُ للفكر اللّغوي العربي

---

[1] - ينظر: اللسانيات المغربيّة المعاصرة بين التّراث والدّرس الحديث(قراءة نقديّة)، عبد الجبار توامي، كليّة اللّغة العربية، الرياض، مجلّة الدّراسات اللغوية، مج7،ع4 نوفمبر/ديسمبر2005م، ص249.

[2] - النّحو اللسانيات تقاطع أم تواز، عبد الله الجهاد، تكوين للدّراسات والأبحاث، الدار العربية للطباعة والنّشر، المملكة العربيّة السعوديّة، ط1، 2016م، ص318.

[3] - الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربيّة(الجملة البسيطة)، ص5(بتصرف).

[4] - اللسانيات واللغة العربيّة، ج1، ص57.

[5] - المرجع نفسه، ص61..

القديم(التّراث)[1]، وللفكر اللّغوي الحديث (اللّسانيات) في آن معًا، ويطعن في كثير من البحوث ذات الصّلة، ويرى بأنّ الكثير منها يفتقد أصحابها إلى الكفاءة العلميّة اللّازمة والمنهج العلمي الدّقيق للقراءة، فبعضهم يكتب في مواضيع لا يسمح لهم تكوينهم بالكتابة فيها وبعضهم يجترُّون الكلام في مواضيع وإشكالات متجاوزة دون أن يعرفوا أنها متجاوزة أحيانًا، ويأتون بمواد غير كافية لا يصاحبها تصوُّر واضح أو منهج مؤسّس[2]، يقول الفهري في هذا الصّدد: « **وأظنّ أن البحث في اللّغة العربيّة الفصيحة يطرح إشكالاً عميقًا هو إشكال المادّة اللّغويّة أو المعطيات الّتي يقوم بوصفها ومع كامل الاستغراب لا نجد أحدًا يطرح هذا المشكل في عمقه، بل لا نجد أحدًا يصرّح بوجود مثل هذا المشكل حتّى "الوصفيّين" الّذين انتقدوا النّحاة القدامى أشدّ ما يكون الانتقاد، وعابوا عليهم إفسادهم للنّحو بإدخال أدوات ومفاهيم منطقيّة فيه و انتصارهم للقياس واصطناع أمثلة وتراكيب كثيرة لم تكن موجودة في اللّغة ولم تُسمع عن العرب و إنّما أرادوها لتزكية أصولهم، حتّى هؤلاء اكتفوا بالاحتفاظ بما أتى به القدماء من المعطيات ولم يحاولوا وصف لغة أخرى بالاعتماد على جرد مواد جديدة انطلاقًا من نصوص شفويّة أو مكتوبة(كالرّوايات والمحاضرات والأشعار...إلخ**[3]».

وفي نظر **الفهري** فإنّه من العبث الاعتماد على النّحو العربي القديم لوصف اللّغة العربيّة الحاليّة لأن **النّسقين مختلفان** هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ تحليلات القدماء وتصوراتهم بخصوص اللّغة العربيّة ليست كما يعتقد كثير من الباحثين بأنّها مميّزة ودقيقة وعميقة وفريد من نوعها، بل **"إنها ليست لائقة في أغلب الأحيان**[4]". وبذلك فإنّ **الفهري** يعتقد بأنّ هناك حاجة إلى إعادة وصف اللّغة العربيّة لأنّ معطياتها في العصر الحاضر تختلف عن معطيات النّحاة القدامى الّتي اعتبرها ناقصة وغير مناسبه في أغلب الأحيان.

وفريق اتخذ موقفا توفيقيًّا تجاه هذه المسألة حيث دعا إلى ضرورة انفتاح البحث اللّساني العربي الحديث على البحوث اللّغوية العربيّة التراثيّة إن هو أراد تجاوز المجادلات العقيمة الّتي تعوق تقدّمه ومن ذلك الصّراع بين القديم والحديث[5]، ويميل إلى ما يسمّى بالتّوفيق المعرفي أغلب التوليديين كالدّكتور مازن الوعر.

ثالثا- الاتّجاه الوظيفي التّداولي العربي:

1-التعريف بهذا الاتجاه:

لقد تهيّأ لعدد من الدّارسين العرب الّذين درسوا في الجامعات الأوروبية، وخاصّة البريطانيّة التّعرّف على الآراء الوظيفيّة الّتي قال بها اللّساني البريطاني فيرث، فكانت نظريّته من أهم النّظريّات الّتي أطّرت البحث اللّساني العربي فانعكست آراؤه في كتابات عدد كبير من الباحثين العرب المحدثين، كإبراهيم أنيس وتمام حسّان ومحمود السّعران وكمال بشر[6].

لقد جاءت البدايات الأولى للاهتمام بالمنحى الوظيفي في دراسة اللّغة عند الدّارسين العرب المحدثين في إطار الدّعوة إلى التّيسير، فإبراهيم مصطفى ومهدي المخزومي مثلاً دعيا إلى تأكيد وظيفة الكلمة في الجملة، أمّا تمام حسّان فقد نحا في كتابه" اللّغة العربية معناها ومبناها" منحى وظيفيًّا وصفيًّا، يقوم على وصف النّحو العربي بعيدًا عن التّقدير والتّأويل، مؤكّدًا أهمّية المعنى متأثّرًا بنظريّة السّياق لفيرث[7].

غير أنّ الملاحظ أنّ اللّسانيين المشارقة الّذين ذكرناهم وعلى الرّغم من تأثّرهم بفيرث وبنظريّته الوظيفيّة، إلاّ أنّهم لم يصرّحوا بأنّ المنهج الّذي يسلكونه هو منهج وظيفي، بل عرضوا نتائجهم اللّغويّة وقدّموها على أنّهم وصفيّون[8].

---

[1] - ينظر: اللسانيات واللغة العربيّة، ج1ص60.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص61(هامش).

[3] - المرجع نفسه، ص52.

[4] - المرجع نفسه، ص61.

[5] - ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيّات الحديث، ص514،179.

[6] - ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص277، وينظر: اللسانيات العربية الحديثة، ص243.

[7] - ينظر: دراسات في اللسانيات العربية، ص136-137.

[8] - ينظر: التفكير الدّلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص277.

واهتمّ آخرون في إطار لسانيات التّراث* أو الاتّجاه التّوفيقي التّجسيري كما نُفَضِّلُ تسميته، وهذا الفريق اهتمّ بالبحث عن أصول المنهج الوظيفي الحديث محاولين الكشف عمّا يشابهه في الفكر اللّغوي القديم، كما تمّ تناول آراء المدرسة الوظيفيّة المعروفة بالوجهة الوظيفيّة لدراسة الجملة، مقارنين بين مبادئها في تحليل الجملة وآراء الجرجاني النّحويّة والبلاغيّة[1].

أمّا في **المغرب العربي** ففي تونس أولى كثير من باحثيها عناية خاصّة لوظيفيّة **أندري مارتيني**، إمّا من خلال ترجمة بعض أعماله والتّعريف بها، وإمّا محاولة تطبيق مفاهيمها ودراسة بعض المظاهر التّركيبيّة في الجملة العربيّة من منطلق وظيفي بنيوي[2].

إنّ الكتابات الأولى **مشرقيّة وتونسيّة** لم تقدّم للثّقافة العربيّة الصّورة الكاملة والإطار العام للّسانيات الوظيفيّة منذ نشأتها مع مدرسة براغ، إذ انحصرت الوظيفيّة عند بعضهم فيما قدّمه **أندري مارتيني**، تحديدًا الباحثون التّونسيون انطلاقًا من نظرتهم أنّ النّظريّة الوظيفيّة لم تتبلور ولم تكتمل مظاهرها مع حلقة براغ، حيث تواصل بناء صرحها وصقل مفاهيمها في فرنسا على يد أندري مارتيني[3].

أمّا المغرب الأقصى فقد كان بحق مركزًا أساسيًّا للبحث الوظيفي التّداولي العربي بمعناه المعاصر، خاصّة ما قدّمه رائد هذا الاتّجاه **أحمد المتوكّل** الّذي يتحدّث عن انتقال نظريّة النّحو الوظيفي إلى البلاد العربية قائلاً:«**دخلت هذه النّظرية العالم العربي أوّل ما دخلت عبر جامعة محمّد الخامس بالرّباط، حيث شكّلت مجموعة البحث في التّداوليّات واللسانيات الوظيفيّة، وبفضل جهود الباحثين المغاربة المنتمين إلى هذه المجموعة تسنّى للمنحى الوظيفي أن يأخذ محلّه في البحث اللّساني المغربي إلى جانب مكوّناته الأخرى**[4]».

وفي هذا الشّأن يثني **مازن الوعر** على ما قدّمه **المتوكّل** بالقول:«**إنّ الأعمال الدّلاليّة الّتي يقوم بها الباحث أحمد المتوكّل في جامعة محمّد الخامس بالرّباط المغرب، تمثّل اللّبنة اللّسانيّة الحقيقيّة في الثّقافة العربية المعاصرة هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على العمق الثّقافي اللّساني عند الباحثين العرب المغاربة ذلك العمق المتّصف بحدّين: حد الأصالة العربيّة بعلومها التّراثيّة كافّة، والّتي وضعها العرب القدامى، ولا سيما العلوم اللّغويّة الّتي كانت رائدة العلوم الإنسانية في تلك الحقبة من التّاريخ، وحد الحداثة الغربيّة في علومها الحديثة الّتي وضعها الباحثون الغربيّون في أوروبّا وأمريكا ولاسيما علم اللّسانيات Linguistique**[5]».

ونظير الجهد المتميّز الّذي بذله المتوكّل في هذا الاتّجاه، عقدت كليّة الآداب عين الشّق الدار البيضاء ندوتين تكريميّتين(2000م،2005م) لرائد النّحو الوظيفي وضامن استمراريّته دون منازع في العالم العربي **أحمد المتوكّل**[6].

2-موقف الاتّجاه الوظيفي التداولي من التراث اللغوي العربي:

إنّ ما ميّز المنحى الوظيفي العربي كما يذكر زعيمه وكما يلاحظه الدّارس أنّه لم يلعب لعبة الإقصاء مع التّراث اللّغوي العربي كما فعلت بقيّة المدارس البنيويّة والتّوليديّة التّحويليّة في شقّها العربي، بل على العكس من ذلك تمامًا فإنّ المتوكّل اعتمد مبدأً عامًّا يقوم على عدم إقصاء المقاربات الأخرى مؤمنًا أشدّ الإيمان بوحدة البحث اللّساني وإمكانية التّحاور مع بقيّة الآراء والتّجارب وإن فصل بينها مرور الزمن، ويؤكّد **المتوكّل** هذا الموقف بالقول:« **يكمن التّباين بين الفكر اللّغوي القديم(عربيًّا كان أم غير عربيٍّ)، والدّرس اللّساني الحديث في اختلاف الظّروف التّاريخيّة الّتي تحيط بإنتاجهما، حيث لا قطيعة معرفيّة تفصل بينهما خلافًا لما يُعتقد**»[7].

---

* - هذا المصطلح استعمله مصطفى غلفان وتلميذه حافظ إسماعيلي علوي ونحن نفضّل استعمال مصطلح الاتّجاه التّوفيقي التّجسيري، لأنّ المفهوم الأوّل المستعمل من قبل الباحثَيْن ليس موفّقًا في نظرنا وكأنّه يُظهر نوعًا من الاسخفاف بقيمة الجهد الّذي يبذله أصحاب هذا الاتّجاه على غرار الحاج صالح والأخضر غزال الملقّب بأبي اللغويين المغاربة وكأن دورهم يتمثّل فقط في الإسقاط الآلي بين التراث واللسانيات الحديثة مع أنّ مآلات الأمور بخصوص اللّسانيات بمختلف اتّجاهاتها يثبت رجاحة المو اقف المتخذ من أصحاب الاتّجاه التّوفيقي التّجسيري.

[1] - اللسانيات العربيّة الحديثة، ص243-244.

[2] - ينظر: اللسانيات العربيّة الحديثة ص244، وينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص278.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص244، وينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص278.

[4] - المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ص45.

[5] - قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص523.

[6] - ينظر: المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ص416.

[7] - الخطاب وخصائص اللغة العربية،دراسة في الوظيفة والبنية والنّمط، أحمد المتوكّل، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، ص12.

وما نستهدفه يقول **المتوكل** هو إعادة المنهجيّة الّتي اقترحناها(المتوكّل1982م) للتّعامل مع التّراث عرضًا ومقارنة واستثمارًا بتحديثها وتعديل بعض أسسها بما يكفل توفية الفكر اللّغوي العربي القديم حقّه **بعيدًا عن المحاباة والإجحاف**[1].

لقد عبّر المتوكّل عن **فكرة التّلاقح بين الفكر اللّساني الحديث والتّراث اللّغوي العربي** بمصطلح الاقتراض حيث:«**تعدّ عمليّة الاقتراض هذه عمليّة إدماج جزئي مؤقّت ونسبي بعد إعادة صياغة ما يُدمج، ولا نعني بحال من الأحوال إلغاء المصدر المقترض منه**[2]».

إنّ المنحى الوظيفي كما يتصوّر المتوكّل إنّما هو **توثيق للعرى بين اللّسانيات الوظيفيّة الحديثة والتّراث اللّغوي العربي** الّذي يعتبره ذا منحى وظيفيٍّ هو الآخر، ويوضّح **المتوكّل** أهداف مشروعه هذا في كتابه المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، بالقول:«**سعى لسانيو هذا المنحى لإنجاز مشروع ذي شقّين: إضاءة نسق اللّغة العربيّة صرفًا وتركيبًا واستعمالاً، فصحى ودوارج في مختلف القطاعات الاقتصاديّة – الاجتماعيّة من منظور مبدأ تبعيّة البنية لوظيفة التّواصل، ومد الجسور لوصل البحث اللّساني الوظيفي بالتّنظير العربي التّراثي للدّلالة، منظورًا إليها في مجمله نحوًا وبلاغة، فقه لغة وأصول فقه وتفسيرًا**[3]». **وما يصبو المتوكّل إلى تحصيله من هذا المشروع هو رصد المنجز منه بشقّيه، وما هو مستشرف إنجازه في إطار الدّفاع عن أطروحات ثلاث:**

أولا: أنّ اختيار النّظريّات اللّغويّة الوظيفيّة قديمها وحديثها والمفاضلة بينها، لا يمكن أن يتمّا من داخل أحدهما وإن ظنّ أنّها بلغت من الكفاية التّفسيريّة ما بلغت، بل يتمّان في إطار ميتا-نظريّة عامّة تعلوها جميعًا يقترح المتوكّل تسميتها "**النّظريّة الوظيفيّة المثلى**".

ثانيًا: أنّ الفكر اللّغوي التّراثي في عمقه فكر وظيفيّ من حيث مفاهيمه ومنهجه وقضاياه.

ثالثًا: أنّ علاقة الدّرس الوظيفي الحديث بهذا الفكر علاقة امتداد لأصل، تتيح استحياء واستثمار ما يمكن استحياؤه واستثماره منه[4].

وفي هذا السّياق يقترح **المتوكّل** الانطلاق من نقطة منهجيّة لقراءة التّراث اللّغوي العربي مفادها، أنّ المفاهيم المعتمدة في علوم اللّغة العربيّة تنزع إلى التّوحّد، وإن تعدّدت هذه العلوم، وإلى تشكيل إطار نظري يخلف الدّراسات النّحويّة والبلاغيّة والأصوليّة والتّفسيريّة على حدّ سواء[5].

وإذا كنا قد ذكرنا موقف الاتجاه التّوليدي التّحويلي المغاربي من التراث وأنّه كان يتميّز بممارسته التّوفيقيّة أثناء الممارسة والتّطبيق وأنّ زعيمه كانّ رافضًا للتّراث قولاً معتمدًا عليه فعلاً وتطبيقًا، فإنّ الاتّجاه الوظيفي التّداولي قد كان توفيقيًّا قولاً وفعلاً، وهي سمة واضحة وضوح الشّمس في ما قدّمه رائد هذا الاتّجاه وكل المشتغلين في هذا المجال يلاحظ هذا الأمر عند **المتوكّل، وطه عبد الرحمان، والبوشيخي، ونعيمة الزّهري**، والمشتغلين في مجال الحجاج، **كعبد الله صولة، وصابر الحباشة، و أبو بكر العزاوي**، وكذلك المشتغلين في مجال تحليل الخطاب بمفهومه الواسع على غرار **محمّد مفتاح، وإن هذا الموقف من هؤلاء الباحثين ينصف التّراث ويؤيّد فكرة الاقتراض والتّلاقح بين التّراث واللّسانيات الحديثة أو يحقّق مبدأ تحيين التّراث وعصرنته بلغة العصر دون المس بروحه وبعقيدته الفلسفيّة والفكريّة واللّغويّة ودون الانسلاخ من ثوبه ومن أصله.**

رابعا: الاتجاه التوفيقي التجسيري العربي:

1-التعريف بهذا الاتجاه:

هو اتجاه يضم نفرًا من الباحثين يدعون إلى الوسطيّة أو ما يُسمى بالاتّجاه التّوفيقي التّجسيري الّذي يوجب قراءة الحديث لتأصيل القديم، وإنّ قراءة الحديث لا تعني هجر التّراث بقدر ما تعني زيادة التّمسك به[6] يقول **الحاج صالح**- رحمه الله- : «**وأما مكانة هذه النّزعة من النّزعات الأخرى في العالم العربي، فهي تتوسّط في اعتقادنا بين اتّجاهين، اتّجاه يتجاهل تمامًا أو**

---

[1] - المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ص501.

[2] - الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص12.

[3] - المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكّل، دار الأمان، الرّباط، ط1 ،2006م، ص15.

[4] - المرجع نفسه، ص15.

[5] - المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ص501.

[6] - ينظر: تقويم الفكر النحوي، ص249.

إلى حدٍّ بعيد اللّسانيات الحديثة، ويعتمد أساسًا على المفاهيم اللّغوية الّتي تبلورت عند المتأخّرين، ويخلط أصحابه بين المفاهيم العربية الأصيلة، ومفاهيم هؤلاء المتأخّرين واتّجاه آخر يتجاهل تماما أو إلى حد ما التّراث العربي أو يجعل مثل الاتّجاه الأوّل كل التّراث واحدًا، وبعض أصحابه على الرّغم من معرفتهم بهذا التّراث، فإنّهم مقتنعون اقتناعًا تامًّا أنّه قد تجاوزه الزّمان أو هو وجهة نظر لا يمكن أن تساوي وجهات نظر اللّسانيات الحديثة »[1]. إنّ هذا الاتّجاه يقف موقفًا وسطًا دون حكم مسبق متعصب لهذا أو لذاك، ولا نعني بالوسط مسك العصا من الوسط بشكل آليٍّ كما يتصوّر الكثير، وإنّما نقصد عدم التّعصّب لا للتراث ولا للسانيات الغربية، بل إن الأمر خاضع لمعايير علميّة دقيقة ناتجة عن فهم ودراسة علميّة متأنّية للعلمين وهو ما يجعل الاستفادة المتبادلة بين التّراث النّحوي العربي من جهة واللّسانيات من جهة ثانية أمرا ممكنا وواردًا من باب التّأثير والتّأثّر الإيجابي"، ذلك أنّه لا صراع بين التّراث والحداثة،**يقول عبد السّلام المسدّي:«فالنّحو واللّسانيات ليسا ضدّين بالمعنى المبدئي للتّضاد، كيف والنّحو نفسه منذ القديم مفهوم مزدوج، إذ هو يعني في نفس الوقت جملة النّواميس الخفيّة المحرّكة للظّاهرة اللّغوية كما يعني عمليّة تفسير الإنسان لنظام اللّغة بمعطيات المنطلق من العلل والأسباب والقرائن، ويتجلّى هذا في الفرق المفهومي في الصّياغة المزدوجة تبعًا لقولك:نحو العربية، أو نحو الفرنسية...فأنت تعني نظامها، أو لقولك:النّحو العربي أو النّحو الفرنسي، فالمقصود عندئذ عمليّة استخراج النّظام الدّاخلي في تلك اللّغة»**[2]، فكلّ منهما لا ينفي الآخر ولا ينقضه ووجوده متوقّف قطعًا على وجود الآخر ولا معنى للسانيات دون استنباط قواعد اللّغة عن طريق استخراج نظامها النّحوي كما يذكر المسدّي. إنّ مثل هذه الثّنائيات مفيدة ونافعة وناجعة وتكمّل بعضها بعضًا إذا وُضعت في سياقها الصّحيح ومن شأن هذا التّلاقح بين النّظريات الشّرقية والغربيّة أن يطوّر المعرفة البشرية برمّتها."[3]إنّ هذا الاتّجاه يعبّر عن طبيعته وأهدافه **الإجابة الّتي أجابها عبد الرّحمان الحاج صالح عن سؤال وُجّه إليه في أحد النّدوات العلميّة** بعدمّا عرّف بمشروعه العلمي وقراءته الجديدة للتّراث اللّغوي العربي**"هل أنتم من المحافظين؟" فأجاب بصريح العبارة«لست محافظًا، ولا مجدّدًا ولكن أبحث عن المفيد، اكتشفنا في القديم شيئًا عظيمًا لم نجده في الحديث، ولو اكتشفناه لأخذنا به»**[4].

ولقد أثبت هذا الاتّجاه أن التّقارب ممكن بالفعل في كثير من المواضع، لا بل إنّ التّراث اللّغوي والنّحوي العربيورغم قدمه فإنّه يحتوي على تحليلات فريدة فاق بها أحيانًا أحدث ما توصّلت إليه الدّراسات الغربيّة، هذا بالإضافة إلى التّشابه الكبير في كثير من التّحليلات اللّغوية بين العلمين، ما يطرح إمكانيّة استفادة اللّسانيات الغربيّة من الجهود اللّغوية العربيّة قياسًا بباقي المجالات الّتي لم يكن سرًّا استفادة الغرب منها على غرار الهندسة والكيمياء والطب والرياضيات، وغيرها من العلوم الّتي أبدع العرب فيها منذ زمن بعيد؟!

ومن هنا يمكن القول بأنّ هذا الاتّجاه اللّساني جعل جسرًا يربط بين علمين ينتميان إلى ثقافتين وزمنين مختلفين وهذا الجسر هو الّذي غيّر الحكم من الاختلاف الّذي يبدو في الظّاهر والشّكل،(في الزّمن واللّسان والجغرافيا)، لكنّه يُخفي تحته تقاطعات وتشابهات، بل وتماثلات تصل إلى حد التّطابق أحيانًا، ما يثبت المبدأ الّذي يقول"**أن لا شيء يُخلق من لا شيء**" بمعنى إمكانية وجود بعض الجذور العربيّة في اللّسانيات الغربيّة قد يكون أمرًا واقعًا.

وتكمن أهمية هذا الاتجّاه في قدرته على بلوغ ثلاثة أهدف عبّر عنها المتوكّل هي:

- صوغ النّظريات القديمة في قالب جديد يتيح المقارنة بينها وبين الحديث من النّظريات.

- تطعيم النّظرية اللّسانية الحديثة والعامّة برو افد نظريّة جديدة، قد تثبت ما اتّفق عليه الغرب وقد تدحضه.

- خلق نموذج لغوي عربي أو عدّة نماذج يضطلع بوصف اللّغة العربيّة، انطلاقا من النّظريات القديمة بعد أن تقولب وتمحّص في إطار النّظريات اللّسانية الحديثة، وأن تحتك بما تفرّع وما يتفرّع عنها من نماذج لغويّة.

---

[1] - المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، عبد الرحمن الحاج صالح،ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية بالرباط أفريل 1987م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م، ص 389- 390.

[2] - اللسانيات وأسسها المعرفيّة، ص15.

[3] - ينظر: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص124.

[4] - من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التّراث قراءة في النّقد اللساني عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح، محمد صاري،مجلة اللسانيات العربيّة، مركز الملك عبد بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربيّة،العدد:7، شوّال1439هـ ، يوليو2018م، ص59.

إنّ تحقيق هذه الأهداف هو الكفيل بخلق حوار علميّ جادّ بين التّراث اللّغوي العربي واللّسانيات الغربّية، متجاوزًا كلّ نظرة مذهبيّة متعصّبة تعطي التّراث اللّغوي العربي قدرًا فوق قدره، أو تبخسه حقّه ومكانته[1]، من خلال دمج البحث اللّساني العربي القديم في البحث اللّساني الغربي الحديث، مع الإبقاء على هوية البحث اللّساني العربي القديم وكيانه كبحث يمثّل نظرة لسانية ذات خصائص مميّزة[2].

لقد اطلق **مصطفي غلفان** وكذلك **حافظ إسماعيلي علوي** على هذا الاتجاه اسم **لسانيات التراث**، والسّمة المميّزة لهذا النوّع من الخطاب اللّساني العربي الحديث هي سعيه إلى التّوفيق بين مضامين التّراث اللّغوي العربي وما تقدّمه اللّسانيات الحديثة من نظريات ونماذج وأدوات إجرائيّة وطرائق تحليل، ويستعمل لسانيو التّراث شتّى الوسائل المعرفيّة لتحقيق هذا المسعى في إطار ما عرف بقراءة أو إعادة قراءة التّراث.

وفي نظر غلفان فإن أصحاب هذا الاتجاه لا يشكّلون اتجّاها موحّدًا أو مدرسة متجانسة، بل يعبّرون عن وجهات نظر مختلفة في تعاملهم مع التّراث، ذلك أنّ هذا الفريق مثلاً لا يراعي الحدود بين المدارس اللّسانية والفروق القائمة بينها فكثيرًا ما يتمّ الجمع بين توجّهين لسانيين عند لغوي واحد، كالجمع بين البنيوي والتّوليدي دون توضيح الأسس الّتي يقوم عليها مثل هذا الجمع، بل ما يدعو للاستغراب حسب **حافظ اسماعيلي علوي** هو أن نجد من اللّغويين من يتجاوز نفسه داخل الاشتغال نفسه فيكون بنيويًّا وتوليديًّا ووظيفيًّا في آن واحد[3].

إن التّوافق بين التّراث النّحوي واللّسانيات حسب هذا الاتّجاه موجود بالفعل يُصرّح به حينا ويُتغافل عنه أحيانا يقول نهاد الموسى: «**ويشكل اتجاه البحث في نفس صاحبه تشكّله الأول على هيئة إحساس قوي بأن كثيرا من الأنظار الّتي وجدها في كتب المحدثين من الغربيين ولابسها في محاضراتهم ومقابساتهم، يو افق عند عناصر كثيرة منه ما قرأ عن النّحويين العرب مصرّيحين به حينا وصادرين عنه –فيما يقدر الباحث- كثيرا من الأحيان**»[4]، ذلك أن الطّابع الذّهني للّغة بشكل عام يجعل أمر الالتقاء ممكنا بين البحث اللّغوي العربي وغيره من البحوث اللّغوية فالبحث في موضوع اللغة شغل كل الأمم، وليس غريبا على كل حال وجود مثل هذا الإحساس، حيث إنّ كثيرا من نقاط التّلاقي هي موجودة بالفعل ولا يحتاج إلى برهان.

وهذا الموقف يعبر عن حقيقة الدّراسات اللّغوية الّتي لابدّ أن تتقاطع في مواضع كما ذكرنا كما يمكن أن تختلف في أخرى وقد لخّص **أحمد المتوكل أهم هذه الفروق والاختلافات في أربعة عناصر هي: ظروف الإنتاج والموضوع والهدف والمنهج:**[5]

أ-من حيث ظروف الإنتاج: لقد استفادت اللّسانيات من المحيط العلمي ومختلف العلوم، وهو ما لم يكن متاحًا للدّراسة اللّغوية القديمة عمومًا، حيث إنّ اللّسانيات استفادت من الفلسفة والمنطق والرّياضيات وعلم النّفس والتّكنولوجيا.

ب- من حيث موضوع الدّراسة: حيث إنّ اللّسانيات جعلت كلّ اللّغات على اختلافها موضوعًا لدراستها(الملكة اللّسانية)، في حين أنّ بقيّة الأنحاء كانت تقتصر على اللّغة الواحدة، هندية، عربيّة، فرنسيّة...إلخ.

ج- من حيث هدف الدّراسة: كان الهدف الأساسي للدّراسات اللّغوية القديمة تعليمي للحفاظ على اللّغات وصونها من الأخطاء في حين أنّ اللّسانيات كان سعيها حثيثًا إلى إقامة نحو كلّي لجميع اللّغات البشريّة يرصد الخصائص بوجه عام.

د- من حيث منهج الدّراسة:يختلف منهج اللّسانيات عن منهج الدّراسات القديمة الّتي قام النّحو فيها على أوصاف متفرّقة مختلفة غالبًا، وإذا اعترفنا بروح التّنظير عند القدماء، فإنّ اللّسانيات منهجها مغاير تمامًا، يقوم على بناء نماذج خاضعة لقواعد الاستنباط وقوانين الصّورنة العلميّة، ممّا يجعلها قابلة للمعالجة الحاسوبيّة.

لقد ظلّ الموقف التّوفيقي التّجسيري الأكثر حضورًا ونفوذًا في حقل الدّراسات اللّسانيّة الحديثة من خلال السّعي إلى التّوفيق بين الفكر اللّغوي القديم واللّسانيات الحديثة في إطار قراءة التّراث اللّغوي القديم في ضوء اللّسانيات الحديثة[6] وبهذا يمكننا القول **بأنّ اللّسانيات العربيّة اتّجهت إلى ما يمكن تسميته منهجًا توفيقيًّا أو لسانيات توفيقيّة يمزج بين مقولات**

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص383.

[2] - قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص516. وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 383.

[3] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص185.

[4] - نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، دار البشر، عمان، ط2، 1987م، ص 11.

[5] - ينظر: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 37.

[6] - ينظر:الاتجاه التّو افقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح أنموذجًا، معالي هاشم أبو المعالي(رسالة دكتوراه)، إشراف:بان صالح مهدي الخفاجي، جامعة بغداد، العراق، 2014م، ص19 .

اللّسانيات ومقولات النّحو العربي، وبالتّالي فإنّ اللّسانيين العرب المحدثين لم يتمكّنوا من ابتداع درس لساني عربي دون الرّجوع إلى التّراث[1]، ثمّ إنّ الاتّجاهات اللّسانيّة العربيّة الّتي أخذت تسميتها من الأصل الغربي، **كالاتّجاه الوصفي البنيوي والتّوليدي التّحويلي والوظيفي التّداولي، جميعها يغلب عليه الممارسة التّوفيقيّة، وإذا لم يكن ذلك باعتراف واضح، فإنّه ممارسة ظاهرة لا يمكن أن تخفيها المكابرات**، وهو أمر ثبت في الاتّجاهين السّابقين التّوليدي التّحويلي والوظيفي التّداولي على حد سواء.

2- أصول التو افق بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الغربية:

قام العرب بجهود جبّارة في ميدان الدّراسات اللّغويّة لا تقلّ أهمّية عمّا أثبتته اللّسانيات المعاصرة[2]، فلقد ترك علماؤنا رحمهم الله تراثًا ضخمًا يبعث على الإعجاب والإكبار بعقليته المبدعة وتفكيره العميق، وهو ما يظهر جليًّا في كثير من المؤلّفات العربيّة العريقة على غرار كتاب لسيبويه والعين للخليل والخصائص لابن جنّي والصّاحبي في فقه اللغة لابن فارس ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ومفتاح العلوم للسّكّاكي...، فلا نبالغ إذا قلنا إنّ ما تركه هؤلاء يُظهر سبق بعض علمائنا القدامى في بعض تحليلاتهم لأحدث ما قدّمته النّظريات اللّسانيّة في العصر الحديث[3].

وقد عبّر **محمّد الصّغير بناني** على هذه الفكرة في كتابه المدارس اللّسانية في التّراث العربي والدّراسات الحديثة بالقول:« **إنّ المدارس اللّسانيّة الحديثة، وإن كانت تهوى الاستقلال والتّفرّد بالمذهب، إلاّ أنّها في كثير من الأحيان ليست إلاّ ترديدًا وتكرارًا لأفكار سابقة، تعرض في ثياب ومفاهيم جديدة في الغالب، للتّظاهر بالسّبق والاستئثار بالاكتشاف**[4] »، ولعل شهادة العالم الإنجليزي الشّهير **جون فيرث** الّتي ذكرها الباحث العراقي في الصّوتيات **قاسم البريسم**تصب في هذا الاتجاه، حيث يقول **جون فيرث:"نشأت الدّراسات الصّوتيّة في أحضان لغتين مقدّستين هما السنسكريتيّة(لغة الهند القديمة) والعربيّة"**، وقد علّق **البريسم** على هذا القول **بأنّ الدّراسات الأوروبيّة في مجال علم الأصوات اعتمدت على ما أنتجه الهنود والعرب منذ بداية عصر النّهضة، ولا تزال دراسات العرب والهند مثار إعجاب علماء الأصوات حتّى الوقت الحاضر**[5].

إنّ التّو افق بين التّراث النّحوي واللّسانيات لم يكن اعتباطيًّا، ذلك أنّه لا يخرج من احتمالين لا ثالث لهما:

الأول- سبق تحليلات القدامى وعمقها ودقّتها، وأنّ التّوافق محض الصّدفة، **والأمر المسلّم به على كلّ حال هو أنّ النّحو العربي أسبق تاريخيًّا من اللّسانيّات، وبالتّالي أيّ تقاطع في هذا الجانب يعود الفضل فيه للأوّل(القديم الأصيل) على الثّاني(الحديث).**

الثاني- أنّ اللّسانيات الغربيّة على غرار كل الميادين استفادت من التّراث اللّغوي العربي، وأعادت صياغته وهذا أمر وارد أيضًا رغم سكوت الغرب عن هذه المسألة، **وبالتّالي أي تقاطع يعود فيه الفضل كذلك إلى الأوّل(القديم التّراث اللّغوي العربي الأصيل) على الثّاني(الحديث المقلّد، اللّسانيات الغربيّة).**

وعلى العموم سنقدّم أمثلة عن بعض التوافق أو التقارب أو التقاطع بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الغربية بتفرعاتها، الوصفية البنيوية، التوليدية التحويلية، الوظيفية التداولية.

أ-أصول التو افق مع البنيوية الوصفية:

من مبادئ المدرسة البنيويّة مثلاً وصف الواقع اللّغوي من خلال السّماع عن أصحاب اللّغة أنفسهم[6]، **وإذا كان الاتّصال بالو اقع اللّغوي أصل من أصول النّحو الوصفي، فقد كان أيضًا أصلاً من أصول النّحو العربي نتيجة لطبيعة الحياة**

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص19.

[2] - اللسانيات وتعليم اللغة العربية، ص17.

[3] - ينظر: دراسات وتعليقات في اللغة ، رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1994م، ص173، وينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص26، وينظر: نحن واللسانيات بحث في إشكاليات التّلقّي، حافظ إسماعيلي علوي، اللسان العربي وإشكالية التّلقّي، سلسلة كتب المستقبل العربي(55)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط2011،2م، 104.

[4] - المدارس اللسانية في التراث العربي والدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2001م، ص10.

[5] - ينظر: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصّوتية الحديثة، ص5(في المقدّمة).

[6] - دراسات وتعليقات في اللغة، ص185.

العربيّة، ولطبيعة الحركة العلميّة الّتي نشأت في مناخ عام أساسه الرّواية والنّقل، وقد أدّى هذا الاتّصال إلى أن يكون في النّحو العربي اتّجاه وصفي في تناول الكثير من ظواهر اللّغة[1].

إن المتتبّع **لكتاب سيبويه** يلاحظ بوضوح تصريحاته بخصوص السّماع عن العرب أو أستاذه الخليل مثلاً، كقوله : "**سمعنا ذلك ممّن يوثق به من العرب**"، و"**سمعنا العرب تنشده**"[2]، **ممّا يثبت أنّ النّحاة الأوائل سلكوا منهج الاستقراء العلمي في التّعامل مع الظاهرة اللّغويّة، انطلاقًا من تتبّع الجزئيات واستقرائها، وانتهاءً بالوصول إلى الكلّيات في استخراج الأصول والقواعد النّحويّة**[3].

وعلى العموم يمكن القول **بأنّ التّراث النّحوي العربي بدأ وصفيًّا في كثير من جوانبه وأصوله، حيث اعتمد على استقراء المادّة اللّغويّة من مصادرها الأصليّة عن طريق السّماع والتّدوين المباشرين(الاستقراء)، ثمّ استنبطت القواعد الكليّة والجزئيّة من تلك المادّة المجموعة، حيث إنّ القاعدة خاضعة للاستقراء وليس العكس**[4]، أمّا في الحقبة المتأخّرة فقد أصبح معياريًّا، حيث أُخضِعت المادّة اللّغويّة للقواعد وتوقّف الاستقراء عند عصر الاستشهاد فانقلب الميزان من الوصف إلى المعيار ومن إخضاع القاعدة النّحويّة إلى إخضاع المادّة اللّغويّة[5]، فانقلبت الأمور رأسًا على عقب، وأصبح النّحو يدور في حلقة مفرغة أشبه بالمتاهة الّتي كلّما ظنّ صاحبها أنّه خرج منها وجد نفسه في بدايتها.

ب- أصول التوافق مع التوليدية التحويلية:

إنّ فكرة **التّوليد النّحوي الّتي اشتهر بها تشومسكي موجودة عند الجاحظ والجرجاني وابن خلدون**[6]، هذا الأخير الّذي يقول في مقدّمته:«**فالمتكلّم من العرب حين كانت ملكته العربيّة موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصّبيّ استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أوّلاً، ثمّ يسمع التّراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد كلّ لحظة، ومن كلّ متكلّم واستعماله يتكرّر، إلى أن يصير ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم**»[7].

ولقد سبق **عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز تشومسكي في تحديد الفروق الدّقيقة بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة، حيث فرّق بين النّظم والتّرتيب والبناء والتّعليق، فجعل النّظم للمعاني في النّفس، وهو تمامًا البنية العميقة عند تشومسكي، أمّا البناء فهو البنية السّطحية الحاصلة بعد التّرتيب بواسطة الكلمات، كما أنّ التّعليق هو الجانب الدّلالي من هذه الكلمات الّتي في السياق**[8]، وبهذا يكون فكر الجرجاني كما يقول **أحمد العلوي** مكمّلا لفكر النّحاة وهو مكمّل لأنه لا ينقض أساس الفكر اللّغوي العربي، بل يعتمد عليه في بحث إشكالية النّظم، وهو مخالف له لأنه يربط النّظم بالذّات المفكّرة، ولذلك نجده يحصي أنواع الارتباطات الممكنة بين المقولات النّحوية كما قدّمها، وهو أمر لا يفعله النّحاة الّذين يرتبطون بفكرة المسافة العاملية وحدها.[9]

ج- أصول التوافق مع الوظيفية التداولية:

إنّ الوظائف السّت المعروفة الّتي ذكرها جاكبسون لم تغب **عن الجاحظ** مثلاً حيث تحدّث عنها بإسهاب، فلو طبّقنا تقسيم جاكبسون السّداسي للوظائف على كلام الجاحظ لوجدانه يشبهه إلى حدٍّ كبير، حيث تحدّث عن الوظيفة المرجعيّة الإخباريّة تحت عنوان الخبر والإخبار، أمّا بقيّة الوظائف فنلمسها من تعليقاته الّتي يعلّق بها على النّصوص والأخبار الّتي يسوقها على لسان الشّخصيات الّتي يعرض لها أو يروي عنها[10]، ونلمس على سبيل المثال حديثه عن الوظيفة الشّعريّة للّغة في قولة:«**فإذا**

---

[1] - النّحو العربي والدرس الحديث، عبده الرّاجحي، ص55.

[2] - الكتاب ، ج1، ص214،202.

[3] - ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، توزاد حسن أحمد، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، تونس،ط1، 1996م، ص56 .

[4] - ينظر: تقويم الفكر النّحوي، ص116.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص116.

[6] ينظر: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص11، وينظر: الاتّجاه التوفيقي، ص52،

[7] - مقدّمة ابن خلدون، ص626.

[8] - أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 30- 31.

[9] - قضايا ابستيمولوجية في اللسانيات، ص 228.

[10] - ينظر: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، ص193.

كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن، فإذا أردت أن تتكلّف هذه الصّناعة وتنسب إلى هذا الأدب، فقرضت قصيدة أو حبّرت خطبة أو ألفت رسالة، فإيّاك أن تدعوك ثقتك بنفسك أو يدعوك عُجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدّعيه...فإذا رأيت أنّ الأسماع تُصغي له والعيون تُحدق إليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله...».[1]

وينظر النّحو الوظيفي إلى اللّغة على أنّها أداة تسخّر لتحقيق التّواصل داخل المجتمعات البشريّة وينظر إلى الجملة على أنّها وسيلة تستعمل لتأدية أغراض تواصليّة وتدرس خصائصها البنيويّة على هذا الأساس، فرصد خصائص اللّغات البشريّة الطبيعيّة رهين بربط هذه البنية بوظيفة التّواصل في إطار السّياق الاجتماعي الّذي وردت فيه وليس بمعزل عنه كما يفعل غيرهم[2]، ولقد كانت هذه النّظرة الوظيفيّة شاخصة في التّراث اللّغوي عند العلماء العرب، فقد ظهرت في تحليلاتهم وبأسلوب يدلّ على نفاذ بصيرتهم وإدراكهم لقيمة اللّغة في الحياة والمجتمع، ولقد خاض بعض اللّغويين العرب في هذه المسألة **كالجاحظ و ابن جنّي والجرجاني**، ونلمس ذلك مثلا من تعريف **ابن جنّي** للغة بأنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وقد ذكر **الجرجاني** أن اللّغة يستعملها النّاس ليعرف السّامع غرض المتكلّم ومقصوده وأن الخبر والكلام مقاصد وأغراض.[3]

[1] - البيان والتبيين، ج1، ص203.

[2] - ينظر: التّواصل الإنساني دراسة لسانية، محمد إسماعيلي علوي، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2013م، ص112.

[3] - ينظر: تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، ص190.

المحاضرة العاشرة: (اللسانيات الصوتية)

تمهيـــــد:

شكل البحث في المستوى الصوتي مبحثا هامّا للباحثين العرب القدماء من لغويين وقراء* كما سبق التذكير، وقد كان لهم تحليلات لطبيعة الأصوات العربية من حيث المخارج والصفات ملفتة للنظر ومثيرة للإعجاب لعمقها ودقتها قياسا بالزمن الذي عاشوا فيه، وبرز في هذا الشأن بشكل خاص من اللغويين الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني الذي خصّه ببحث خاص في كتابه "سر صناعة الإعراب"، وفي العصر الحديث انتعش البحث في المستوى الصوتي بشكل خاص عند الوصفيين العرب الذين حافظوا على تقاليد النظرية الأم التي ينتمون إليها اهتمامها بهذا المستوى بشكل لافت دون إغفاله من بقية النظريات وسنحاول في هذه المحاضرة التركيز على أهم الجهود العربية الحديثة في المستوى الصوتي .مع تحديد مصطلح اللسانيات الصوتية:

أولا-مفهوم اللسانيات الصوتية:

طبقا لتقسيم اللسانيات العامة دراسة اللغة إلى مستويات أربعة معروفة منها المستوى الصوتي، فاللسانيات الصوتية فرع من اللسانيات يختص بدراسة المستوى الصوتي فيدرس اللغة من حيث المخارج والصفات وتقسيمها إلى صوامت سواكن وصوائت متحركة واستخلاص القوانين والعلاقات التي تحكمها، أي كيف تنطق الأصوات الساكنة والمتحركة وما هو السبيل لتقويم الاضطرابات التي قد تحصل في نطق هذه الأصوات واللسانيات الصوتية يمكن تقسيمها إلى الفونيتيك علم الأصوات والفونولوجيا علم وظائف الأصوات، انسجاما مع ثنائية اللغة والكلام على الترتيب[1]، وقد لخص أحمد مختار عمر أهمية اللسانيات الصوتية في النقاط الآتية:

-تبين خصائص اللغات بما يساعد متكلميها على إجادتها والمحافظة عليها.

- المساعدة في المحافظة على تكريس الفصحى وتوجيه الناطقين نحوها ما يساهم في حل مشكلة الازدواجية اللغوية"اختلاط الفصحى واللهجات".

- هي أداة فعالة في الجانب التعليمي حيث تسهم في مساعدة المهتمين بهذا الميدان على تعليم الناشئة أصوات اللغة بصورتها المثلى وتصحيح الأخطاء في هذا الجانب.

- تبين خصائص اللغات الصوتية من خلال المقارنة بين اللغات ما يساعد المتعلمين على معرفة ما يميز اللغات الأجنبية التي يتعلمونها عن لغتهم من ناحية الأصوات.

ثانيا: الجهود الصوتية العربية في إطارالاتجاه الوصفي البنيوي:

1-جهود إبراهيم أنيس:

لا نتجاوز الواقع إذا تراءى لنا أن ما قدمه إبراهيم أنيس للدراسات اللغوية العربية والسامية يعد الأبرز والأنضج بين كل المحاولات السابقة والمعاصرة له، فقد تناولت مؤلفاته كل مستويات الدراسة اللغوية من أصوات وصرف وتركيب ودلالة.[2] وفي هذا الشأن يقول **إبراهيم أنيس** في مقدمة كتابه الأصوات اللغوية:«**وكتابي هذا وإن كان الأول من نوعه في اللغة العربية، لا أدعي له الكمال في كل نوحيه، وإنما أعده مجهودا متواضعا أبغي به نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية-يقصد الثقافة الأوروبية- بين من يعنون بالبحث اللغوي في مصر راجيا أن ينتفع به طلاب الجامعات المصرية والمعاهد العالية في دراساتهم اللغوية**»[3].

-ففي المستوى الصوتي: يعتبر كتاب إبراهيم أنيس "**الأصوات اللغوية**" أول محاولة فعلية متكاملة لدراسة الأصوات، معتمدا في ذلك على المناهج الحديثة ففرق بين مصطلحي الفوناتيكي Phonetios والفونولوجيPhonology فيما يعد اتجاها وصفيا في دراسة الأصوات، حيث يرى بأنه ليس من السهل الفصل بين المصطلحين على المستوى الوصفي فهما متشابهان إلى حدّ بعيد، ويبدو أنّه

---

* - ينظر: المحاضرة الثالثة من هذه المجاضرات، اللسانيات العربية التطور.

[1] - ينظر: نظرة متعمقة في علم الأصوات، هلا السعيد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، دت، ص13.

[2] - الاتجاهات المعاصرة في تطوردراسة العلوم اللغوية، عبد العزيزدراج، ص143.

[3] الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس، ص4.

يفضل عدم الفصل بينهما، مع أن المعاصرين يعرفون الفونولوجي بأنه علم يعنى بدراسة البنية الصوتية للغة وتصنيف تلك الأصوات حسب وظيفتها.[1]

قام البحث الصوتي عند إبراهيم أنيس على أسس علمية حديثة مطعمة بشيء من التراث، حيث استفاد من البحوث الصوتية لعلماء التجويد والنحاة العرب القدماء، حيث استخدم مصطلحات تراثية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة وتصنيف الأصوات إلى ساكنة ولينة...إلخ، أما الجديد الذي أتى به في كتابه آنف الذكر، ما كتبه عن مقاييس أصوات اللين وأصوات اللين في العربية وأشباه أو أنصاف أصوات اللين[2]، وقدّم وصفا دقيقا لعملية النطق وسما واضحا لوضع اللسان مع كل صوت وتضمّن كذلك مفاهيم جديدة منها المقطع الصوتي والنبر والمماثلة والمخالفة مستفيدا ممّا ذكره سيبويه وابن سينا وكتب التراث[3]، وتجاوز ذلك ليكتب عن لغة الطفل وعوامل تطور الأصوات اللغوية وأثر العادات الصوتية في تعلّم اللغة الأجنبية وبهذا يكون هذا العمل الذي قام به إبراهيم أنيس أو كتاب عربي حديث في الأصوات اللغوية العربية على أساس علمي منظم[4].

ومن المصطلحات التي أسقطها إبراهيم أنيس على العربية نذكر على سبيل المثال:

أ-الصوائت المعيارية: نسبة إلى المعيار أو المقياس، وقد وظفها دانيل جونزDaniel Jones(1881-1967م)، وقد ذكر إبراهيم أنيس ثمانية من أصل تسعة ذكرها جونز، ويقول في هذا الشأن: وقد قسمت أصوات اللين في كل اللغات بهذه المقاييس الثمانية وانتخب المحدثون عدة كلمات من لغات متباينة، اشتملت كل كلمة منها أحد هذه المقاييس[5]:

فالصوت الأول i مثل تمثيلا حسنا في الكلمة الفرنسية si

والصوت الثاني e » » » » » » thé

والصوت الثالث ɛ » » » » » » même

والصوت الرابع a » » » » » » la

والصوت الخامس ɑ » » » » » » Pas

والصوت السادس ə » » » » الألمانيه sonne

والصوت السابع o » » » » الفرنسية rose

والصوت الثامن u » » » » الألمانية gut

يقول إبراهيم أنيس رغم أن الأساس في تكوين هذه المقاييس هو موضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى أو موضع أقصى اللسان بالنسبة لأقصى الحنك، رغم أن هذا هو الأساس قد لاحظ المحدثون أن شكل الشفتين يختلف مع كل منها، فالشفتان مع الأصوات الأربعة الأولى منفرجتان وليس فيها استدارة أو بروز، أما الأربعة الثانية فتبدأ الشفتان في الاستدارة حتى تصلا إلى أقصى ما تصل إليه من كمال الاستدارة مع الصوت الأخير[6].

ب- المقطع الصوتي: المقاطع الصوتية نوعان: متحركopen وساكنclosed والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقاطع الساكنة فتنتهي بصوت ساكن، فالفعل الماضي"**فَتَحَ**" يتكون من ثلاثة مقاطع متحركة في حين أن مصدره"**فَتْحٌ**" يتكوّن من مقطعين ساكنين، وقد واجه الباحثون صعوبة كبيرة في تحديد بدء المقطع ونهايته كما لم يجدوها في تحديد وسطه أو أظهر جزء فيه.[7] وأنواع النسج في المقاطع العربية خمسة فقط هي[8]:

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص143. وينظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص102.

[2] - للاطلاع أكثر، ينظر: الأصوات اللغوية، الفصل الثالث، ص30-46.

[3] - للاطلاع أكثر، ينظر: الأصوات اللغوية، الفصل الثاني، ص17-30، والفصل الخامس، ص80-106، والفصل السادس، ص106-135، والصل السابع، ص135-142.

[4] - الدرس اللغوي عند إبراهيم أنيس، المجمع اللغوي بالقاهرة، ص5.

[5] - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص36.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص36-37.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص87.

[8] - المرجع نفسه، ص92.

1- صوت ساكن + صوت لين قصير.....بِ.

2- صوت ساكن + صوت لين طويل.....بِي.

3- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن.....قَدْ.

4- صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن.....جيمْ.

5- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان.....كِتْب.

يقول إبراهيم أنيس ورغم أن أنواع النسج الممكن تكوينها من الأصوات الثلاثة "الصوت الساكن وصوت اللين القصير وصوت اللين الطويل" كثيرة جدا، فإن ما عدا الأنواع السابقة لا يعد نسجا عربيا لمقاطع اللغة العربية.

ج- **النبر:** هو نشاط جميع أعضاء النطق في وقت واحد، يترتب عليه علة الصوت ووضوحه، واللغات تختلف في مواضع النبر من الكلمة، فمنها ما يخضع لقانون خاص لمواضع النبر كالعربية والفرنسية، ومنها ما لا يكاد يخضع لقاعدة كالإنجليزية، والفرنسي مثلا يضغط عادة على المقطع الأخير من كل كلمة، وليس لدينا أي دليل يهدينا إلى مواضع النبر في العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى ولم يتعرض له أحد من القدماء[1].

ويعطي إبراهيم أنيس في هذا الصدد المواقع التي يقع فيها النبر عند القراء في مصر والذي كما يقول يخضع لقانون خاص حيث لمعرفة موقع النبر ننظر إلى المقطع الأخير، فإذا وجدناه من النوع الرابع أو الخامس، فهو المقطع الهام الذي يقع فيه النبر ولا يكون هذا إلا في حالة الوقف، فالنبر لا يكون في العربية إلا في حالة الوقف عندما يكون المقطع الأخير من النوعين الرابع والخامس المذكورين أعلاه، ففي الوقف على "نستعين" في قوله تعالى:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ و إِيَّاكَ نَسْتَعِينْ** ﴾،أو على " المستقر" في قوله تعالى:﴿**إِلَى رَبِّكَ يَوْمئِذٍ المُسْتَقَرْ**﴾، نجد النبر على"**عِينْ**"و"**قَرْ**"، أمّا إذا كانت الكلمة لا تنتهي بالمقطعين المذكورين يقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير، شرط ألاّ يكون من المقطع الأوّل ومسبوقا بمقطع مثله[2].

د- **التنغيم :** (موسيقى الكلام)intonation، تحدث هذه الظاهرة حين ينطق الإنسان بلغة لا يتبع فيها درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصوت ، وكذلك تختلف فيها الكلمات ، ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى ، إذ تختلف معانيها تبعا لاختلاف درجة الأصوات عند نطقها، واللغة الصينية مثلا تؤدي الكلمة الواحدة فيها معاني عديدة، تتوقف هذه المعاني على درجة الصوت عند نطقها، هذا ما يمكن تسميته النغمة الموسيقية، فكلمة"**فان**" تؤدي ستة معاني لا علاقة بينها هي:"**نوم**" "**يحرق**"، "**شجاع**"، "**واجب**"، "**يقسم**"، "**مسحوق**" وليس هنالك من فرق سوى درجة النطق أو النغمة الموسيقية في كل حالة[3].

وفي الأخير نقول إن معالجة إبراهيم أنيس للأصوات العربية سارت وفق منهج حديث اتّسم بالوضوح الشمول والمهنية والعلمية ودون إقصاء للتراث، بل إن كثيرا مما جاء فيه يعد امتدادا لما كتبه أسلافنا في هذا المجال، وهو اعترف بذلك في الكثير من المرّات، حيث يشير إلى هؤلاء، ممّا يجعل هذا العمل فريدا من نوعاه كمّا وكيفا.

2- جهود أخرى:

لقد برز في هذا الاتجاه إلى جانب جهود إبراهيم أنيس مجموعة من الأعمال في المستوي الصوتي نذكر منها:

أ-جهود كمال بشر:

تأثر كمال بشر بالبحوث الصوتية الوصفية الغربية وما توصلت إليه من نتائج باهرة بحكم دراسته في الجامعات الغربية فنقل تلك العرفة إلى الثقافة العربية وظهر ذلك في مجموعة من المؤلفات منها مؤلفه:"علم اللغة العام،الأصوات العربية" الذي صدر عام 1969م الذي يعد من أسبق المؤلفات في الدراسات الصوتية العربية الحديثة، وقد تناول فيه الباحث الدرس الصوتي بصفة عامة، حيث تكلم عن الجانب المادي والجانب الوظيفي للأّصوات، حيث يقول :«....ولكن أصوات اللغة لها جانبان جانب مادي وآخر وظيفي، ومن هنا جاء تفريع ثان للعلم يتمثل فيما سموه (علم الأصوات) مع التسامح في التسمية، وعربناه نحن إلى (الفوناتيك)، وفيما أطلقوا عليه علم وظائف الأصواتPhonology، وعربناه نحن إلى (الفنولوجيا) الأول يكتفي بدراسة المادة

[1] - ينظر: الأصوات اللغوية، ص97-99.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص99-100.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص103.

الصوتية من حيث كونها أحداثا منطوقة، والثاني يبين وظائف هذه الأصوات وقيمها في اللغة المعينة، منتهيا بوضع قواعد ونظم تحدد نوعيات هذه الأصوات وصنوفها من حيث أدوارها في البناء اللغوي[1]»، حيث تناول الباحث الأصوات العربية من حيث مخارجها وتقسيمها إلى صامتة وصائتة وبين صفاتها من جهر وهمس واحتكاك وانفجار، ثم تناول الجانب الوظيفي للأصوات من نبر وتنغيم وفواصل صوتية خاتما الكتاب بالحديث عن أهمية علم الأصوات في دراسة اللغة[2].

ب- جهود أحمد مختار عمر: يعد هذا الباحث أيضا من أهم اللسانيين العرب المحدثين الذين برزوا في الجانب الصوتي من خلال كتابه"دراسة الصوت اللغوي" الذي أثنى فيه على الدراسات الصوتية الغربية الحديثة التي يعتبرها الصورة الحقيقية والواضحة والمظهر المتطور البارز لعلم اللغة الحديث قياسا بفروع علم اللغة الأخرى، مؤكدا أن كتابه"دراسة الصوت اللغوي" سيطلع القارئ العربي من خلاله على مباحث علم الأصوات والمكتبة العربية في نظرة فقيرة في هذا النوع من المؤلفات. استعمل الباحث في هذا الكتاب مصطلحات وتقسيمات الغربيين ففي مجال تقسيمات علم الأصوات خصص قسما في الفصول التمهيدية لعلم الأصوات الأكوستيكي، وقسما لعلم الأصوات السمعي، وقسما ثالثا لعلم الأصوات التجريبي، ومن حيث المصطلحات، استخدم مصطلحات مثل: فونتكس، فونولوجي، فونيمكس ...[3]

وبعد التمهيد خصص الباب الثاني من كتابه للحديث عن علم الأصوات النطقي؛ حيث تضمن الفصل الأول أعضاء النطق والثاني إنتاج الصوت اللغوي، والثالث للعلل والسواكن، أما الباب الثالث فخصصه للحديث عن الوحدات الصوتية فصل للفونيم وفصل للمقطع، وأما الفصل الرابع فخصصه للأصوات العربية وتناول في الفصل الأول الفونيمات التركيبية، وفي الفصل الثاني الفونيمات الفوق تركيبية، وفي الفصل الثالث فتناول التطور الحاصل في أصوات اللغة العربية[4].

ثالثا - الجهود الصوتية العربية في إطارالاتجاه التوليدي التحويلي:

تبدو الأبحاث التّوليديّة في مجال الأصوات على قدر كبير من الأهميّة النّظريّة والمنهجيّة، سواء تعلّق الأمر بالتّحليل أو بطرق الاستدلال والبرهنة، غير أنّه ليس هناك من رابط بين القواعد المقترحة للأصوات العربيّة بصفة عامّة، فالقواعد المقدّمة صيغت انطلاقًا من أمثلة منتقاة من اللّغة العربيّة تستجيب لرؤية نظريّة خاصّة عامّة، وفي هذا السّياق نلاحظ أنّ ترتيب القواعد الصّوتيّة المشار إليه ينحصر في أصوات العلّة حيث تبدو العمليّة في مستوى الأصوات الصّحيحة أكثر تعقيدًا[5]، ولقد تمّ محاولة تحليل كثير من الظّواهر الصّوتيّة العربيّة توليديًّا في مقارنتها بالاستعمال العربي الحديث وحتى ببعض اللّهجات العربيّة الحديثة(مصريّة، عراقيّة، شاميّة)[6]، غير أنّنا في الإطار التّوليدي لا نجد إلاّ قليلاً من الدّراسات الصّوتية الّتي تقدّم افتراضات واعية(وصفًا وتفسيرًا) لأصوات اللّغة العربيّة نذكر منها:

1-جهود داوود عبده عطية:

يعد داوود عبده عطيّة ممّن برزوا في هذا المجال وهو بدوره **يؤكّد حقيقة هذا النّقص في هذا النّوع من الدّراسة**، بل ويعتبر ما أُنجز في إطار الدّراسات الصّوتيّة العربيّة قديمها وحديثها هي مجرّد وصف للظّواهر الصّوتيّة دون محاولة لتفسيرها[7] أي أنّها مجرّد تحليلات صوتيّة سطحيّة تعتمد على الوصف الظّاهر دون البحث عن تفسيرات لمثل هذه الظّواهر، وهو ما تحاول المدرسة التّوليدية تداركه والتّركيز عليه في إطار بحثها الصّواتي.

وقد أفرد داوود عبده كتابًا خاصًّا لدراسة الأصوات العربيّة، سمّاه:"**دراسات في علم أصوات العربيّة**" وهذا دليل على اهتمامه بالجانب الصّوتي، ووظّف كذلك مفهوم البنية العميقة والبنية السّطحيّة في الفصل الرّابع من كتابه سالف الذِّكر لدحض تصوُّرات بعض اللّغويين لحرف الألف، مؤكِّدًا أنّها في الأفعال المزيدة واسم الفاعل ليست بدلًا من واو أو ياء بل هي في

---

[1] - علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط،2000م، ص9.

[2] - ينظر: اللسانيات العربية نشأتها تطورها و آفاقها المستقبلية، فريد خلفاوي، ص160-161.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص161-163.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص163-164.

[5] - اللسانيات العربيّة الحديثة، ص231-232.

[6] - المرجع نفسه، ص238.

[7] - ينظر: الدراسات الصّوتيّة في اللغة العربية بين الوصف والتّفسير، داوود عبده، ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربيّة بالرباط، أفريل1987 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1991،1م، ص43.

الأصل همزة؛ أي أنّ البنية التّحتيّة(العميقة)لصيغة فاعل هي"فأعل"، وأنّ الهمزة سقطت من هذه الصِّيغة، وأطيلت الفتحة السّابقة لها كما سقطت الهمزة في مثل(أأمن، وأطيلت الفتحة السّابقة لها فأصبحت آمن).

ولم يكن حال الكتابة الصّوتية التّوليديّة في **المغرب العربي** أفضل حالاً من نظيرتها المشرقيّة، حيث ظهرت محاولات قليلة في هذا الصّدد، ولعل من أهم الكتب الّتي تُذكر في هذا المجال" **التّرتيب في القواعد الصّوتية في اللّغة العربيّة**" أعمال ندوة اللّسانيات في خدمة اللّغة العربيّة، تونس1983م"، وكتاب"**مدخل للصّواتة التّوليديّة لإدريس السّغروشني**" الّذي سبق الحديث عنه، يضاف إلى ذلك ترجمة لكتب متخصّصة في هذا المجال من طرف **الباحثين المغاربة**، مثل كتاب:"الفونولوجيا التّوليديّة الحديثة لهاري فان درهاليست ونورفال سميث، حيث قام بترجمته الأستاذان مبارك حنّون وأحمد العلوي"، وكذلك كتاب"الصّواتة والصّرف لـ:ج.كاي، ح، لوفشتام، ج.ر.فيرنيو، م.هالي، أ.هرانتز، وقام بترجمته الأستاذان محمّد بلبول وعبد الرزّاق تورابي".

2- جهود إدريس السغروشني:

تأتي ضرورة تناول القضايا المتعلّقة بالجانب الصّوتي عند التّوليديين، ذلك أنّ عددًا من الظّواهر لا يجوز الاكتفاء بوصفها، لأنّها تثير أسئلة يجب ويتحتّم الإجابة عنها[1].وفي ما يلي بعض المفاهيم والمسائل المتعلّقة بهذا الجانب عند **هذا الباحث:**

أ-الأصواتية والصّواتة:الأصواتية"phonctics"تهدف إلى تجويد النّطق بالأصوات والحفاظ على صورتها المعياريّة، وتفرّعت في هذا الوقت إلى أصواتيّة سمعيّة"auditive" ونطقيّة"articulatory"، وإصغائيّة "accoustics" وتأليفيّة"cornbinatory" وآليّة"instrumcntal" وتقويميّة"corrective" وتزامنيّة "synchronic"[2] ، وأمّا وظيفة الأصوات فلم تتدقّق وتتّضح إلاّ في إطار علم الصّواتة"phonology"، وهو علم يُنْضِجُ كما يقول "بايك" " pike" ما تتقدّم به الأصواتيّةphonctics، ويعدّ دو سوسير de saussure وتروبتسكويtroubetzkoy ومارتينيmartinet، وغيرهم من روّاد هذا العلم الّذي يندرج في اللّسانيات العامة[3] وتسمّى الفنولوجيا التّوليديّة الأولى[4].

فالصّواتة هي نسق من المبادئ الكلّية الّتي تحدّد طبقة الأنساق الصّواتيّة البشريّة ومن خلالها يتمّ تحديد الأنساق الصّواتيّة الخاصّة في بعض الميادين المخصوصة، وبناءً على ذلك يتضمّن النّسق الصّواتي علاوة على هذه المبادئ مجموعات من القيم البرامترية، وتتظافر المبادئ ومجموعات البرامترات الخاصّة بلغة معيّنة في إعطاء تخصيص تام للنّسق الصّواتي لهذه اللّغة، وهذا يأتي في إطار نظريّة الوسم الّتي وضعها تشومسكي وهالي كين1968م[5].

ولقد شهدت الفونولوجيا التّوليديّة الكلاسيكية تطوّرات متلاحقة، تمثّلت فيما يلي:

***- الفونولوجيا التوليدية المعيار:** وتسعى إلى توفير نظام من القواعد يولّد أشكالاً صوتيّة انطلاقًا من أشكال عميقة ومجرّدة وتقرّ الفونولوجيا التّوليديّة المعيار بوجود تمثيلين:

الأول- تمثيل فونولوجي: ويعتبر أكثر تجريدًا لأنّ قطعه الصّوتيّة لم تحدّد بعد.

الثاني- تمثيل صوتي:ويعتبر ملموسًا بالنّسبة للتّمثيل الأوّل الفونولوجي، وفي الوقت نفسه يعتبر مجرّدًا مقارنة بالإنجاز الصّوتي لأنّه يُغفل العديد من الخاصّيات والملامح[6].

***- الفونولوجيا المستقلّة القطع والفونولوجيا العروضيّة:** تمثّل الفونولوجيا التّوليديّة الحديثة الّتي تتفرّع إلى عدّة نماذج منها الفونولوجيا المستقلّة القطع والفونولوجيا العروضيّة، تنوّعًا من الأُطر النّظريّة المتنافسة الّتي تسمّى بـ:(غير الخطّيّة) في تعارض مع النّموذج الّذي بلوره تشومسكي وهالي، فالتّمثيل الفونولوجي الحديث تمثيل متعدّد الأبعاد والطّبقات وتمثيل هرمي يشمل وحدات فونولوجيّة أخرى مثل القطع التّفعيليّة[7].

---

[1] - ينظر: الدراسات الصّوتيّة في اللغة العربية بين الوصف والتّفسير، ص43-45.

[2] - ينظر: مدخل للصواتة التوليدية، ص17.

[3] - المرجع نفسه، ص17.

[4] - الفونولوجيا التوليدية الحديثة،ص6-7.

[5] - الصّواتة والصّرف، ج.كاي، ح، لوفشتام، ج.ر.فيرنيو، م.هالي، أ.هرانتز، ترجمته: محمّد بلبول، وعبد الرزّاق تورابي ، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، ط1، 2007م، ص9.

[6] - ينظر: الفونولوجيا التوليدية الحديثة، ص7.

[7] - المرجع نفسه، ص8.

*- **المعنى والصّوت:**معلوم أنّ الإنسان يتكلّم بسليقته، فهو ينتبه بخاصّة إلى المداليل(كلمات، ألفاظ ذات مدلول)، أمّا الأصوات الّتي تُؤلّفها فلا تلفت الأنظار والأسماع أوّل وهلة، وهذا لا يعني عدم معرفتها، ذلك أنّه لو تلفّظ بها أجنبي يثير انتباهنا برطانته وحين ندرك أنّ إدراك الأصوات اللّغويّة يواكب إدراكنا لمداليلها، وإذا كان الوعي بطبيعة الأصوات يرتبط بحاسّة السّمع ما يمكّننا من تقليد الأصوات والكلمات والتّمكّن منها، فإنّ إدراك الأصوات في لغة من اللّغات لا يتأتّى بنفس العفويّة[1].

وعلى الرّغم من أنّ إشارات الكلام يجب أن تكون مستمرّة، فإنّ إحساسنا يقودنا إلى أنّها عبارة عن متوالي لكينونات معزولة إنّ إمكانيّة تصوّر المنطوقات على أنّها متتاليات لكينونات معزولة، هي إحدى الفرضيّات النّظريّة الأساسيّة لعلم الأصوات، وإليها تعزى قابليّتنا على الكلام عن الأجزاء المستقلّة ومتتالياتها، وتوضيح المدوّنة الّتي توظّف فيها الرّموز المفردة لتمثيل النطق[2].

وإذا كان يمكن اعتبار الرّموز اللّغويّة دون الالتفات إلى المعنى كما يحصل في بناء الأنساق الصّوريّة البحتة، لكن هذا الاعتبار لا يستتبع البتّة نفي النسبيّة المضمرة الحاصلة بين الرّمز وبين المدلول المتوقّع إسناده، لذا حتّى يُعَدَّ شكل ما صوتيًّا أو كتابيًّا رمزًا لغويًّا، يجب أن يحمل بحدّ ذاته إضافة قصديّة إلى مضمون أو معنى معيّن[3].

*-**القطعة:**تتجزّأ الاتّصالية الصّوتيّة إلى شرائح هي القطعاتsegments، وتخضع هذه القطعات إلى ترتيب خطّي زمني، تتكوّن هذه القطعات من سماتfeatures، فلا تخضع لترتيب في النّظريّة المعيار، لأنّها آنيّة لا تتعاقب في الزّمن، وتشمل هذه السّمات صفات خارجيّة معروفة، مثل: الشّفويّة، الأسنانيّة، الحنجريّة...إلخ، وصفات ذاتيّة مثل الجهر، الهمس، الشدّة، الرّخاوة، ومن القطعات ما هو مفرد وما هو مركّب[4]، وفي نظريّة الأنموذج الصّوتي للإنجليزيّة (تشومسكي وهالي1968م) أو في إحدى الصّياغات المكافئة لها، إنّ كل القطعات الصّواتية هي إمّا في ذاتها عناصر وإمّا توليفة من العناصر، فالعناصر وتعريفاتها تشكّلان المكوّنات الأوّليّة للأنساق الصّواتيّة، وبعبارة أخرى فإنّ المكوّنات النهائيّة للقطعات الصّواتيّة هي في ذاتها وحدات مستقلّة قابلة لأن يُتَلَفَّظ بها بصورة مستقلّة، وتبعًا لفكرة تعود في الأصل إلى فيرنيو1982م، نسلِّم أنّ العناصر التّالية ملائمة بالنسبة للأنساق الحركيّة.

بعض العناصر:

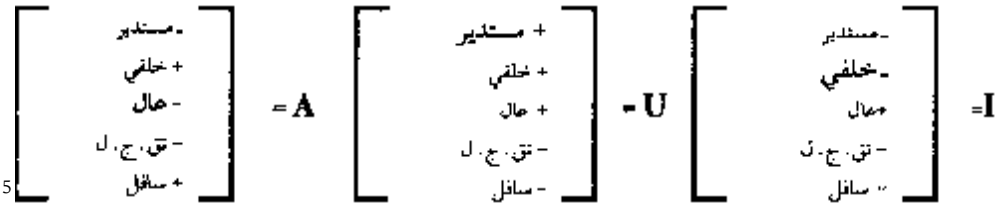

وهذا النّسق يمكن إغناؤه ليصبح قادرًا على التّعبير عن تنوّع الأنساق الحركيّة الموجودة.

إنّ التّمايز الفردي في طبيعة النّطق يساعدنا على تمييز نوعية الصّوت المألوف لدينا في الظّلام الدّامس، كما أنّ الشّخص نفسه لا يعيد نفس ما نطقه مرّة أخرى إذا كرّر ما قاله، والتّباينات الصّوتية الّتي تتّسم بالأهمّيّة اللّغويّة هي الّتي تُمثِّل سيطرة متكلّم اللّغة على لغته، فمثلاً من يُخطىء في التّمييز بين(bit)و(pit) لا يمكن أن يكون إنجليزيًّا خالصًا[6].

*- **الوصف الصّواتي والوصف النفساني:**يقوم الوصف الصّواتي على واقع نفساني، فهناك المستوى الصّواتي والمستوى الأصواتي، وهناك القواعد الصّواتيّة الّتي تحوّل التّمثيلات الصّواتيّة إلى تمثيلات صوتية[7]، فالطّفل بداية يتعلّم التّقابلات المميّزة على المستوى الصّواتي، وكذلك القواعد الّتي تحوّلها إلى منطوق، فما يصفه اللّساني هو ما يتعلّمه الناشئ لذا فهذا الوصف يقوم على أساس واقع نفساني خاص بذلك الطّفل الّذي بحدسه يلمس القيود السّياقية، فيعرف ويميّز أصوات لغته عن غيرها(الدّخيلة والمعربة)والمستحيل والممكن والمستعمل والمهمل، فكلمة"نرجس" بالنسبة للنّاشئ العربي كلمة دخيلة،

---

[1] - ينظر: مدخل للصو اتة التوليديّة، ص17.

[2] - النظام الصّوتي التّوليدي،sanford. a schane، ترجمة:نوزاد حسن أحمد، الدّار العربيّة للموسوعات، بيروت، ط1 ،2010م، ص13.

[3] -اللسانيّة التوليدية والتحويلية، عادل فاخوري، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط2 ، 1988م، ص33.

[4] - ينظر: مدخل للصّو اتة التّوليديّة، ص22.

[5] - الصّو اتة والصرف، ص10.

[6] - ينظر: النّظام الصّوتي التّوليدي، ص16-17.

[7] - مدخل للصّو اتة التوليديّة، ص47.

وكلمة"عجد"سيّئة التّكوين، و"سراط"معربة، و "جعل"حسنة التّكوين، و"الجع"ممكنة، و"مستشزر" ركيكة وهو ما يؤكّد علاقة الوصف الصّواتي بالواقع النّفساني وليس مجرّد تصوّر لساني[1].

-تطبيقات على اللغة العربيّة:* سنتطرق في هذه النّقطة لموضوعين هامّين في اللّغة العربية هما، همزة الوصل والّذي يسميه أو يعتبره الباحث إدريس السّغروشني"التقاء حركتين"، وكذلك موضوع الإبدال.

-التقاء حركتين: يندرج هذا الموضوع ضمن باب الوصل الّذي يرتبط بإمكان تعاقب حركتين في اللّغة العربيّة، فهذه اللّغة لا تبدأ بمد، وبالتّالي لا تبدأ بما يسبق المد، وإذا كانت تقبل تعاقب ساكنين داخل الصّرفة، فهي لا تقبل أن تبدأ بمسكن، وذلك في المستوى الموضوع منها، كما أنّ اللّغة العربيّة لا تبدأ بساكن أو ساكنين، ولا تقف على متحرّك، ولذلك جعلت همزة الوصل قبل السّاكن الأوّل[2] لتسهّل النّطق به، وتحترم القاعدة العامّة.يقول إدريس السّغروشني:«**...وتصوّروا-يقصد النّحاة- أنّ هناك أصلاً همزة، والهمزة بطبيعتها ساكن، فكيف يمكن أن نوجدها للتّلفّظ بمسكن؟، وهمّشوا في اعتبارهم الحركة الّتي تمثّل العنصر المهم في القضيّة، وهو التّوصّل إلى النّطق بالمسكن أو تسهيل هذه العمليّة**»[3].ويستأنس الباحث برأي **الخليل بن أحمد الفراهيدي** كما سبق التّذكير الّذي نعت همزة الوصل **بسلّم اللّسان**، ورأى بأن هذا الصّوت ليس من أصل البناء، لأنّ حرف اللّسان حين ينطلق بنطق السّاكن من الحروف يحتاج إلى ألف وصل، ويفهم من هذا **يقول السّغروشني** أنّ هذه الألف تماثل الحركة، وبما أنّ الحركة لا يُبتَدَأُ بها تعسّر عليهم الأمر واختلط-أي النّحاة-، فضاعت رؤاهم بين طبيعة الهمزة ووظيفتها وبين وضعها الأصواتي ووضعها الصّواتي[4]، ولم يلاحظ أحد من هؤلاء أن لهمزة الوصل وظيفة حدّيّة، فإذا أمكن لحركات الهمزات الأخرى أن تنقل للسّاكن قبلها في حالة التّسهيل، فيستحيل على همزة الوصل أن تسلك نفس السّلوك، إذ يمكن أن تقول:"مَنَ أبوك؟"، ويتعذّر أن تقول:"مَنَ الرّجل؟"، وتعذّر نقل حركة الهمزة هنا يُبيّن أنْ ليس ثمّة حركة تنقل ولا همزة توصل، بل هناك صوت خلّطوا في وصفه وبيان أحكامه، ويؤثّر هذا الصّوت على التّركيب المقطعي، وسبْقه بهمزة حدِّيّة ليس غريبًا يقول تروبتسكوي"تقوم أيضًا همزة الوصل بوظيفة حدّيّة délimitative في بعض اللّغات، فلا تمثّل صوتيّة مميّزة بل تأتي فقط في بداية الصّرفيات الّتي تبدأ بحركة"، فما أسموه بهمزة وصل ليس إلاّ حركة، وما يحدث يكون ظاهرة تعاقب حركتين، أي"hiatus"[5]

ولقد اقترح الباحث لهذه الظاهرة قاعدة من نوع: ح ⟵ ø / ح لا يشار إلى رتبة الحركة الّتي يلحقها الحذف وهذا الاقتراح يقلّص المشكل ويقصره على الحذف، مع أنّ الأمر يرتبط بمبادئ عامّة في اللّغة تتّصل ببنية المقاطع، فعندما ننظر إلى معطيات مثل:

أ- لن يفلح النّمام، ب- يا رجل اكتب، ج- يا رجل اضرب، د- كيف الحال؟ هـ- اجلس حيث النّاس، و- أمس الدّابر، ز- دخل الولد ح- يكتب الولد.

وفي تعليقه على الأمثلة يقول **السّغروشني**" نلاحظ أنّ الحركة الثّانية من الحركتين المتعاقبتين هي الّتي تُحذف، وأنّ الأمر لا يتعلّق بالهمزة، وما يُسمع يكون همزة حدّيّة استئنافيّة تذهب بذهاب هذا الوضع، فهي تأتي لتخلق مقطعًا يمكنه أن يجذب إليه السّاكن السّائب الّذي تسبّب في إحداث مقطع من نوع = س س، وهذا السّاكن هو أداة التّعريف الّتي ليست(أل) كما يتردّد في كتب بعض النّحاة، والحركة الثّانية الّتي تأتي أوّل الصّرفة هي الّتي تحذف، وهي حركة وصل، كما في المثالين:[6] (جاءوا بالكذّاب فصفعوه، أمري لله).

وتطرّق الباحث لمسألة همزة الاستفهام، إذا سبقت همزة(أل) التّعريف، حيث تقلب مدًّا، في مثل:"أالكتاب تأخذ أم القلم؟"، وجوّز النّحاة إسقاطها خطًّا ولفظًا في مثل:"ألذّهب أنفع أم الحديد؟"، دون إشارة للحذف لأنّ هناك ما يشير للاستفهام وهو حرف العطف(أم)، ولو قلنا:"ألذّهب أنفع"دون كتابة علامة الاستفهام التبس الأمر واختلط الخبر بالاستخبار وأصبح الحذف بذلك غير مقبول.

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص47.

[2] - ينظر: مدخل للصّو اتة التوليديّة ، ص85.

[3] - مدخل للصّو اتة التوليديّة ، ص85.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص86.

[5] - المرجع نفسه، ص87.

[6] - المرجع نفسه ، ص87-88.

من كلّ ماسبق يقول السّغروشني أنّ هناك علاقة بين طبيعة حركة الوصل والحذف أو الإدغام الّذي ينتج عنه المد فإذا كانت طبيعة حركة الوصل تماثل طبيعة حركة همزة الاستفهام، قام المد بقاعدة، مثل[1]: ح +ح ⟵ح¯ ، وإذا كان العكس قام الحذف بقاعدة:

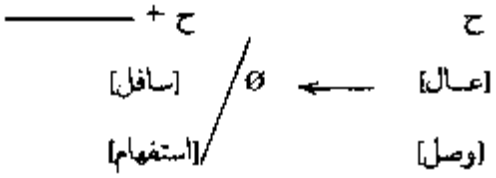

- **الإبدال:هل اللّغة العربيّة لغة أم لغات؟:** يقول **السّغروشني** بأنّ اللّغات الطّبيعيّة تخضع للتّغيير والتّبديل منها ما هو سياقي تزامني، كالمماثلة والمخالفة والانسجام الصّائتي...إلخ، ومنها ما هو نسقي تزامني أو سماعي نادر ولقد تعرّض النّحاة الأوائل لمثل هذه الظّواهر في اللّغة العربيّة كالبدل أو الإبدال[2]، ولقد حدّد ابن يعيش ظاهرة الإبدال بقوله:«**البدل أن تقيم حرفًا مقام حرف إمّا ضرورة وإمّا صنعة واستحسانًا، وربّما فرّقوا بين البدل والعوض، فقالوا: البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوّض**»[3]، في حين عرّفه ابن فارس في كتابه الصّاحبي:«**ومن سنن العرب إبدال الحروف وو إقامة بعضها مقام بعض ويقولون "مَدَحَهُ، وَمَدَهَهُ"، و"فرسٌ رفِلٌّ، ورِفِنٌّ"، وهو كثير مشهور قد ألّف فيه العلماء، فأمّا ما جاء في كتاب الله جلّ ثناؤه فقوله جلّ ثناؤه:﴿فَأَوحيْنَا إِلى مُوسى أن اضْرِب بعصاك البَحْرَ فانْفَلَقَ فَكَانَ كلّ فرق كالطَّود العَظِيم﴾ الشّعراء(63)**[4]».

وحروف الإبدال عندهم في الغالب ما تتضمّه عبارة"استنجده يوم طال"، ومنهم من يجمعها في عبارة" استنجده يوم صال زط" ويعتبر الرّماني أن الإبدال في هذه الحروف قد اطّرد وكثر، وأن أوّل من استعمل هذا المصطلح الأصمعي وأُطْلِقَ عليه من بعده اسم، القلب، المعاقبة، النّظائر، المضارعة، التعاقب، الاشتقاق الأكبر، أو الكبير...[5]

وفي تعليقه على تعرض أصحاب المعاجم العربيّة خاصّة لهذه المسائل، يرى **السّغروشني** بأنّ هؤلاء كان عليهم أن يتبيّنوا ما هو تصحيف وما هو إبدال، أمّا ما هو تداخل لغات فعلى أساسه قامت الفصحى، لأنّ ألفاظها اختيرت من لغات عدّة قبائل عربيّة كقيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطّائيين، وكان عليهم كذلك اقتصار مصطلح الإبدال على ما يمكن شرحه صوتيًّا داخل النّسق العربي، ويخضع لضوابط هذا النّسق، وكان عليهم أيضًا التّمييز بين الإبدال وبين تداخل اللّغات وبين ما هو تصحيف، لكنّ ذلك لم يحصل وطفق الدّارسون يأخذون عن هذه المعاجم دون تحفّظ[6].وظلّ الدّارسون **يقول السّغروشني** يرون في الإبدال، إمّا تداخلاً لغويًّا أو تعاقبًا أصواتيًّا يشترط فيه تقارب المخرج والصّفة ولم يقم أحد منهم بطرح المشكل على مستوى نسقي، فما يخرج عن التّقارب والتّجانس ويرد في الإبدال، فيجب أن يرجع إلى التّصحيف وعيوب النّطق وينطبق هذا على ما يوجد عند أبي الطّيّب اللّغوي في حرف الجيم، فأصل هذا الحرف في اللّغات السّامية، هو:ج(g)، ويمكن في النّسق العربي أن يأخذ الصّور التّالية:دج، د، ج، ش، ي، ك، ء، ق ع، ه، ن، ل، ر، م، ويمكن أن يكون تصحيفًا كما يلي: س ص، ط، ظ، ح، خ، غ، ويكون(ز)، إمّا نسقيّا عيبًا في النطق، **ولا تخرج الحروف يقول السّغروشني في اللّغة العربيّة عن هذه الإمكانات الثّلاثة، إمّا النّسق أو التّصحيف أو العيب النّطقي**، وكان على المعجميّين أن يغربلوا ما جمعوه وأن لا يدوّنوا إلاّ ما اتّضح أنّه سليم نسقًا، **وكان النّحاة أنضج منهم خطّة وأكثر منهم تحرُّجًا باعتمادهم القياس الّذي لا يتأتّى إلاّ في إطار النّسق**[7].

---

[1] - ينظر: مدخل للصّوتاة التوليديّة ، ص88-89.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص95.

[3] - شرح المفصّل، ابن علي بن يعيش النحوي، صحّحة وعلّق عليه مشيخة الأزهر المعمور، إدارة الطباعة المنيريّة لصاحبها ومديرها محمد منير الدّمشقي، مصر، دط، دت ج10 ص7. وينظر كذلك: مدخل للصّوتاة التوليديّة، ص95.

[4] - الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة، ص154.

[5] - ينظر مدخل للصّوتاة التّوليديّة، ص97.

[6] - ينظر: مدخل للصّوتاة التوليديّة ، ص99.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص103-104.

رابعا: الجهود الصوتية العربية في إطارالاتجاه الوظيفي التداولي:

يركّز الوظيفيون على الجانب الوظيفي للأصوات أي الدور الذي يلعبه الأداء الصوتي أو ما يسمى "أداتية اللغة"، كالنبر والتنغيم والخض والرفع والإطالة والاختصار في توجيه الدلالة والمعنى فعلى سبيل المثال يقدم **أحمد المتوكل** مثلا يوضح فيه أهمية النبر في الكلام بمعنى أن اللغة أو الرموز اللغوية هي مجرد أداة ووسيلة لتحقيق وظائف كثيرة لمستعملي اللغة وليست غاية في حد ذاتها كما يذهب البنيويون، وقد أعطى المتوكل مثالا ليبين معنى الأداتية تمثل في الجملتين[1]:

- أعطيت هندا كتابًا.
- **كتابا** أعطيت هندا.(بنبر كتابًا).

فالنظرية الوظيفية بناء على مبدأ الأداتية ترى أن الفرق بين الجملتين فرق في القصد تمظهر بنيويّا(شكليّا)، ذلك أن تأخير المفعول به في المثال الأول يقصد منه تقديم معلومة جديدة بالنسبة للمتلقي لا يعلمها بتعبير النحاة القدامى ذهنه خاليا منها بينما تقديمه وتصديره في الجملة الثانية يقصد منه تصحيح معلومة خاطئة لديه، ذلك لأن هذه الجملة كانت ردّا على جملة من قبيل:

- بلغني أنّك أعطيت هندا قلما.

وهذا يبين أن المقاربة الوظيفية تحلل اللغة من خلال الاستعمال(اللغة المستعملة والمتداولة) أو ربّما نسميه محاكاة الاستعمال، ولذلك نجد المتوكل في نحوه الوظيفي يفترض مثل هذه الجملة فيقول بأنّها كانت ردّا أو تصحيحا أو تعديلا أو يقول بنبر كذا، علما أن هذه المسائل سيتم التعرف عليها أكثر في السداسي الثاني في مقياس النحو الوظيفي.

أما **التوفيقيون** كعبد الرحمان الحاج صالح فكانت جهودهم تأصيلية بالبحث في الجهود الصوتية الرائدة عند النحاة القدامى كالخليل وسيبوية وابن جني حيث تحدثوا عن أصوات أصول وأخرى فروع وأصوات صامتة ساكنة وأخرى صائتة أو متحركة، كمت قسموا مخارجها إلى ستة عشر مخرجا ومثلها صفات سبق الحديث عنها خاصة في محاضرة"اللسانيات العربية التطور"، ومقارنتها بما قدمه اللسانيون الغربيون في المجال الصوتي، وقد أثبتت الجهود الصوتية العربية القديمة دقة تضاهي بل تفوق أحيانا ما ذكره الغربيون في الجانب الصوتي، وقد اعترف الكثير من اللسانيين الغربيين بهذه المسألة مثل جون فيرث وجوليا كريستيفا...

[1] - ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دارالأمان الرباط، ط1، 2006م، ص20، وينظر أيضا مثلا: : التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول والاتجاهات، ص262.

المحاضرة الحادية عشرة:(اللسانيات الصرفية)

تمهيـــــد:

يشكل المستوى الصرفي المستوى الجامع إذ يرتبط ببقية المستويات ارتباطا عضويا فهو مرتبط بشكل خاص وعضوي بالمستويين الصوتي والنحوي، فكثير من التغيّرات الصرفية من بنية أو صيغة إلى أخرى ليست سوى تغيرات صوتية، كما يرتبط الصرف بالنحو ارتباطا عضويا ولذلك كان القدماء لا يفصلون بينهما فصلا عموديا فهما وجهان لعملة واحدة فإذا كان الصرف هو معرفة أنفس الكلمات الثابتة فإن النحو هو معرفة أحوالها المتنقلة ولا سبيل لمن يريد معرفة النحو أن يبدأ أولا بمعرفة الصريف ومعرفة الشيء الثابت أصل لمعرفة المتنقل، وإذا كان االقدماء قد فصلوا بينهما فيما بعد فإن الفصل نظري شكلي لمعرفة اختصاص الصرف بالدرجة الأولى لا وظيفي، كما يرتبط بالمستوى المعجمي الدلالي لأن البنية الصرفية هي أصل المعنى المعجمي. وإذا كان القدماء لا يميزون بين مصطلحين متداخلين هما التصريف والصرف كما سبق التذكير في المحاضرات الأولى فإن اللسانيات الحديثة تميز بين المصطلين الآنفين، فالمصطلح الأول"الصرف" يعني العلم الذي يعالج مفردات اللغة وهي خارج إطار التركيب، بينما المصطلح الثاني"التصريف"فيعني العلم الذي يدرس ما يدخل على تلك المفردات من مقولات تصريفية أثناء التركيب[1].

لقد أفاض القدماء في هذا المستوى بحثا ودراسة فتأسس على إثر ذلك الجهد العظيم علم الصرف بكل تجلياته وتشعباته، أما المحدثون فإنهم لم يركزوا على هذا المستوى تركيزهم على بقية المستويات كالصوتي والتركيبي والدلالي مع ذلك كان لهم آراء في بعض مسائله كأقسام الكلام ودلالة والصيغة وارتباط الصوت بالصرف وسنحاول في هذه المحاضرة التعرض لبعض المسائل التي لاقت اهتمام اللسانيين العرب المحدثين وكان مواضيع أبحاثهم ودراساتهم. رغم أن الثابت كما يقول الباحث محمد شندول أن علم الصرف بقي ثابتا كأنه وضع في زمن واحد ولم يترك التايخ بصمة عليه، وهو يرى أن ثبات الصرف سببه غلبة الجانب التعليمي عليه وخضوعه لقواعد تعليمية قارة[2].

أولا: مفهوم اللسانيات الصرفية:

كما تم الحديث عن اللسانيات الصوتية يتم الحديث عن اللسانيات الصرفية، فهي فرع من اللسانيات يهتم بدراسة المستوى الصرفي وإذا عدنا لأولى المحاولات اللسانية العربية الحديثة في هذا الاتجاه نذكر علي عبد الواحد وافي في كتابه "علم اللغة" حيث تدث على المستوى الصرفي وعلم الصرفorphology:وقد سماه "علم البنية" وهو علم يعنى بالبحث في القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغير أبنيتها بتغيّر المعنى وما يتصل بذلك[3]. كما يعد الطيب البكوش من الباحثين العرب المحدثين الذين خصوا هذا المستوى ببحث مستفيض في كتابه الموسوم ب"التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث" حيث يرى الباحث بأن علم الصرف يعالج التغييرات الطارئة على الصيغ العربية ، وهذه التغيرات ثلاثة أنوع، تغيير صرفي بحت يتعلق بالاشتقاق لارتباطه بالمعنى، والثاني تغيير صرفي صوتي يتناول تأثير الجانب الصوتي على البنية الصرفية مثل التضعيف والثالث تغيير صوتي صرف يتعلق بالتغير الصوتي في هذه البنية مثل ازدهر التي أصلها[4]:ازتهر وهذه القضية قد أشرنا إليها سابقا.

والمستوى الصرفي يشتمل حسب اللسانيات الحديثة على أربعة مباحث أساسية هي:- الصرفمية، الصيغمية، التوليد الصرفي، العلاقات الصرفية بين الأبنية كالاشتراك والترادف...[5]، وهو بهذه المباحث مكون من مكونات علم المعجم لأن الأبنية الصرفية هي وحدات معجمية بالدرجة الأولى كما سبق التذكير.

1-الصرفمية: مصطلح مشتق من مصطلخ"صرفم" وهي أحد مكونات علم الصرف موضوعها البحث في تكوّن الوحدة المعجمية الصرفمي من حيث هي شكل أي بنية"Structure" ذات تكوّن صرفمي"Morphématique" أي من حيث العناصر الصرفية الاشتقاقية الدنيا التي تكونها، فالصرفمية منهج في التحليل الصرفي هدفه الكشف عن عن طبيعة التكوين الصرفمي للوحدات

---

[1] - ينظر: الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية الحديثة، محمد شندول، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2015م، ص16.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ، ص1-2.

[3] - ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول والاتجاهات، خالد خليل هويدي، ص118.

[4] - ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية تونس، ط3، 1992م، ص19-20.

[5] - ينظر: الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية الحديثة، محمد شندول، ص17.

المعجمية وآلياته، كيف يتم تكوين هذه الوحدات المعجمية وما هي الخصائص الصرفمية التي تكتسبها هذه الوحدات خلال عملية التكوين؟[1]

2- الصيغمية:مصطلح مشتق من الصيغم، والمقصود به الوحدة الشكلية المجردة التي تكون عليها المفردة ، فالصيغمية هي البحث في الوحدة المعجمية من حيث هي شكل محض أي صيغة نمطية "Unité For;elle type"أي هي صيغة صرفية مقيسة على نمط صيغي معلوم، والجانب المهم هنا ليس المفردة في حد ذاتها من حيث هي مجموعة أصوات بل كقالب أو شكل صرفي .[2]

3- التوليد الصرفي: ضبطت الجهود اللسانية المعاصرة عددا من القواعد العامة التي تولد الوحدات المعجمية وهذا يفوق ما ذكره علماء العربية القدماء الذين تكلموا في هذا السياق عن ثلاثة قواعد صرفية هي: الاشتقاق"Dérivation" والنحت"-Mot valise"والتركيب"Composition"، أما المحدثون فتكلموا عن سبع قواعد فإضافة إلى القواعد الثلاثة المذكورةذكروا:المعجمة"Lexicalisation"والحذف"Troncation"والاختزال"Abréviation"والترميز"Siglaison" وهذه القواعد الأربعة إضافة إلى النحت يمكن أن تتوحد في قاعدة واحدة عامة هي الاختصار"Réducation"[3].

4- العلاقات الصرفية: من العلاقات الصرفية قضية الاشتراك الصيغي التي تمثل مظهرا لعلاقات الإئتلاف الصرفية والاشتراك الصيغي هو اندراج مقولتين أو أكثر في نمط صيغي واحد كاشتراك المصدر والصفة المشبهة في النمط الصيغي"فَعْلٌ"في "عَدْو"و"خَصْم"أو في النّمط"فِعْل"في "صِدْق"و"خِبّ"،أو اشتراك المصدر مع صفة المبالغة في "فَعُول"كما في"قَبُول"و"طَهُور".

ومن العلاقات الصرفية كذلك مسألة الترادف الصيغي الذي من مظاهره مصطلح الترادف"Synonymie"وهو مصطلح معجمي يعني التطابق أو التقارب في المعنى بين وحدتين معجميتين أو أكثر مع اختلاف اللفظ فتكون الوحدات المعجمية المترادفة نتيجة لذلك قابلة للتناوب في الاستعمال، فالترادف الصيغي يعكس ما بين الوحدات المعجمية من علاقات الاختلاف الشكلي والائتلاف الدلالي، ومن مظاهر الترادف الصيغي في الفعل أن الفعل"بَصَرَ"على وزن "فَعَلَ" يأتي أيضا بصيغة"بَصُرَ"على وزن"فَعُلَ"وكذلك الفعل"نَضَرَ"على وزن "فَعَلَ"يأتي على وزن"فَعُلُ"و"فَعِلَ""نَضُرَ"و"نَضِرَ"، ومن أمثلة الترادف الصيغي في الاسم"ظُفْرٌ"على وزن "فُعْلٌ"إضافة إلى ثلاثة أوزان أخرى مترادفة في الدلالة هي :"فُعُلٌ" "ظُفُرٌ" و"أَفْعَالَةٌ"أظْفَارَةٌ"و"أُفْعُولٌ""أُظْفُورٌ"....[4]

وعلى العموم سنتناول بعض المسائل التي تناولها اللسانيون العرب المحدثون في الجانب الصرفي بشكل عام.

ثانيا: الجهود الصرفية العربية في إطارالاتجاه البنيوي الوصفي:

لقد لقي الدرس الصرفي العربي نقدا كبيرا عند الدارسين العرب المحدثين حيث لخص الباحث التونسي الطيب البكوش عيوب الصرف العربي في النقاط الآتية[5]:

- تتعد معاني المصطلح الواحد، فالحرف هو الصوت المنطوق والرمز المكتوب، وسواء كان صامتا أم صائتا (طويلا أم قصيرا) وكذلك معنى الكلمة واللهجة واللغة...

- اعتبار الألف في نفس مستوى الواو والياء، واعتبار حروف العلة ثلاثة بينها الألف-إذا لم تكن عماد الهمزة- لا تقوم بدور الحرف أبدا، وإنما هي علامة طول الفتحة، أما الواو والياء، فتقومان فعلا بدور الحرف حينا فتتحركان مثلا، وبدور الحركة حينا آخر فتكونان مدا، ما يجعل حروف العلة الحقيقية اثنان(الواو والياء)، وهو ما يقابل المفهوم الغربي)نصف حركة أو نصف حرف).

- تعليل التغييرات الصوتية انطلاقا من الرسم المرئي لا من سلسلة الأصوات المسموعة، وهو عيب تشترك فيه جميع النظريات اللغوية القديمة، ذلك أن الاعتماد على الرسم دون النطق يقود حتما إلى التعسف والخطأ في الحكم إلى جانب ما فيه من تناقض ضمني لأن الرموز الخطية لا يمكن أن تستوعب ما يوجد من غنى وتنوع صوتي في اللغات البشرية، فهم عندما يقولون أن ضمة الياء في (بَقِيُوا) انتقلت إلى القاف فالتقى ساكنان فحذف ما سبق وهو الياء،وأصبحت الصيغة(بَقُوا)، ويعتبرون أن كسرة القاف

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص21.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص59.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص155.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص211-217.

[5] - ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص20-23.

حذفت، بينما لا يمكن لحركة أن تضمحلّ بكامل هذه السهولة وبدون مبرر صوتي، والرسم العربي جعل النحوي يتصور بشيء من السذاجة أن تحت القاف كسرة أصلية وفوقه ضمة طارئة، فأطرد الطارئ الأصلي وأخذ مكانه.

1-قضية أقسام الكلام:

من المسائل التي عالجها الوصفيون العرب إعادة وصف مستويات اللغة العربية ومن ذلك مثلا مسألة"**أقسام الكلام***" فقد أدلى كثير من اللسانيين الوصفيين العرب بدلوهم في هذا الشأن، فأتوا بتقسيمات جديدة منطلقتين من مبدأ عدم دقة التقسيم الثلاثي الذي حدث حوله شبه إجماع بين النحاة العرب القدامى"بصريين وكوفيين" الذين قسموا الكلام إلى أقسامه المعروفة"الاسم والفعل والحرف"، كما نشير إلى أن بعض النحاة تكلم على أربعة أقسام حيث أضاف اسم الفعل الذي سمي خالفة[1]، وأن الصرف عند النحاة القدامى يختص بالأسماء المعربة والأفعال المتصرفة دون الحروف والأفعال الجامدة والأسماء المبنية والأعجمية وأسماء الأصوات وسبب ذلك كما يرى ابن جني أن الحروف مجهولة الأصل ولا يعرف لها اشتقاق ومثلها الأسماء المبنية وأسماء الأصوات والأفعال الجامدة والأسماء الأعجمية التي تلحق الحروف في العلة المتقدمة[2].

فالدكتور **مهدي المخزومي** مثلا قسم الكلم إلى أربعة أقسام هي:[3]

*- **الاسم**: وهو ما يدل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن، وذكر له خصائص منها:

البناء، الإعراب، التذكير، التأنيث.

*- **الفعل**:وهو ما يدل على معنى في نفسه مقترن بزمن، وهو ثلاثة أقسام:

- ما كان على وزن(فَعَلَ) .

- ما كان على وزن(يَفْعَلُ).

- ما كان على وزن (فاعل)، وهو اسم الفاعل عند البصريين، وفعل دائم عند الكوفيين، ومهدي المخزومي يرى أنه فعل يدل في الغالب على استمرار وقوع الحدث.

*- **الأداة**: تدل على معان إذا اقترنت بالجملة، ويضم هذا القسم الاستفهام والنفي والتوكيد، وأدواتها، وأدوات الاستثناءوأدوات الوصل (ما أن، أن) .

*- **الكناية**: يبرر إضافته لهذا القسم، أن هناك بعض الكلمات لم تنل اهتمام القدامى، وتضم الضمائر (متصلة ومنفصلة)،والإشارة، المستفهم به وكلمات الشرط...

وفي هذا التقسيم لم يقدم **مهدي المخزومي** جديدا، حيث إنه اعتمد أساسا على التقسيم الثلاثي للكلم، واعتمد في هذا التقسيم على الكوفيين، حيث استعمل مصطلحا ليس شائعا، وهذا التقسيم الرباعي يماثل تقسيم **إبراهيم أنيس إلى:** الاسم والضمير والفعل والأداة[4]، والتقسيم الأول **لتمام حسان**، الذي يضم : الاسم ،الفعل، الضمير، الأداة.[5]

أما التقسيم الثاني للدكتور **تمام حسان**، وهو الأشهر يضم سبعة أقسام: الاسم، الفعل، الضمير، الأداة، الظرف الصفة، الخالفة.[6] حيث أضاف إلى تقسيمه الأولي :

*- **الظرف**: وهي مبان تقع في نطاق البنيات غير المتصرفة فتتصل بأقرب الوشائج بالضمائر والأدوات.[7]

---

* - قضية أقسام الكلام قضية نحوية صرفية باعتبار أن النحو والصرف متداخلان فمصطلح Grammar يشملهما معا فالمرفولوجيا والسنتكس أي علم البنية وعلم التنظيم يتألف من (الجرامير) Grammar أي: علم القواعد. وعلي عبد الواحد وافي مثلا قسم مستويات الدرس اللساني العربي إلى مستويين هما: 5علم الأصوات وعلم الدلالة وجعله لمصطلح القواعد شاملا للنحو والصرف وهو رأي بلومفيلد ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول والاتجاهات، ص119، 121.

[1] - ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 2008م، ص27.

[2] - ينظر: الصرف العربي بين التراث اللغوي والدرس اللساني العربي الحديث، بايزيد جاب الله، الملتقى الدولي حول الصرف العربي في الفكر اللساني الحديث، جامعة زيان عاشور الجلفة-الجزائر، EISSN:2602-5353/ISSN:2170-0583K، ص51.

[3] - ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، لبنان، ط2، 1986م، ص21-65.

[4] - ينظر: من أسرار اللغة ، ص266-278.

[5] - ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1955م، ص195-209.

[6] - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، دط، 1994م، ص90-123.

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص119-122.

*- **الصفة**: وهي في رأيه قسم مستقل عن الاسم تختلف عنه مبنى ومعنى، لأنها لا تدل على مسمى بها، وإنما تدل على موصوف بها تحمل معنى الحدث، أي معنى المصدر، وهي بهذا خارجة عن تعريف الاسم، حيث قالوا بأنه ما دل على مسمى .[1]

*- **الخالفة** :فهي ليست أسماء، ولا أفعالا، ولا من الضمائر، وتمثل العبارات الإفصاحية التي يستعملها المتكلم للتعبير عن مواقفه، وهي تضم اسم الفعل، أفعال المدح والذم...الخ.[2]

وقد تعرض هذا التقسيم الذي طرحه المحدثون إلى النقد اللاذع، حيث اعتبره بعض الباحثين يزيد الأمور تعقيدا، وهو لا يمت للتيسير بصلة.[3] في حين يرى بعض الباحثين أن تقسيم تمام حسان بالذات مطابق لتقسيم النحاة من حيث الجوهر حيث جمع بشكل استقرائي جميع طوائف الكلمات التي تندرج تحت كل قسم من الأقسام السبعة مستندا في تقسيمه على سمات شكلية ووظيفية معا تصلح في نظر المؤيدين لهذا التقسيم للتفريق بين الأقسام[4] .

ثالثا: الجهود الصرفية العربية في إطار الاتجاه التوليدي التحويلي:

لقد أعاد تشومسكي الاعتبار إلى البحث في البنيات الكلامية المستقلة الثابتة(الأبنية الصرفية) كونها الأبنية التي تتشكل منها البنيات المركبة وفي هذا الشأن يقول محمد بلبول إن العودة إلى المورفولوجيا بوصفها مستوى مستقلا للتمثيل للاطرادات البنيوية داخل مجال الكلمة تقترن في اللسانيات المعاصرة مع أعمال تشومسكي وهالي وذلك في ضوء الحاجة إلى حصر ما يدعى في النظرية الفونولوجية بالمركبات الفونولوجية في مجال العمليات الفونولوجية وسمى هذه القواعد التي تمثل مستوى وسيطا بين التركيب والفونولوجيا بقواعد التعديل في ضوء نظرية تشومسكي في القواعد الكونية[5] وقد اتضحت معالم النظرية الفونولوجية في اللسانيات الحديثة واستقت مشروعيتها الحديثة وميلادها الحديث في إطار ما يعرف بالنظرية المعجمية التي قدم لها تشومسكي في مقالته الشهيرة"ملاحظات حول الترسيم"حيث أكد فيها أن الكلمات المعجمية تكوّن بموجب قواعد صرفية اتكوين الكلمات لتؤدي دورا واضحا في دلالات البنى العميقة والبنى السطحية وعليه ونجم عن ذلك اشتغال القواعد التحويلية بالكلمات وأبنيتها الصرفية[6].

ومن أهم اللسانيين العرب المشتغلين في إطار نظرية تشومسكي **عبد القادر الفاسي الفهري** حيث تناول بعض المسائل الصرفية بنظرة توليدية تحويلية ومن أمثلة ما تناوله الفهري قضية الأنساق الصرفية في اللغة العربي، حيث يرى بأن هذه الأنساق تختلف من لغة إلى أخرى، وأهم ما يميز الصرف العربي أنه صرف غير سلسلي(non concatenative) أي أنه لا يركب بين سلسلة لفظية وسلسلة أخرى بضمهما خطيا كما هو شأن اللغة الإنجليزية أو الفرنسية حيث يؤلف بين جذع وسابقة أو لاحقة للحصول على مفردة جديدة دون تغيير يذكر في البنية الداخلية للجذع أصل الاشتقاق: فمثلا من" eat" يمكن أن نشتق الكلمات الآتية : "eater " و "eating" و"eatable"...ومن "mobile" نشتق:"immobole"و"automobile" و"mobiliser" و "mobilisation"...إلخ.حيث تضم اللواصق إلى الجذوع فهذه اللغات سلسلية في صرفها[7]. أما العربية فالاشتقاق فيها داخلي غالبا يحدث بتغير في صورة الفجذع أصل الاشتقاق للحصول على صيغة جديدة مثل: ضَرَبَ، ضُرِبَ، ضرَبَهُ، مَضْرُوب اضْطَرَبَ...فتركيب الصرف في اللغة العربقية يختلف عن تركيب الصرف في الإنجليزية أو الفرنسية.[8]

وهذه الظاهرة –حسب رأي الفاسي الفهري- في بناء الزمن في الفعل فليس الفعل جذعا تلصق به وحدة صرفية تنضاف خطيا إلى صورة فعل غير متصرف، بل إن الجذع الفعلي في اللغة العربية يكون دائما متصرفا محتويا على

---

[1] - ينظر: المرجع السابق ، ص98-103.

[2] - ينظر: المرجع نفسه ، ص113-118.

[3] - ينظر: النحو العربي بين الأصالة والتجديد، عبد المجيد عيساني، دار ابن حزم، ط1، 2008م، ص213.

[4] - ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل الوظيفة، ص165.

[5] - ينظر: تعالق المستوى الصرفي بمستويات اللغة الأخرى ودوره في تبيان الدلالة، خالد حسين أو عمشة، المؤتمر الدولي للغة العربية3، بدبي الإمارات من 7-05/10 2014م الموافق ل: 8-1435/07/11هـ، ص4.

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص4.

[7] ينظر: اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، عبد القادر الفاسي الفهري، وقائع ندوة جهوية تقدم اللسانيات في الأقطار العربية بالرباط، أفريل 1987، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م ، ص29.

[8] - ينظر: المرجع نفسه، ص29.

الزمن(temps)والجهة(aspect) وكذلك البناء(voice) وهو يجل أيضا على الوجه(mood) فنقول:"دَخَلَ"فيكون فعلا متصرفا دالا على الماضي والبناء للمعلوم، وتقول:"يدخل"فيصرف للحاضر والمستقبل[1].

وقد أفرز البحث في الأنساق الصرفية السلسلية-حسب الفهري- اتجاهات وآراء متعددة يمكن إجمالها في ثلاثة آراء[2]:

- **الاتجاه الأول:** يمكن نعته بالتصور الحشوي للصرف حيث تثبت في هذا التصور كل الكلمات المتصرفة منها وغير المتصرفة في المعجم. والقواعد الصرفية تعد ضمن القواعد الحشوية والموقف الحشوي لا يقر بوجود مكون صرفي مستقل عن المعجم بل إن القواعد الصرفية فيه هي قواعد معجمية حشوية.

- **الاتجاه الثاني**: يمكن أن ينعت بأنه تصور استقلالي، فهو ينكر أن يكون الصرف جزءا من المعجم أو أن تكون القواعد الصرفية مجرد احتساب لما يتكرر في المداخل المعجمية تامة التخصيص، بل إن دور القواعد الصرفية في هذا التصور لا يختلف جذريا عن دور القواعد التركيبية، ولذلك كانت القواعد الصرفية أيضا قواعد إعادة كتابة حرة سياقيا واتجه بعضهم إلى الاعتقاد أن التكرارية هي ضمن خصائص التأليف الصرفي، ومعلوم أن التكرارية هي حد فاصل بين ما يكون في القواعد أو النحو بمعناه العام وبين ما يعالج في المعجم. وقد نادى بعض أصحاب هذا الاتجاه بما دعي بالذرية التركيبية للذوات الصرفية أو الكلمات أي أن التركيب لا يمكن أن يحلل الذوات الصرفية ، كما أنهم خصوا المعجم بما يَثْبُتُ ويُخَزَّنُ، وأنكروا أن تكون الانتاجية أو عدمها مقياسا فاصلا بين ما هو من نسق القواعد وما هو من المعجم.

- **الاتجاه الثالث:** يمكن نعته بأنه تركيبي والأساس التمثيلي الذي يرتكز عليه هو أنه ليس هناك مكون صرفي أو مكون للكلمات مستقل كل الاستقلال عن التركيب وكذلك الأصوات ، بل إن بناء الكلمة في جوهره بناء تركيبي يخضع أساسا للمبادئ التركيبية وهو ما يجعل الصرف خاصا هو أن العمليات الصرفية محدودة في إسقاطات في الشجرة التركيبية، أي في المكونات ما قبل النهائية ، وهذه المكونات تسمى عادة كلمات، ومن جملة مزايا هذا التصور أن القيود التركيبية يتفادى تكرارها في مستوى الكلمة وهذا ما سماه بيكر"beker"بمبدأ المرآة.

أما في أدبيات الصرف العربي فيرى عبد القادر الفاسي الفهري أنه باستثناء ما يقوم به الباحث المغربي إدريس السغروشني من تقعيد صرفي خارج المعجم فإن الموقف الوحيد المعبر عنه بهذا الصدد هو موقف مككرتي1979mecarthy وهو موقف حشوي أساسا، ومككرتي يعتبر بعد هالي1973 أن المعجم يضم جميع أشكال الكلمات بما فيها المتصرفة. والقواعد الصرفية تلعب دورا في تقييم المعجم أساسا وإن كان يرجع إليها في توليد وتأويل المولدات وهي قواعد سيلقية أساسا[3].

رابعا: الجهود الصرفية العربية في إطارالاتجاه الوظيفي التداولي:

اهتم الوظيفيون بالمستوى الصرفي وفي إطار النحو الوظيفي مثلا يعد سيموك ديك مؤسس هذه النظرية أول من نبه إلى ظاهر التداخل بين الصرف والتركيب، وقد ذكر المتوكل بأن مصطلح الصرف يطلق عادة على ما يدرس مجموعة من الظاهر التي تلحق المفردة بالنظر إلى السياق الذي ترد فيه، مثل اللواصق دالة على العدد والجنس والمطابقة، والصرف غير الاشتقاق فهما مختلفان وإن تشابها في بعض الجوانب وهو أمر تطرقت له نظرية النحو الوظيفي، وهذه النظرية ترى بأن الاشتقاق موكول في أو نماذجها إلى فئة(قواعد تكوين المحمولات) المتسمة بسمتين أساسيتين هما[4]:

- اندراجها إلى جانب المعجم في المكون المزود للنحو الرافد له وهو المسمى "خزينة المفردات".
- اشتغالها بمعزل تام عن الصرف المنتمي إلى مرحلة ثانية وهي قواعد التعبير.

فخصائص الفعلين العليين (أَخْرَجَ)و(خَرَّجَ) ترصد تامة ودفعة واحدة في قاعدة التكوين التي تقوم باشتقاقها من الفعل غير العلي الأصل(خَرَجَ)، وفي النموذج المعيار(ديك1997أ+ب) اقترح مقاربة معدلةتصل بين الاشتقاق والصرف تتكفل من خلالها قاعدة التكوين برصد التغير البنيوي الطارئ على المفردة أصل الاشتقاق في حين تحدد صيغتها القاعدة الصرفية.

تظل العلاقة بين الصرف والتركيب علاقة شائكة وقد أجريت مجموعة من البحوث في سياق النحو الوظيفي مثل (خروت وهنخفلد) لتجيب عن السؤال هل الصرف والتركيب مستويان متباينان(مختلفان) أم هما مستوى واحد؟

---

[1] - ينظر: البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة والجملة، عبد القادر الفاسي الفهري، دارتوبقال للنشر، المغرب، ط1، 1990م، ص39.

[2] - المرجع نفسه، ص39-41.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص41.

[4] - ينظر: المنهج الوظيفي في البحث اللساني، أحمد المتوكل، ص218-219.

والموقف التقليدي من هذا الإشكال في النحو الوظيفي (النموذج ما قيل المعيار والنموذج المعيار) عد الصرف مستوى قائم الذات متميزا عن التركيب وسابقا له، في حين أثبتت مجموعة من البحوث في إطار النحو الوظيفي مؤخرا (باكر2001،1999)،(مكانزي2003) وكذلك أبحاث المتوكل مؤخرا ربطت بين المستويين حيثؤإن عددا من الظواهر الصرفية ترتبط برتبة المكونات ارتباطا يجعل تحديدها غير ممكن ففي الأمثلة التالية مثلا[1]:

-**تغيب** الطلاب اليوم.

- الطلاب **تغيبوا** اليوم.

- الطالبات **تغيبن** اليوم.

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة البسيطة تبعية الصرف للتركيب أي تبعية الصورة الصرفية للرتبة، فالفاعل يحتفظ بوظيفته وإن تقدم ةمن خلال القارنة بين الجمل الثلاثة فلا مطابقة بين الفعل وفاعله من حيث العدد إذا ورد الفاعل بعد الفعل في حين يتم التطابق إذا ورد الفاعل مقدما على فعله، وبناء على ارتباط الصرف بالتركيب في عدد من اللغات ومنها العربية اقترح المتوكل(المتوكل2002) رفع الفصل بين الصرف والتركيب ودمجها في مستوى واحد صرفي-تركيبي. في مقاربة يمكن تسميتها(مقاربة البنيات الصرفية-التركيبية) تنطلق هذ المقاربة من تداخل الصرف والتركيب وتربطهما في مستوى واحد.

لقد ذكر أحمد المتوكل أن اللغة العربية من اللغات غير السلسلية في توليد الصيغ والأبنية الصرفية بخلاف اللغتين الفرنسية والإنجليزية على سبيل المثال-وهذا الرأي ذكره عبد القادر الفاسي الفهري أيضا- وفي حديث المتوكل عن الصيغ الصرفية التي يتحقق فيها المحمول(الفعل) نمطان[2]:

***-صيغ بسيطة:** وهي ثلاث صيغ الصرفية التي تدل على الماضي مثل فعل والمضارع يفعل والأمر افعل، ويتحقق المحمول في إحدى هذه الصيغ الثلاث وفقا للمسطرة العامة التالية:

أ- يشكل دخلا لقاعدة الصياغة محمول محدد جذره ووزنه ومقولته المعجمية وسماته الإنجازية والوجهية والزمنية والجهية.

ب- تنقل هذه الصورة المجردة إلى صيغة صرفية بواسطة قاعدة تشتغل طبقا للمعلومات التي تم الإشارة إليها أعلاه والتي توجد ممثلا لها في البنية التحتية بما في ذلك وزن المحمول.

***-صيغ مركبة:** وهي الحالات التي يأتي فيها المحمول(الفعل)مكونا من صيغتي الماضي والمضارع مضافا إليها مكون آخر يتمثل في الفعل المساعد مثل الفعل كان أول أحد أخواتها أو شرع أو طفق أو مازال أو كاد أو أحد أخواتها.... فتقول :كان الولد يأكل ، كاد الوت يتأخر....وهلم جرا.

خامسا: الجهود الصرفية العربية في إطارالاتجاه التوفيقي التجسيري:

يؤكد التوفيقيون على غرار الحاج صالح أن الفكر اللغوي في التراث فكر رياضي تجريدي في كل مستوياته خاصة في مستواه الصرفي يمكن من خلال حوسبة اللغة العربية ويمكن استثمار الحاسبات الآلية في دراسة الصّيغ والأبنية، وغير ذلك من الجوانب الصّورية للغة[3] ولم يستعمل النّحاة الصيغة بما يفيد إمكان كونها ثنائية أو ثلاثية، بل إنّ الصّيغة عندهم تقتضي متعالقين هما"الوزن" و"البناء"، وهذا التّصوّر الّذي جعلوا بموجبه الصّيغة مشروطة بالوزن والبناء يدل على ما يوجد بينها وبين البنية من فروق، فالصيغة بهذا الاعتبار بنية أحاديّة لها خصائصها الإعرابية والدّلالية المحدّدة، أمّا البنية فتكون أحادية وقد تتجاوز ذلك لتكون ثنائية وثلاثية[4]، كما أن البنية لا تتعارض مع الشّكل الّذي يتحوّل إلى تمثيل رياضي أو هندسي ذي طبيعة عقلية قوامها التّرميز المجرّد لعناصر المظاهر اللّغوية المحسوسة، ومثال ذلك ما قدّمه الخليل في معجم العين، فقد اعتمد على نسقٍ رياضيٍّ قائمٍ على قواعد الاحتمالات، فتتولّد مداخل المعجم من نواحيها المختلفة، كالائتلاف والاختلاف وغير ذلك[5].

وفي السّياق نفسه يأتي مشروع الحاج صالح الذّخيرة اللّغوية لترقية اللّغة العربية وحوسبتها بكل مستوياتها، يقول في هذا الصّدد:«وتجدر الإشارة إلى أنّ معهدنا يقوم منذ أكثر من عشر سنوات بإدخال أهم الآثار الأدبية والعلميّة العربية في ذاكرة

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص220-221.

[2] - ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، أحمد المتوكل، دارالظامان، الرباط، دط، 1995م، ص21-24.

[3] - ينظر: المرجع نفسه ، ص278.

[4] - الصيغ الصرفية بين النحو واللسانيات بحث في السمات المفهومية والخصائص الدلالية، محمد الصبحي بغزاوي، دار النّهي للطباعة، صفاقص تونس، ط1، 2014م، ص87.

[5] - ينظر: الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية الحديثة، محمد شندول، مركز النشر الجامعي،، تونس، دط، 2015م، ص5-6.

الرّتاب، وذلك لإنجاز ما أسميناه"الذّخيرة اللّغويّة"، وهو قاموس الجامع للألفاظ المستعملة أو الّتي استعملت بالفعل ووردت في النّصوص القديمة أو والحديثةThesaurus of Arabic Language ، وقد تمّ تخزين قسط كبير من الشّعر الجاهلي والشّعر الإسلامي، وسنشرع في الأيام المقبلة في تخزين التّحف الأدبية النّثريّة ككتب الجاحظ وابن المقفّع»[1].

وقد شارك **الحاج صالح** أيضًا في إنجاز الرّصيد اللّغوي المغربي رفقه الأستاذ **محمّد الأخضر غزال** من المغرب الشّقيق الّذي يهدف إلى ضبط مجموعة من المفردات والتّراكيب العربية الفصيحة الّتي يحتاج إليها التّلميذ المغاربي خاصّة في مرحلة التعليم الابتدائي حتّى يستطيع التّعبير عن أغراضه بيسر[2]، ولا يمكن أن ترتّب المفردات الّتي وردت في جميع النّصوص من جميع البلدان المشاركة في التّرتيبات المتعدّدة بسياقاتها الّتي تعدّ بالآلاف، ولا أن تحصى واحدة منها إلاّ باللّجوء إلى الحاسبات الإلكترونية[3]، هذا ويستطيع الرّتاب(الحاسب) يقول الحاج صالح من خلال برنامج خاص أن يستخرج بطريقة سريعة جدًّا كل صيغ الكلمات الّتي توجد في نصّ ما وفي ذات الوقت المواد الأصلية الّتي صيغت فيها[4] وتجدر الإشارة يقول الحاج صالح لولا الطّريقة التّحليليّة التي وضعها النّحاة العرب(كالتّمثيل للصّيغ المختلفة بموازين صرفية) لما استطاع الباحثون القيام بهذا العمل[5].

إنّ الطّبيعة السّلسة والانسيابية والتّراتبيّة للّغة العربية والّنسق الّذي بنيت عليه جميع مستوياتها، بنظام رياضي تجريدي يمكّن من حصر أكبر عدد ممكن من العناصر اللّغويّة أو المثل وأوضحها المستوى الصّرفي، كلّها عوامل توحي بأنّ اللّغة العربية يمكن أن تتأقلم مع نظام الحوسبة بسهولة تامّة، مما يسهّل على الفرد التّعامل مع هذا الكم الهائل من المفردات والصّيغ والأبنية بكلّ يسر، وطبيعة الفكر اللّغوي العربي القائم على الشّكل الرّياضي التّجريدي، وليس الإفرادي هي العوامل الّتي سهّلت هذا المسعى، والصيّغ الصّرفية هي نوع من هذا التّجريد الّذي يحكم المستوى الّصرفي للّغة العربية.

---

[1] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص278-279.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص279(هامش).

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص279.

[4] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص279.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص280.

المحاضرة الثانية عشرة:(اللسانيات التركيبية)

تمهيـــــد:

يشكل المستوى التركيبي أو النحوي أهم المستويات اللغوية على الإطلاق لأنه المستوى الذي يحقق التواصل بين الناس ذلك أن التواصل يطغى عليه بصفه شبه تامة اللغة المركبة المتواليات الصوتية أو الجمل والتراكيب أو البنية التركيبية بمصلح اللسانيات البنيوية ثم النص الكامل، وقد نال الجانب التركيبي أو النحوي حظه من البحث والدراسة عند الباحثين العرب القدامي وقد سبق الحديث عن ذلك في المحاضرات الأولى كالحديث عن النحو ومدارسه وأصوله كنظرية العامل وموضوع المسند والمسند إليه والجملة...كما تناول اللسانيون العرب المحدثون هذا الجانب من خلال محاولة عن إعادة وصف اللغة العربية فتناولوا الجملة كما حاولوا تقديم بديل لنظرية العامل كما فعل تمام حسان في نظرية القرائن، وعموما سنتناول هذه المسائل في هذه المحاضرة إضافة إلى التعريف بمصطلح اللسانيات التركيبية:

أولا: مفهوم اللسانيات التركيبية:

إضافة إلى المستوى الصوتي والصرفي والحديث عن اللسانيات الصوتية واللسانيات الصرفية تم الحديث عن اللسانيات التركيبية، وهذا المصطلح حديث مرتبط بظهور اللسانيات حيث كان يستخدم بدلا منه المستوى النحوي أو النحو في مقابل التركيب، والمستوى التركيبي يتناول مسألة التأليف والتركيب في اللغة أي دراسة الجملة بشكل خاص ولا يتم دراسة المفردات إلا في إطار وظيفتها داخل الجملة والتركيب كما فعل النحاة القدامي، فاللسانيات التركيبية تبحث في كيفية تركيب الكلام وتنظيم الكلمات داخل التراكيب والجمل والدلالات المترتبة على ذلك. ويعود مصطلح بناء الجملة أو التركيب إلى الكلمة الفرنسية Syntaxe والتي اشتقت من المصطلح اليونانيSyntaxis التي تعني التنظيم والترتيبArrangement[1]. وسنحاول تسليط الضوء على أهم الجهود اللسانية العربية الحديثة في المجال التركيبي:

ثانيا -الجهود التركيبية العربية في إطار الاتجاه البنيوي الوصفي:

من أهم مآخذ الوصفيين على النحو العربي أنه متأثر بالمنطق الأرسطي ذلك أن منطق أرسطو يهتم **بالصورة** أكثر من **المادة**، بينما منهجهم الجديد في دراسة اللغة ينبغي أن يهتم **بالمادة** أكثر من **الصورة**، ما أبعد النحو العربي عن طبيعة اللغة[2] بينما النحو المنشود ينبغي أن يكون صوريا شكليا، وقد تبلورت هذه الفكرة عند الوصفيين العرب المحدثين في دراسة اللغة العربية وفقا لهذا المنهج على مسارين[3]:

الأول: يعرض لمدرسة التحليل الشكلي: لقد استفاد من هذا الاتجاه بعض اللسانيين العرب على غرار **عبد الرحمان أيوب و محمد الشاوش**، وتجلى ذلك عند **عبد الرحمان أيوب** في كتابه"**دراسات نقدية في النحو العربي**" الذي حاول الاستفادة من معالم المدرسة الشكلية الأمريكية من خلال استبعاد التعليل الفلسفي والمنطقي، واعتماد الشكل والوظيفة أساسا في تصنيف الوحدات اللغوية واستبعاد المعنى من التحليل اللغوي، ويتجلى ذلك مثلا في تعريف الكلام والكلمة، فالكلام مثلا عنده"**ما دلّ على أكثر من معنى مفرد و أفاد فائدة تامة**"، هذا تعريف قريب من تعريف علماء اللغة المحدثين، كما عاب على النحاة أنهم لم يفرقوا في النموذج التركيبي بين"**الاسم المسند إليه+ المسند**" الذي يقاس عليه عدد لا حصر له من الجمل، وبين"**الحدث اللغوي**" كقولنا محمد قائم ونحوه، وفي رأيه أن النحاة أخلطوا بين المثال والواقع![4].

أما **محمد الشاوش** فقد اتجه إلى اعتماد مفهوم **المكونات المباشرة** والتدرج في مستويات التركيب في بحث بعنوان:"**ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية**" ليتجنب نقائص النحاة القدامى في التحليل ولشعوره بفقر المصطلحات المتصلة بالجملة وتداخلها في الدرس النحوي العربي يرى أن مكونات الجملة محصورة في[5]:

-لفظ واحد.

- تركيب جزئي: يقوم على التبعية وانعدام الإسناد.

---

[1] - ينظر: التركيب وأهميته اللسانية بين القدماء المحدثين، عبد القادر سلامي، مجلة آفاق علمي، الجزائر، ع:13، 2017م، ص133.

[2] - ينظر: النحو العربي والدرس الجديد، ص61.

[3] - دراسات في اللسانيات العربية، ص64.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص66.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص68.

- شبه جملة: يقوم على التبعية ووجود الإسناد.

- جملة: تقوم على الاستقلال ووجود الإسناد.

كما قسّم **الشاوش** الجملة إلى بسيطة وهي التي تخلو من أشباه الجمل، ومركبة وهي التي تتضمّن شبه جملة أو أكثر كما قسم الجملة إلى اسمية وفعلية، أما شبه الجملة فتكون اسمية وفعلية وموصولة، علما أن الشاوش يعرّف الجملة تعريفا قريبا من تعريف معجم المعهد الأمريكي، وهي:"**ملفوظ أو تركيب جاء مستقلا عمّا قبله وعمّا بعده استقلالا صناعيا تركيبيا**"[1]. أما تحليل الجملة وفق مبدأ المكونات المباشرة الذي يتبناه الشاوش فيقسمها إلى قسمين[2]:

الأوّل: وهي مكونات وظائفها قائمة على منطلق منطقي ومعنوي، وتنقسم بدورها إلى قسمين:

- **مكونات ضرورية**:وهي الفعل والفاعل ونائبه، والمبتدأ وخبره واسم الناسخ، وسماها العناصر الأصلية.

- **مكونات غير ضرورية**: وهي مكونات تتحد وظيفتها بالنواة الإسنادية، لا بعلاقتها بالمسند أو المسند إليه، وتضم: المفعولات والحال والتمييز والتوكيد وأطلق على هذه المكونات اسم **متممات الإسناد أو توسعاته**.

الثاني: وهي عناصر ليست من مكونات الإسناد ولا من توسعاته المباشرة، وإنما هي مكونات لتلك المكونات، وتشمل المنعوت والنعت، المضاف والمضاف إليه، الجار والمجرور، المؤكّد والتوكيد، المبدل منه والبدل، المعطوف عليه والعطف، المستثنى منه والمستثنى، المميز والتمييز، صاحب الحال والحال، المظروف والظرف، وقد أطلق عليها اسم توسعات الدرجة الثانية، علما أن استخدامه لمصطلحات "**التوسعة**" و"**التتمّة**" و"**الفضلة**" تأثرا بالفرنسي **أندري مارتيني**، الذي يعرف الفضلة:"**كل عنصر أضيف إلى قول دون أن يغيّر شيئا في العلاقات المتبادلة بين عناصره الأصلية أو في وظائفها**".

والثاني: يزاوج بين مقولات الوصفيين و أفكار فيرث السياقية، ويمثله بشكل خاص **تمام حسان** في كتابه" **اللغة العربية معناها ومبناها**"، لقد جعل تمام حسان المعنى أساس بحثه، الذي يجب أن يكون هو هدف البحث اللغوي وغايته، وذلك من خلال البحث في كيفية ارتباطه بأشكل التعبير المختلفة، تأثرا بسياق الحال عند **أستاذه فيرث** وأطلق عليه **المقام** والسياق اللغوي أطلق عليه **المقال، وقد أخذ الباحث بفكرة المستويات Leveels أو النظام System** التي تبناها الاتجاه الوصفي البنيوي في دراسة اللغة، وهي "**الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي الدلالي**" محاولا تفسير العلاقات بين تلك المستويات من خلا ل ثنائية" **المبنى والمعنى**"[3]، وعلى الرغم من تصريح الباحث نفسه بأنه يعتمد المنهج الوصفي البعيد عن التعليل والتقدير، لكنه فعليا لم يكن وصفيا خالصا بل كان هجينا بين الوصفي الوظيفي كما سبق التذكير.

***-محاولة تقديم بديل لنظرية العامل:**

إذا كان النّحاة القدامى لم يلتفتوا فيما يبدو إلى صيحة ابن مضّاء القرطبي الدّاعية إلى إلغاء نظرية العامل وصياغته في منهج جديد ، فإنّ النّحاة المحدثين قد تلقّفوا نظريّته واتّخذوها منطلقا حقيقيّا لدراسة اللّغة بمنظور جديد فثاروا على نظريّة العامل، وأخذوا يهدمون كلّ الأسس والمعالم الّتي بناها النّحاة الأقدمون، غير أنّ هذه المحاولات ظلّت بعيدة من أن تنال من البنيان الّذي أقامه أئمة النحو العربي منذ أكثر من أربعة عشر قرنا أو تقديم بديل مقنع مقبول انطلاقا من نظريّتهم الجديدة[4].

و سنتطرق فيما يلي إلى آراء بعض الدّارسين المحدثين بخصوص التخلي عن نظرية العامل والبديل المقترح محاولين تحليلها .

1-اعتبار الحركات نفسها دالة على معان وليست أثرا لعامل نحوي:

وهذا الرأي ذهب إليه **إبراهيم مصطفى** في كتابه"إحياء النحو" وتبعه تلميذه **مهدي المخزومي**، حيث ذهبا إلى اعتبار الحركات دالة على معان ويجب توجيه البحث في هذا الاتجاه، وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل ذلك الحرص وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئا، وأن هذه الحركات تختلف باختلاف موضع الكلمة من الجملة وصلتها بما جاورها من كلمات فالأحرى أن تكون دالة على معنى في تأليف الجملة وربط الكلمات. أما معاني الحركات حسبه[5]:

أ- الضمّة فإنها علم الإسناد، ودليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويُتَحدَّثُ عنها.

---

[1] - ينظر:دراسات في اللسانيات العربية، ص69.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص69-71.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص75-76.

[4] - ينظر: ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص170.

[5] - ينظر: إحياء النحو، ص50.

ب- **الكسرة فهي علم الإضافة وإشارة لارتباط الكلمة بما قبلها**ـ سواء كان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة كما في:"كتاب محمدٍ"و"كتاب لمحمدٍ"، ولا تخرج الضمة ولا الكسرة عن الدلالة على ما أشرنا إليه إلا أن يكون ذلك في بناء أو في نوع من الإتباع.

ج- **الفتحة ليست علامة إعراب ولا دالة على شيء** بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد أن تنتهي بها الكلمة ما أمكن ذلك، فهي بمثابة السكون في لغة العامة.

فالإعراب الضمة والكسرة فقط وليستا بقية من مقطع ، ولا أثرا لعامل من اللفظ أو من غيره، بل هما من عمل المتكلم ليدل بهما عن معنى في تأليف الجملة ونظم الكلام.

و قد رد الدكتور **تمام حسان** على هذا التّصنيف بالحركات،و رأى أنّه فهم مبهم قاصر لطبيعة هذه الحركات، وفهم يبدو قصوره و إبهامه إذا وضعناه في ضوء القرائن المختلفة، حيث إنّ العلامة ليست أكثر من واحدة من قرائن كثيرة يتوقّف عليها فهم الإعراب الصّحيح، بل إنّ الإسناد نفسه قرينة من القرائن المعنويّة، فهو نفسه كالضّمّة صاحب دلالة معنويّة على الإعراب الصّحيح[1] . و قد واجه هذا التوزيع عقبات حقيقية حين تطبيقه من ذلك :

- **اسم إنّ وأخواتها** : هو مسند إليه بالإجماع، رغم كونه منصوبا عكس كلام إبراهيم مصطفى، الّذي جعل الفتحة ليست علامة إعراب، ولا تدلّ على شيء من المعاني، رغم أنّه اسم حقّه النّصب، و هو مرفوع في اللّغة القديمة، كأن يعطف عليه بالرّفع كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَ الّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابُونَ وَ النَّصَارَى ﴾ [2] .

- **المنادى المفرد العلم ليس مسندا إليه** ، و هو مضموم مع ذلك وكذلك النّكرة المقصودة [3] .

- **كثيرا ما يقع المسند إليه مجرورا** كقوله تعالى: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَ لاَ نَذِيرٍ ﴾[4]، و قوله تعالى : ﴿ وَ كَفَى بِاللهِ شَهِيدا ﴾ [5] فالكسرة الّتي جعلها إبراهيم مصطفى علما على الإضافة، قد تظهر على الفاعل، كما في المثالين، وكذلك على المبتدأ في قولنا :(ما في البيت من أحدٍ)، و كذلك على المفعول به نحو :(ما رأيت من أحدٍ)[6] .

- **الاسم الممنوع من الصّرف مفتوح دائما** ،وقد يتضمّن معنى الإضافة وقد يكون مسندا إليه .

- **الجمع بين الفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر في باب واحد يسمى المسند و المسند إليه صعب**، لأنّه ليس من السّهل إزالة ما بين البابين من فروق، ولإزالة هذا اللّبس أفرد النحاة المسند والمسند إليه بباب يسمى : المبتدأ و المسند إليه المتأخر، يسمى الفاعل[7] .

إن إبراهيم مصطفى بجهده هذا أراد أن يقدّم نظاما جديدا للنّحو العربيّ يخالف إلى حدّ ما النّظُم التي أرساها النّحاة القدامى الذين أسّسوا علم النحو وبنوا هيكله، وذلك اقتداء بالثّائر ابن مضّاء القرطبي ،ولكن هذه الثّورات وهذه الآراء لم تجد الطّريق سالكا حين تطبيقها، إذ ليس التطبيق كالكلام، وكان أولى بهؤلاء أن ينكبّ جهدهم في محاولة الشّرح والتوضيح للنحو العربي كي يجد مساره للتّطبيق من قبل أهل العربيّة وأبنائها .

2- نظرية القرائن لتمام حسان :

سنحاول أن نعطي شرحا وجيزا لهذه النظريّة، حيث يرى تمام حسان بأنّ النّظام النّحويّ للّغة العربيّة الفصحى يبنى على الأسس الآتية[8]:

أ- طائفة من المعاني النّحويّة العامّة، التي يسمّونها معاني الجمل والأساليب.

ب- مجموعة من المعاني النّحويّة الخاصّة، أو معاني الأبواب المفردة ،كالفاعليّة والمفعوليّة والإضافة .

ج- مجموعة من العلاقات الّتي تربط بين المعاني الخاصّة حتّى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها، كعلاقة الإسناد والبنية والتّبعيّة، وهي قرائن معنوية لمعاني الأبواب الخاصّة، كالفاعليّة والمفعوليّة .

د- ما يقدّمه علماء الصّوتيات، والصّرف لعلم النّحو من قرائن صوتيّة أو صرفيّة، كالحركات والحروف ومباني التّصريف .

---

[1]- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، د ط، 1994م، ص185-186.

[2]- سورة المائدة، الآية(69).

[3]- ينظر: - ينظر: مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو العربي، ص171.

[4]- سورة المائدة، الآية(19).

[5]- سورة النساء، الآية(79).

[6]- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، ص49.

[7]- ينظر: ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص171-172.

[8]- المرجع نفسه، ص178(بتصرف).

هـ- القيم الخلافيّة أو المقابلات بين أحد أفراد كلّ عنصر ممّا سبق، وبين بقيّة أفراده .

و يرى الدكتور تمام حسّان أنّ النّحو لا يتّخذ لمعانيه مباني من أي نوع، إلاّ ما يقدّمه له علم الصّرف من هذه المباني و في نظره أنّ النّحاة لهذا السّبب لم يفصلوا بين النّحو والصّرف في أغلب الأحيان، فيعالجون كلّ منهما علاجا منفصلا ولذلك جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك[1]، كألفية ابن مالك التي يقول فيها :

وَ تَاءُ تَأْنِيثٍ تَلِي المَاضِي إِذَا كَانَ لأُنْثَى كَأَبَتْ هِنْدُ الأَذَى [2].

فالتّأنيث معنى صرفيّ، وفهم بيت الألفية على هذا النّحو فهم صرفيّ، و قد يفهم كذلك من زاوية النّحو والعلاقات السّياقيّة ، و يكون ذلك كما يلي :

- المعنى ⟵ المطابقة في التّأنيث بين الفعل والفاعل
- المبنى ⟵ التّاء على إطلاقها .
- العلامة ⟵ التّأنيث في أبت[3] .

و الّذي يبدو من هذا التّصوير للصّلة بين المعنى النّحوي و الصّرفي والعلامة المنطوقة أو المكتوبة ما يأتي [4]:

- أن جميع ما نسّميه معان نحويّة، هي وظائف للمباني التي يتكوّن منها المبنى الأكبر للسياق.
- المباني المتعدّدة في السّياق هي مفاهيم صرفيّة لا نحويّة .
-العلامة المنطوقة، أو المكتوبة، ليست جزءا من نظام الصرف، أو النّحو، و لكن هي جزء من الكلام ، و يمكن توضيح ذلك كما يلي[5] :

- المعنى ⟵ وظيفة للمباني .
- المبنى ⟵ شكل مطلق .
- العلاقة ⟵ نطق معيّن أو كتابة معيّنة.

ويذهب تمام حسان إلى أن تحديد المبنى بواسطة العلامة الإعرابية ليس من العمليات العقليّة الكبرى، بل الصّعوبة عند إرادة تعيين المعنى بواسطة المبنى، فالمعنى الوظيفي متعدّد بالنّسبة للمبنى الواحد، ولتحديد هذه المعاني المتعددة ينبغي السّعي وراء القرائن اللفّظية، والمعنويّة، والحاليّة، والكشف عن العلاقات السّياقية، أو التّعليق، كما يسمّيه عبد القاهر الجرجاني هو الغاية من الإعراب، فإذا أردنا مثلا أن نعرب جملة مثل: (ضرب زيد عمرا)، نظرنا في الكلمة الأولى ضرب، فوجدناها جاءت على صيغة "فَعَل"، الّتي تدل على الفعل الماضي، و هي تندرج تحت قسم أكبر من بين أقسام الكلم يسمى الفعل، ومن هنا نبادر إلى القول بأنّ ضرب فعل ماض ، ثم ننظر بعد ذلك في زيد ، فنلاحظ ما يلي[6] :

- أنّه ينتمي إلى مبنى الاسم (قرينة الصّيغة).
- أنّه مرفوع (قرينة العلامة الإعرابيّة)
- أنّ العلاقة بينه، وبين الفعل الماضي علاقة الإسناد (قرينة التّعليق)
- أنه ينتمي إلى رتبة التّأخر (قرينة الرّتبة)
- أن تأخّره عن الفعل رتبة محفوظة (قرينة الرّتبة).
- أنّ الفعل معه مبنيّ للمعلوم (قرينة الصّيغة) .
- أنّ الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب، وهذا إسناده مع الاسم الظاهر دائما (قرينة المطابقة) .

و بسبب تظافر هذه القرائن نصل إلى أنّ زيدا هو الفاعل، ثم ننظر بعد ذلك في: (عمرا)، و نلاحظ :

- أنّه ينتمي إلى مبنى الاسم (قرينة الصّيغة).
- أنّه منصوب (قرينة العلامة الإعرابيّة).

---

[1]- المرجع السابق ،ص179.

[2] - متن الألفية، ابن مالك، منشورات دار الكتاب، الجزائر، دط، دت، ص29.

[3]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 179.

[4]- ينظر: المرجع نفسه،ص179.

[5]- ينظر:المرجع نفسه، ص179-180.

[6]- ينظر:المرجع نفسه، ص181.

- أنّ العلاقة بينه وبين الفعل هي التّعدية (قرينة التّعليق).
- أنّ رتبته من كلّ من الفعل والفاعل، هي رتبة التّأخّر(قرينة الرّتبة)
- أنّ هذه الرّتبة غير محفوظة (قرينة الرّتبة).

و بسبب هذه القرائن نسارع إلى القول بأنّ: (عمرا) مفعول به[1] .

ويرى تمام حسّان بأن قرينة التّعليق هي أصعب هذه القرائن، من حيث الكشف عنها ، وذلك للأسباب التالية[2]:

- قرينة معنويّة خاصّة تحتاج إلى تأمل في بعض الأحيان .
- أنّ التأمّل فيها يؤدّي إلى متاهة في الأفكار الظّنية الّتي لا تتصل اتّصالا مباشرا بالتّفكير النحوي ، ممّا يخرجنا عن الالتزام بالمنهج.
- أنّ الكشف عن هذه القرينة هو الغاية الكبرى من التّحليل الإعرابي، خاصّة وأنّ النّاس يعترفون بصعوبة الإعراب أحيانا ومعنى ذلك أنّه يصعب عليهم اكتشاف هذه القرينة المعنوية (قرينة التّعليق)، وهي أم القرائن النحوية جميعا .

وهكذا رفض تمام حسّان نظريّة العامل النّحويّ ، و حاول أن يعطي بديلا لها ، وقد استعمل مصطلحات معيّنة مثل : (التّسلط) و(الحيّز)، وهي بديلة لكلمة العامل[3]، ومن ذلك على سبيل المثال:

- **قوله في باب الاشتغال** [4]: « هذه ظاهرة تشترك فيها الجملتان الفعليّة و الوصفيّة، والمقصود بها أن يتقدّم اسم ويتأخّر فعل، أو وصف صالح أن يسلّط على ضمير هذا الاسم، أو على سبب منه نحو : (زيدا رأيت)، أو (رأيت أخاه)، أو (زيدا أنا ضاربه) ، فعند انتصاب الاسم السّابق يقدّر له فعل يقع المنصوب في حيّزه، ويفسّره الفعل المذكور بعده، ويتم تقدير ذلك بحسب المعنى » .
- **قوله في باب الإغراء**[5] : «الإغراء ترغيب المخاطب في شيء يحمد به وظيفته الإتيان باسم منصوب في حيّز فعل محذوف وجوبا عند تكرار الاسم أو عطفه وجوبا عند الإفراد وبيانه» .
- **يقول في المفعول لأجله**[6] : « المفعول لأجله مصدر واقع في حيّز عنصر يخالفه في مادّة الاشتقاق، ويشاركه في الزّمن والفاع ويأتي هذا المصدر في إحدى صور ثلاث، مجردا، أو مقترنا بـ(ألْ)، أو مضافا».
- **قوله في باب الاختصاص**[7] :« وينصب في حيّز فعل مضمر تقديره (أخصّ) على معنى مخالفة الأمر».

إن الدّكتور تمام حسّان بهذه النّظرية وهذا التّوجّه الفريد الّذي هو أقرب للبلاغة منه للنحو، رغم قوة الصلة بينهما فإنّنا نجده يتخبّط في بعض ما قدّمه مما قد يجعل كلامه غير مقنع، كما أنه يرفض أشياء، وقد يأتي ليستدل بها و سنذكر فيما يلي بعض الملاحظات التي تؤكد هذا الحكم :

- **أنّه نسب العمل للأفعال** ، فيقول[8] : « أفعال هذا الباب التي تنصب ثلاثة مفاعيل هي : أعلم ، أرى ، نبأ، خبر ، أخبر حدث وأنبأ»، وهذا عود منه، إلى عمل الفعل في المفاعيل الثلاثة[9] .
- **قوله في باب نقص أخوات كان وتمامها**[10]: « وقد تأتي كان زائدة بين المتلازمين، كزيادتها بين المبتدأ والخبر، أو بين الفعل ومرفوعة »، فهو يقرّ من خلال هذا الكلام بوجود مرفوع للفعل ، أي عمل فيه الرّفع[11] .
- أن الإعراب في النّحو العربيّ تحليل يتناول عناصر التّركيب فيحلّلها و يبيّن وظائفها فيما حولها من الكلام ومعانيها السّياقية وعلاقات هذه العناصر بعضها ببعض من التّأثير المتبادل فيما بينها[12] .

---

[1]- المرجع السابق،181.
[2]- المرجع نفسه، ص181(بتصرف).
[3]- ينظر: النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، ص121.
[4]- الخلاصة النحوية: تمام حسان، ص131(بتصرف).
[5]- المرجع نفسه، ص141(بتصرف).
[6]- المرجع نفسه، ص159 (بتصرف).
[7]- المرجع نفسه، ص167(بتصرف).
[8]- المرجع نفسه، ص158.
[9]- النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، ص122.
[10]- الخلاصة النحوية، تمام حسان، ص113.
[11]- النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، ص123.
[12]- ينظر: وظيفة المصدر في الاشتقاق والإعراب، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، ط1، 2008م، ص153.

- أن كلمة التّسلط Government، أي: التّسلط والتّأثير والتّحكم ، ومن ذلك أيضا Government word أي: الكلمة المتحكمة وذات التّأثير في كلمة أخرى داخل التّركيب على نحو ما، و الكلمة ذات التّأثير هذه، هي العامل في نظر النّحاة القدامى [1].

وما يمكن قوله في هذا السياق إنّ هذا الجهد الّذي بذله تمام حسان يُظهر تأثره باللسانيات وخاصة نظرية السياق لفيرث، وهو جهد ربما يزيد الأمور تعقيدا نظرا لكثرة القوانين والقرائن التي تشتملها نظريّته، ممّا يجعل الإلمام بها أمرا في غاية الصعوبة.

وعلى العموم إن الوصفيين العرب تأثروا باللسانيات الوصفية وأغرموا بها فكانوا مقلدين للغرب في ملاحظاتهم فوصفوا النحو العربي القديم بمثل ما وصف به اللسانيون الغربيون النحو التقليدي الأوروبي بأنه معياري ومتأثر بالفسفة والمنطق الأرسطي، فكان نقدهم أشبه بالدفاع عن المنهج الوصفي ووسيلة لتبرير سبب تبنيه، فلم يكن نقدا موضوعيا، والدليل على ذلك أنهم وقفوا في حدود النقد ولم يقدموا نظرية بديلة للنحو العربي القديم، فلم يتمكنوا من تكريس منهجهم حيث ظل التراث مصدرا أساسا لكثير من الكتابات الوصفية العربية التي بقيت تردد بوعي أو بدونه تصورات ومصطلحات ومفاهيم القدماء وإن بأسلوب جديد، وهو أمر يؤكّد أن نقدهم خانته الموضوعيه في كثير من جوانبه.

ثالثا: الجهود التركيبية العربية في إطارالاتجاه التوليدي التحويلي:

تناول التوليديون العرب في هذا الإطار عدة قضايا كقضية البنية السطحية والعميقة وقضية الرتبة في اللغة العربية ومن هؤلاء داوود عبده وميشال زكرياء وعبد القادر الفاسي الفهري.

1- محاولة داوود عبده:

وقد ركّز الباحث في ذلك على تجاوز سلبيات الاتّجاه الوصفي المعتمدة أساسا على الوصف، معتمدًا على التّفسير والتّحليل[2].وقدّم داوود عبدة مجموعة من البحوث التّركيبيّة حاول من خلالها استلهام بعض مفاهيم النّظريّة التّوليديّة لتحليل جوانب التّركيب في لغة الضّاد، **كقضيّة الرتبة**، ورغم أنّ أغلب الدّارسين العرب الّذين تناولوا موضوع الرُّتبة في اللّغة العربيّة، اعتبروا البنية الأصليّة للغة العربيّة هي:**"فعل(ف)+فاعل(فا)+مفعول(مف)"**، على غرار الفاسي الفهري وميشال زكريا وخليل أحمد عمايرة، فإنّ داوود عبده يرى غير ذلك، أي أنّها:**"فاعل(ف)+فعل(ف)+مفعول(مف)"** ،إنّ اعتبار الأصل في الفاعل وقوعه قبل الفعل(بصرف النّظر عن الاسم الّذي نطلقه عليه) يجعل الجمل العربيّة نوعًا واحدًا، يتألّف من مبتدأ وخبر، بدل نوعين اسميّة وفعليّة، كما أنّه يوحِّد بين بعض الظّواهر المتشابهة فوجوب وقوع المبتدأ بعد الخبر في مثل:"وصل رجل"، أو "في البيت رجل"، لا يختلف عن وجوب وقوع الفاعل بعد الفعل في مثل:"وصل رجل"، فالسّبب في الحالتين أنّ الاسم نكرة .

وينتهي داوود عبده إلى أنّ الرّأي الذي يقول بأنّ البنية الدّاخليّة للجملة الّتي تحتوي على فعل هي: "فعل+فاعل+مفعول" رأي يقوم على أسس غير ثابتة، وأنّ ثمّة أدلّة كافية لترجيح الرّأي الآخر القائل بأنّ البنية الدّاخليّة هي:"فاعل+فعل+مفعول"[3].

2- محاولة ميشال زكريّا:

يعتبر ميشال زكريّا أيضًا من المولعين بهذه النّظريّة، فقام بالتّنظير لها وتطبيقها بشكل مباشر على اللّغة العربيّة، وتناول أبرز ما جاء به تشومسكي من أفكار ومبادئ، فتحدّث عن منطلقات هذه النّظريّة ومبادئها كالقدرة" الملكة اللّسانيّة"، الإبداعيّة التّوليد، البنية العميقة والسطحيّة...ثمّ قام بتطبيقها على اللّغة العربيّة[4].

ومن المسائل الّتي عالجها ميشال زكريّا **قضيّة الرّتبة** في اللّغة العربيّة، وهو يرى أنّ النّمط:**"(فعل، ف)+(فاعل فا)+(مفعول، مف)"**، هو التّركيب الأساسي في البنية العميقة،

وتتألّف كل جملة من ركنين أساسيين هما: ركن الإسناد وركن التّكملة، ويعبّر عنه كالتّالي:

جملة ⟵ ركن الإسناد+ ركن التكملة.

---

[1] - النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، ص123.

[2] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص263.

[3] - ينظر: المرجع نفسه ، ص269.

[4] - ينظر: جهود كل من داوود عبده وميشال زكريّا في المدرسة التّوليديّة التحويليّة، حمزة أحمد الخلايفة، رسالة دكتوراه، إشراف، عبد القادر مرعي خليل، جامعة مؤتة الكرك الأردن،2013م، ص183، وينظر أيضا: دراسات في اللسانيات العربيّة، عبد الحميد مصطفى السّيّد، دار الحامد للنشروالتوزيع، عمان، ط1، 2004م، ص84.، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص269.

أمّا مسألة **البنية السّطحيّة والبنية العميقة**، فإنّ البنية العميقة ترتبط بالبنية السّطحية من خلال بعض العمليّات العقليّة، ومن خلال تحويلات للقواعد بشكل خاصٍّ، حيث إنّ المتكلِّم يمتلك نظامًا متناهيا من القواعد يساعده في توليد عدد غير متناه من البنى السّطحيّة والعميقة المترابطة بصورة وثيقة[1].

يستفاد من تحليل ميشال زكريّا لمعطيات اللّغة العربيّة مدى استفادته من معطيات النّظرية التّوليديّةوخصوصًا ما سطّره تشومسكي في نماذجه الأولى، ويبرز ذلك بشكل جليٍّ في تركيزه على عناصر التّحويل ودراسة البنية المكوّنيّة ومعالجة القواعد الأساس بما فيها قواعد إعادة الكتابة لتنظيم المعطيات التّركيبيّة[2].

3-جهود عبد القادر الفاسي الفهري:

يعد عبد القادر الفاسي الفهري أهم من يمثّل المحاولات الشموليّة في الكتابة التّوليديّة العربيّة[3]، ومن أحدث النّماذج اللّسانيّة التّوليديّة المطبّقة على اللّغة العربيّة نموذج النحو المعجمي الوظيفي[4] ونظريّة الرّبط العاملي[5]والنّظريّة الأدنويّة أو البرنامج الأدنوي"Minimalist Program" الّذي تعتبر من آخر وأهم النّماذج التّوليديّة[6]، يرتبط هذا البرنامج بمفاهيم البساطة"simplicity"، والتّقليص "reduction"، والتّقتير"parsimony"، وينظر إلى اللّغة على أنّها عبارة عن نظام حاسوبي من أجل بلوغ الكفاية التّفسيريّة[7]، وقد وظّفه الفاسي الفهري في بعض تحليلاته اللّسانيّة لقضايا اللّغة العربيّة صرفًا، تركيبًا، دلالةً ومعجمًا ويعتبر الفاسي الفهري أهم من يمثّل المحاولات الشموليّة، وذلك للاعتبارات التّالية[8]:

أولا: طرح قضايا تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللّغة العربيّة، وذلك من خلال الانخراط في مستجدّات الأسئلة الّتي يطرحها الخطاب اللّساني الحديث وخاصّة التّوليدي منه.

ثانيا:الانطلاقمن وعي إبستيمولوجي يحرّك البحث ويدفعه إلى تقديم الدّرس اللّساني بشكل عامّ، ويتمثّل في ضرورة الفصل بين صنفين من اللّسانيات: **"لسانيات ظّواهر"**، تفرز خصائص اللّسانيات الطّبيعيّة، و**"لسانيات محاور"**تُؤرّخُ لمنجزات الدّرس النّحوي القديم، بتوظيف آليات نظريّة وتحليليّة ناضجة إبستمولوجيًّا، بما يُؤَقْلِمُ المفاهيم والاستدلالات القديمة بشكل علميٍّ حديثٍ.

ثالثا:وضعه لبرنامج عمل في الخطاب اللّساني العربي يتجاوز الكلام الأيديولوجي، وتكمن الخطوط العريضة لهذا البرنامج فيما يلي:

*- بناء نماذج آليّة وحاسوبيّة لإدراك اللّغة واستعمالها، تسترشد بالنّماذج النّفسيّة في إطار إدراك آليات اكتساب اللّغة وتعلّمها.

*- التّأريخ للنّحو العربي القديم بتوظيف منهجيّة المحاور الّتي وظّفها "هيلتون"Holton".

*- استثمار نتائج اللّسانيّات في قضايا تدريس اللّغة العربيّة، غير أنّة اعترف في كتابه" **المقارنة والتخطيط في البحث اللّساني العربي**" بابتعاد الاتّجاه التّوليدي عن تحقيق الهدف المسطّر أو المفترض، قائلاً: «**إلاّ أنّه وقع التّباعد عن هذا الهدف، لمّا انشغلت الأنظمة التّوليديّة واغتنت من أجل بلوغ الكفاية الوصفيّة، موظّفة طرقًا وآليات مختلفة بالنّسبة لكلّ لغة(مع أنّ المفروض أن تكون هذه الطّرق والآليّات محدّدة ومستقلّة عن اللّغات)، وممّا زاد من تعقيد المشكل تضخّم حجم الظّواهر الجديدة الّتي تمّ اكتشافها أثناء محاولة صياغة أنظمة القواعد الكافية، وقد أدّى هذا إلى بناء عدد مهول من أنظمة القواعد(المختلفة كثيرًا عن بعضها)، ممّا جعلنا نبتعد كثيرًا عن الحل لإشكال التّعلُّم**[9]».

ومما خالف فيه الفهري تشومسكي **قضية الرتبة** في اللغة العربية، فمعلوم أنّ النّظريّة الموسّعة الّتي اقترحها تشومسكي في منتصف السّبعينات تمّ التّركيز فيها على مسألة الرّتبة الأصليّة**(فا،ف،مف)**، ويأتي اهتمام التّوليديّين المغاربة وعلى رأسهم عبد

---

[1] - ينظر: الألسنيّة التوليديّة التّحوليّة وقواعد اللّغة العربيّة(النظريّة الألسنيّة)، ميشال زكريا، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط2، 1986م، ص163.

[2] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص171-172.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص282.

[4] - ينظر: اللسانيات العربيّة الحديثة، ص222

[5] - ينظر: اللسانيات التوليديّة من النّموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص294.

[6] - ينظر:من قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات التوليديّة، ص161.

[7] - ينظر: المقارنة والتّخطيط في البحث اللساني العربي، عبد القادر الفاسي الفهري ، دار توبقال للنشر، الدّار البضاء، ط1، 1998م، ص17-18.

[8] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص282.

[9] - المقارنة والتخطيط في البحث اللّساني العربي، ص16-17.

القادر الفاسي الفهري بمسألة الرّتبة ضمن قضايا أخرى لأنّ فهم هذه الظّاهرة يشكّل مفتاحًا أو مدخلاً لفهم مجموعة من الظّواهر التّركيبيّة.

لقد انطلق روّاد المدرسة التّوليديّة التّحويليّة من أنّ كل لغات العالم تسير معظم تراكيبها في ثلاثة أطر أساسيّة هي:"SOV" أي فاعل ومفعول وفعل، و"SVO"، أي فاعل وفعل ومفعول و"VSO"، أي فعل وفاعل ومفعول أمّا التّوليديّون العرب فقد انقسموا في مسألة تحديد البنية الأصليّة للّغة العربيّة، فريق اعتبرها من نمط("VSO" فعل فاعل ومفعول)، وفريق اعتبرها من نمط("SVO" فاعل، فعل، ومفعول)[1].

لقد اتّخذ **عبد القادر الفاسي الفهري** الرّأي الأوّل مناقضًا مذهب تشومسكي[2]، مستدلاً على أنّ اللّغة العربيّة من نمط(ف،فا،مف)، أي"فعل، فاعل، مفعول"، لكنّ الملاحظ أنّ رأيه هذا قد عرف تناقضات ومراجعات واكبت تطوّر النّماذج التّوليديّة وآليات استدلالها، ويمكن أن نميّز بين ثلاثة مواقف أساسية عبّر عنها في كتبه التّالية على التوالي اللّسانيات واللغة العربية، ثم البناء الموازي، ثم المقارنة والتّخطيط[3].

أ- رتبة: فعل، فاعل، مفعول(ف، فا، مف،"VSO"):

برز هذا الموقف للفاسي الفهري في كتابه" اللّسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية"، وهي مقاربة مبنيّة على أساسيات البرنامج التّوليدي، وخاصّة النحو المعجمي الوظيفيوهذه الرّتبة توجد في الجمل الّتي تحتوي فعلاً متعدّيًا، حيث يتوسّط الفاعل بين الفعل والمفعول[4]، أمّا الجمل الاسمية الخالية من الفعل، أي الّتي يكون المسند فيها اسمًا كذلك، فإنّه يفترض فيها رابطًا مقدّرًا هو :"كان"، وهو رابط مزوّد بسمة الجهة والزّمن، والمركّب الاسمي بعده فاعل وليس مبتدأً، وهو تفسير موجود عند بعض النّحاة القدماء.

إنّ هذا الافتراض يوحّد بين الجمل الفعليّة والاسميّة، ويردّها إلى بنية عميقة واحدة، وهو ما يسمّى عنده"**الافتراض الرّابطي**"، أي أنّ الجمل الّتي لا يظهر فيها الفعل في سطح البنية جمل ذات رابطة أو رابطيّة، كالجملة:"**كان الجوّ لطيفًا**"[5].

ب - التّوسيط، التّطابق وازدواجية الرتبة:

حيث يقوم كتاب الفهري المسمّى"**البناء الموازي**" ضمنيًّا على مسلّمة التّوسيط الواحد، ومفاد هذه الفكرة أنّ اللّغات تختلف بالنّظر إلى إمكان وجود تركيب معيّن أو غيابه تبعًا للقيمة الّتي يأخذها وسيط معيّن في اللّغة إمّا موجبة أو سالبة، ويمكن التّمثيل لذلك بوسيط إسقاط "ضم"؛ فإذا أمكن أن نقول في اللّغة العربيّة"**أكلوا**"، فإنّه من غير الممكن أن نقول في اللّغة الفرنسيّة:"mangent"، دون إظهار الفاعل[6].

ويعود السّبب إلى أنّ اللّغة العربيّة يمكن **أن تستغني عن الفاعل الضّميري أو غير الضّميري**، لأنّ صرفته التّطابقيّة تسوغ ظهور مقولة فارغة وهي:"ضم"، تسدّ مسدّ الفاعل، وهذا أمر متعذّر في الفرنسيّة وكذلك الأنجليزية، وباعتماد هذا المنطلق الجديد حاول الفهري مراجعة التّصوّر الّذي أطّر عمله في كتابه:"اللّسانيات واللّغة العربية" بوجود رتبة أصليّة واحدة هي: **(ف،فا، مف)**، وبناءً عليه اعتبر الفهري في تصوّره الجديد أنّ الرتبة:**(فا، مف)**، أصليّة كذلك في المركّبات الضّميريّة، فتأويل الضّمائر يخضع لترتيب معين، هو:**(فا، مف1، مف2)**، سواء أكانت ضمائر متّصلة أو مزيجًا بين المتّصل والمنفصل، كما في الجملتين:" أعطيتنيه"،و" أعطيتني إيّاه"[7].

---

[1] - ينظر: اللسانيات التوليدية، تطور النماذج التوليديّة، مصطفى غلفان بمساعدة: امحمد الملاخ، حافظ إسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 2016م ج2، ص213، وينظر أيضًا: الاتجاه التوليدي في النحو العربي الحديث، ص66.

[2] - يرى تشومسكي أنّ الرّتبة العميقة في اللغة العربية، هي(فا، ف، مف)، مثلها مثل الأنجليزيّة، واعتبر باقي الرّتب فرعيّة عنها، ويستند تشومسكي في ذلك إلى قاعدة مقوليّة يراها صالحة لتأصيل الرتبة في جميع اللغات، ويصوغها على النحو التالي: (ج ⟵ م.س صرفة م.ف)، وبموجب هذه القاعدة ذهب تشومسكي إلى أنّ كل اللغات من نمط(فا، ف مف) بل أنكر وجود لغات من نمط آخر، ومن ذلك رتبة(ف، فا، مف)، وللاطلاع أكثر عن المسألة ينظر: تحليل نماذج تركيبية في اللغة العربية في ضوء نظرية الربط العاملي تحليل نقل الرأس، محمد أمقران، اللسانيات واللغة العربيّة بين النظرية والتطبيق، سلسلة الندوات(4)1992م، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، ص79 وما بعدها، وينظر أيضا: من قضايا اللغة العربية في اللسانيات التوليدية، 162.

[3] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص285.

[4] - ينظر: اللسانيات واللغة العربية، ج1، ص105-106، وكذلك: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص286.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص134، وينظر أيضًا: من قضايا اللغة العربية في اللسانيات التوليديّة، ص163.، وينظر كذلك: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص287.

[6] - من قضايا اللغة العربية في اللسانيات التوليديّة، ص165-166.

[7] - ينظر: البناء الموازي، ص56، وينظر أيضًا: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص292، وينظر كذلك: من قضايا اللغة العربية في اللسانيات التوليدية، ص166.

ولقد قدّم الفهري مجموعة من الاستدلالات يبرّر بها موقفه هذا وعدوله عن موقفه الأوّل الّذي ذكرناه، وعلى العموم فقد بيّن الباحث بناءً عليه أن اللّغات ثلاثة أنماط لغات ذات رتبة(فا، ف)فقط، كالإنجليزيّة والفرنسيّة والإيطالية والإسبانيّة ولها تطابق اسمي فقط، ولغات مزدوجة الرتبة، كالعربيّة ولها تطابق اسمي وغير اسمي.، ولغات ذات رتبة(ف، فا)، وليس لها تطابق اسمي، كالإرلنديّة[1].

ج - التنميط المتعدد:

لقد شكّلت مرحلة التّسعينيات من القرن العشرين مرحلة أساسيّة في تدقيق البحث في مكوّن الوسائط داخل البرنامج التّوليدي، وقد ساعدت التّغييرات الجديدة الّتي أدخلها تشومسكي على مكوّن الوسائط على ظهور مقاربات جديدة للكثير من القضايا، وفي هذا الإطار جاء كتاب الفاسي الفهري"**المعجميّة والتّوسيط**" ليقدّم تصوّرات لم يكن ليتمّ رصدها من قبل والمقاربة الجديدة المقترحة تسمح بإمكانية توسيط متعدّد القيم، بمعنى أنّ الوسيط نفسه يمكن أن يأخذ قيمًا متعدّدة داخل اللّغة في تراكيب متعدّدة[2]. وبناءً عليه اقترح الفاسي الفهري تصوّرًا تعدّديًا يفترض أنّ اللّغة الواحدة لا تختار قيمة واحدة بالنّسبة إلى الوسيط نفسه، بمعنى أنّ كل لغة يمكن أن توجد فيها لغات، بل أحيانًا جميع اللّغات[3].

وعلى العموم رغم الجهد الذي بذله التوليديون العرب في إطار النحو التوليدي ومحاولة استثماره على اللغة العربية لكن ما يميّز هذا الجهد أنه تناول قضايا جزئية ولم يكن دراسة شاملة، وفي الغالب يقدم هؤلاء اللبنات الأولى للقضايا التي يقترحونها دون إفراغها، ثم فجأة يتحولون إلى مواضيع ونماذج جديدة مصيرها يكون كسابقاتها في الغالب، ولعل الفاسي الفهري هو الوحيد الذي تميّز عمله بنوع الاستمرارية والشمول وإن شابه التناقض وبعض التراجعات كما رأينا في قضية الرتبة على سبيل المثال، كما تميّز باستثماره للتراث وإن بمصطلحات جديدة رغم ثورته ورفضه لكل قديم لغة ونحوا.

رابعا- الجهود التركيبية العربية في إطارالاتجاه الوظيفي التداولي:

سنتناول في هذا الجانب الإشارة إلى جهود الباحث المغربي أحمد المتوكل بصفة خاصة في إطار تأسيس النحو الوظيفي للغة العربية اعتمادا على أفكار الباحث اللساني الهولندي سيمون ديك في إطار نظرية النحو الوظيفي العامة

*- أحمد المتوكّل رائد عالمي لنظرية النحو الوظيفي:

يعد **أحمد المتوكل**رائدا عالميًا للاتّجاه الوظيفي التّداولي، فهو ليس مصنّفا في الإطار العربي أو المغاربي فحسب، بل العالمي أيضا، فهو رائد من رواد هذه النظرية مجتهدًا مثريًا ومطوّرًا أفكارها وتحليلاتها اللّغوية، وليس في الوطن العربي قاطبة أنموذجا يضاهي ما قدمه **أحمد المتوكّل** في وصف اللّغة العربية من وجهة وظيفيّة تداولية، حيث انتفع بنموذج **سيمون ديك** في النّحو الوظيفي الّذي يعتبره **المتوكّل** من أكثر النّماذج استجابة لشروط الّتنظير ومقتضيات النّمذجة للظّواهر اللّغوية، وقد أقام **المتوكل** ضمن الإطار النّظري لأنموج **ديك** دراسات مختلفة حول بنية النّحو في العربية فقدّم دراسة متكاملة واضحة الأصول.[4] وفي هذا السياق تكلم المتوكل على وظيفتين تركيبيتين هما الفاعل والمفعول، وسنفصل في جهوده أكثر في محاضرة الدرس الدلالي.

أما بخصوص مساهمة **الاتجاه التوفيقي** في هذا السياق فتبرز جهود عبد الرحمان الحاج صالح في تسليط الضوء على جهود النحاة العرب الأوائل أمثال الخليل وسيبويه ومن عاصرهم من النحاة الأفذاذ الذين يمثلون أصالة النحو العربي في الجانب النحوي أو التركيبي، حيث يعدّ الباحث الجزائري عبد الرّحمان الحاج صالح رحمه الله من اللّسانيين العرب القلائل الّذين يعون ويدركون ما يكتبون في هذا الإطار وممّن يفرّقون إبستيميًّا بين التّراث اللّغوي وخاصّة النّحوي وبين اللّسانيات الغربيّة الحديثة، ويدرك خصوصيات كلّ منهما، ومن مظاهر هذا الوعي التّمييز بين مستويين من **التّراث أصيل وغير أصيل** والأوّل هو ميدان البحث والدّراسة، ومن بين مظاهر الفهم للّسانيات عدم اهتمامه المفرط بأفكار دي سوسير ولا يكاد يقف عندها، رغم كونه يعتبر مؤسّس علم اللّسانيات الحديث كما فعل كثير من اللّسانيين العرب غيره، بينما نراه مثلاً يأخذ بالاعتبار ما قدّمه تشومسكي وما احتوته نظريّته ذائعة الصّيت من أفكار تتقاطع مع أفكار النحاة العرب الأوائل، عُرف عبد الرحمان

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص117.

[2] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص301، وينظر: من قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات التّوليديّة، ص174.

[3] - ينظر: من قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات التّوليديّة، ص174.

[4] - ينظر: دراسات في اللسانيات العربية، ص147.

الحاج صالح رحمه الله بجهده الدّؤوب وعمله المثابر لما يزيد عن نصف قرن، لقد سافر الحاج صالح في بداية مسيرته إلى الأزهر الشّريف، حيث درس علوم العربيّة وتعرّف على كتاب سيبويه وأُعجب بالكتاب وبصاحبه وبأستاذه، فتكوّنت بينه وبين الخليل علاقة عجيبة غريبة من الإكبار والانبهار تحوّلت إلى ندّيّة وتنافس، حيث حاول أن لا يفعل كما فعل غيره من إسهال المديح والتّقريظ للخليل، بل عمل واجتهد بكلّ ما أوتي من قوّة وعزيمة وصبر لينجز في العربيّة شيئًا ينسج على منوال الخليل، وقد وفّقه الله إلى ذلك[1]. وقد أهّلته قراءته التّجديديّة للتّراث اللّغوي لاسيما تراث سيبويه وشيوخه وتلاميذه لاستنباط نظريّة أطلق عليها اسم"**النّظريّة الخليليّة الحديثة**" التي سبق الحديث عنها وقد عالج في سياق ذلك الكثير من المسائل التركيبية كقضية العامل حد اللفظة، مستويات الكلام عند سيبويه ....[2]

[1] - ينظر: نظريّة العامل النّحوي وتعليميّة النّحو العربي مفهومه في النّظريّة الخليليّة وتطبيقه في تعليميّة النحو العربي، ص17(في الهامش)، وينظر: العامل عند عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النّحوي باللسانيات الحديثة، ص144.

[2] - ينظر: من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التّراث قراءة في النّقد اللساني عند الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح، محمد صاري،مجلة اللسانيات العربيّة، مركز الملك عبد بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربيّة،العدد:7، شوّال1439هـ ، يوليو2018م، ص79-80.

المحاضرة الثالثة عشرة(اللسانيات الدلالية):

تمهيـــــد:

المستوى الدلالي هو رابع المستويات اللسانية وهو زبدة المستويات إن صح التعبير حيث تتضافر وتتعاون المستويات الثلاثة الباقية"الصوتي والصرفي والنحوي التركيبي" في تحقيقه وبلوغ القصد من اللغة بصفة عامة وهو تحقيق الدلالة والمعنى بما يحقق التواصل بين الناس. وقد شكل البحث في الدلالة والمعنى هدفا عند الدارسين القدماء والمحدثين وميدانا خصبا يتمير باستقلالية وخصوصية كل ينظر إليه من زاويته الخاصة، وأول الدراسات الدلالية وأقدمها عند العرب كان البحث في الغريب والمجاز والوجوه والنظائر في لغة القرآن الكريم، كما أخذت دراسة المعنى والبلاغة العربية مبحثا خاصا مستقلا عن النحو كما فعل الجاحظ في كتبه المختلفة أو مزج بين البلاغة والنحو على غرار الجرجاني في نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز وأبو هلال العسكري في معجمه"التلخيص في معرفة الأشياء" المرتب بحسب أبواب المعاني وكذلك ابن جني في كتابه الخصائص معتمدا على علاقة اللفظة المفردة بدلالتها(معناها)، أما في العصر الحديث فكانت البحوث الدلالية العربية في الغالب امتدادا للتأثر بالدراسات اللسانية في مجال الدلالة، وبرز في هذا المجال إبراهيم أنيس في كتابه"دلالة الألفاظ" سنة1958م، وتمام حسان في كتابه"اللغة العربية معناها ومبناها"، وأحمد مختار عمر في كتابه"علم الدلالة" وفايز الداية في كتابه"علم الدلالة العربي"....وقد تطور البحث في الدلالة ليشمل النظرية التوليدية التحويلية وصولا إلى التداولية، وعموما لن نتناول في هذه المحاضرة النظريات الدلالية"الإشارية، والتصورية، والسلوكية، والسياقية، والتحليلية، والتوليدية" بل سنسلط الضوء على بعض الجهود العربية الحديثة في هذا المجال بعد التعريف بمصطلح اللسانيات الدلالية.

أولا: مفهوم اللسانيات الدلالية:

على غرار الحديث عن اللسانيات الصوتية واللسانيات التركيبية يتم الحديث عن اللسانيات الدلالية، وهي فرع يهتم بالبحث في دلالة ومعنى الرمز والعلامة اللغوية، ولذلك يطلق عليها أحيانا علم الدلالة أو علم المعنى ونظرا لارتباطها بالفهم فهي مجال معقد ومتشعب تسربت إليه الفلسفة وعلم النفس واختلفت الطرق والمناهج المعتمدة في مقاربتها، وقد برزت خمسة حقول أو اتجاهات أو مناهج تنظر للدلالة: المنهج الأول هو " المنهج الصوري الشكلي" حيث يعتمد على الشكل والبنية في تفسيره للغة، والمنهج الثاني:"المنهج السياقي"حيث يهتم بالسياق بأشكاله المختلفة خاصة السياق اللغوي، والمنهج الثالث هو المنهج "الموضوعي المقامي النفسي"حيث يهتم بالمقام وحال المتكلم، والمنهج الرابع هو "منهج الحقول الدلالية" حيث يبحث في القرابة الدلالية والعلائقية بين المدلولات، وأما المنهج الأخير، هو "منهج التحليل المؤلفاتي" الذي االكشف معه البنية العميقة للخطاب. لأنها جميعا تسهم في فهم دلالة الكلمات والجمل ومعانيها[1] علما أن علماء الدلالة المحدثين يقسمون الدلالة إلى[2]:

1-الدلالة المعجمية: هي الدلالة الأصلية أو المرجعية أو الأساسية وهي دلالة الجذر اللغوي وهي المعنى الثابت أو اللغوي أو المعجمي المعلوم عن أصحاب اللغة وغالبا يكون أوضح عند ورود الكلمة منفردة،

2- الدلالة الصوتية: وهي الدلالة المستمدة من طبيعة بعض الأصوات مثل قولنا:"النار خامدة وهامدة"فاختلاف الصوت الأول أدى إلى اختلاف المدلول، فالخامدة سكن لهيبها ولم تنطفئ بعد، الهامدو التي انطفأت تماما. كما يمكن اعتباردلالة الإشارات الصوتية كالنبر والتنغيم....وأثرها في المعنى قسم من هذه الدلالة.

3-الدلالة الصرفية: هي دلالة الصيغ الصرفية (قوالب الألفاظ وأوزانها)، فدلالة اسم الفاعل تختلف عن اسم المفعول مثلا كما أن هناك المثير من المعاني المستفادة من صيغ الأفعال وأوزانها مثل الصيرورة والمطاوعة والطلب.

4-الدلالة النحوية: وهي دلالة مرتبطة بموقع الكلمة في التركيب فهي الوظيفة النحوية وهو معنى أو دلالة أو وظيفة تختلف عن دلالتها منفردة، مثل وظيفة الفاعل أو المفعول أو الحال...

---

[1] - ينظر: اللسانيات العربية نشأتها تطورها آفاقها المستقبلية، ص182-183.

[2] - ينظر: علم الدلالة الحديث نشأته أنواعه مدارسه ومصطلحاته، سهام إبراهيم الزروق، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، جامعة أسطنبول آيدن، تركيا ، مج:03، ع:05، مايو2022م،، ص21-25.

5-الدلالة السياقية: وهي دلالة مرتبطة بالساق فلكل مقام مقال كما يقول البلاغيون والسياق كما في نظرية السياق"صوتي وصرفي وتركيبي ومعجمي، موقف ، ثقافي...".

6-الدلالة الاجتماعية: وهي التي تحدد المعنى المراد من خلال أخذ حياة الناس بالاعتبار وتنتقل من جيل إلى جيل وهي متداخلة جدا مع الدلالة المعجمية حيث يمكن أن تلحق بالثانية (المعجمية) كما نلاحظه في المعاجم فالكلمة يمكن أن تأخذ معاني متعددة بل ومتباعدة في بعض الأحيان نتيجة تدخل الجانب الاجتماعي فينقلها من مجال إلى مجال من ارتباطها بالحيوان مثلا إلبى الإنسان.

ثانيا: الجهود الدلالية العربية في إطار الاتجاه الوصفي البنيوي:

1-جهود إبراهيم أنيس:

من أهم الباحثين العرب المحدثين الذين خاضوا في مجال الدلالة إبراهيم أنيس في مجموعة من الكتب أهما كتاب "دلالة الألفاظ" وهو واضح من عنوانه حيث تناول الدلالة كيف نشأت وكيف تكتسب واعتبر الباحث أنها لم تنشأ من عدم بل ارتبطت بداية بالمحسوسات ثم انتقلت إلى التجريد انسجاما مع تطور العقل البشري والحياة البشرية حيث بدأ الإنسان يستنبط ويستخرج الدلالات ويولدها ثم يستعملها فيما يناسبها بعد ذلك، كما تناول التغير الدلالي وقسمه إلى خمسة حالات أو مظاهر لهذا التغير:"تخصيص الدلالة أو تضييقها""تعميم الدلالة أو توسيعها"انحطاط الدلالة""رقي الدلالة""و"تغيير مجال الاستعمال وهو المجاز"[1]كما يعد كتابه الآخر من "أسرار اللغة"من الكتب المهمة التي تناولت مباحث دلالية حيث تأثر فيه إبراهيم أنيس بعلم الدلالة عند العلماء العرب أمثال ابن جني معتبرا أن ابن جني كان يؤمن بوجود رابطة وعلاقة عقلية ومنطقية بين الأصوات والمدلولات أو رمزية الصوت عند المحدثين، وقد أكّد ابراهيم أنيس اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول فلا وجود لمثل تلك الرابطة التي تكلم عنها ابن جني[2]. كما تناول كتابه "الأصوات العربية"حيث تناول دلالة الصوت اللغوي وتأثيره في تركيب الكلام.

2- جهود تمام حسان:

من الباحثين الذين خاضوا في مسائل الدلالة تمام حسان وذلك في مجموعة من كتبه منها "مناهج البحث في اللغة"الذي صدر سنة1955م ورغم أن البحث يتناول مناهج وطرق البحث اللغوي لكنه تناول مسائل عديدة ذات صلة وثيقة بالبحث الدلالي معتمدا على المنهج الوصفي فدرس الصوت والنحو والصرف والمعجم والدلالة، وفي البابين الأخيرين نعثر على أفكار قيمة في الدلالة وبعض تطبيقاتها على اللغة العربية، وإلى جانب هذا بالكتاب ألف تمام حسان كتابين مهمين هما" اللغة معناها ومبناها" وهو كتاب يتناول علاقة المعنى بالمبنى فربط بين البنيوية والوظيفية، وكذلك كتابه"اللغة بين المعيارية والوصفية" فيه مسائل دلالية كثيرة[3].

3- جهود أحمد مختارعمر:

من الباحثين الذين اهتموا بمجال علم الدلالة أحمد مختار عمر في كتابه: " علم الدلالة" حيث يرى بأنه فرع مهم جدا من فروع علم اللغة وهذا الفرع يهتم بشكل خاص بالمعنى الذي لا ينكر أحد قيمته بالنسبة للغة حتى قال بعضهم إنه بدون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة، وعرف بعضهم اللغة بأنها معنى موضوع في صوت، معتبرا أن الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهما فقط من خلال فهم المعنى الذي يلعب دورا كبيرا في كل مستويات التحليل اللغوي بدءا من التحليل الفونيمي بل يلعب دورا كبيرا في اطبيقات كثيرة لعلم اللغة مثل طرق الاتصال وتعليم اللغة والترجمة ودراسة اكتساب اللغة[4].

ويرى أحمد مختار عمل أن قضية المعنى ليست شغل اللغويين فحسب بل اشترك في مناقشتها الفلاسفة والمناطقة والأنثروبولوجيون وعلماء النفس ودارسو الفن والأدب، وأن كتابه المذكور سيقارب الدلالة من منظور علماء اللغة بطبيعة الحال[5] وعموما فقد اشتمل كتابه على عدة مواضيع مهمة جدا في موضوع الدلالة مذكورة في الفهرس مثل: كالتعريف بعلم الدلالة، والوحدة الدلالية، أنواع المعنى وقياس المعنى، ومناهج دراسة المعنى ونظرياته كالنظرية الإشارية والنظرية التصورية

---

[1] - ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984م، ص152-167.

[2] - ينظر: من أسار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1972م، ص126.

[3] - ينظر: الجهود الدلالية عند العرب المحدثين في القرنين التاسع عشروالعشرين، نوارعبيدي، مجلة فصل الخطاب، مج: 03، ع:12، دبسمبر2015م، ص206.

[4] - علم الدلالة، أحمد مختارعمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص5.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص05.0

والنظرية السلوكية ونظرية السياق ونظرية الحقول الدلالية والنظرية التحليلية، ثم قضية تعدد المعنى ومشكلاته كالمشترك اللفظي والأضداد والترادف وتغير المعنى ومشكلات الدلالة في الترجمة[1].

4-جهود فايز الداية:

من الباحثين الذين تناولوا المستوى الدلالي الباحث السوري فايز الداية في كتابيه "علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق" وكتابه الجديد"الأسلوبية الدلالية في الأدب العربي"، وهو يرى بأن الأبحاث الدلالية عند علماء اللغة العرب بدأت في وقت مبكر جدا وقدّم البرهان على على أصالة علم الدلالة العربي لدى الباحثين العرب لغويين وفلاسفة وأصوليين وفقهاء ونقاد وأدباء بين القرنين الثالث والخامس الهجريين [2]حيث قارنها بالجهود علماء اللسانيات المحدثين الغربيين فتوصل إلى نتيجة أنها تتميز بالأصالة والعمق والتماسك وهو جهد يمكن البناء عليه في مجالات العلم والأدب والحياة العامة. وقد استخدم الباحث أدوات المنهج الأسلوبي الدلالي المعاصر مع تلقيحه بالدراسات الدلالية التراثية فنجد لديه حضورا بارزا للجرجاني وحازم القرطاجني....ويوازن الباحث بين التنظير والتطبيق الموسع للنصوص الأدبية العربية الحديثة إضافة إلى النصوص التراثية [3].

ثانيا: الجهود الدلالية العربية في إطار الاتجاه التوليدي التحويلي:

لقد أخذ الجانب الدّلالي حيّزًا من البحث التّوليدي، لكنّه **تميّز بعدم الوضوح والتّشتّت وعدم ظهور تصوّر متكامل** ويرجع **محمّد غاليم** ذلك إلى«**أنّ أغلب النّماذج التّوليديّة لم تهتم برصد ظواهر التّوليد الدّلالي، فعولجت بعض قضاياه في ملاحظات مفرّقة لا تطمح إلى بلورة تصوّر متكامل، أو في مباحث أسلوبيّة أو بلاغيّة منفصلة عن أيّة نظريّة دلاليّة واضحة**[4]» لكن اهتمامات متأخّرة بالقضايا الدّلاليّة عمومًا من جهة، وبالعلاقة بين ماهو دلالي وما هو تصوّري من جهة أخرى، كأعمال ليفين(1977م)، وميلر'1979م) وليكوف وجنسون(1980م) ونوريك(1981م)، وجاكندوف(1978م)و(1983م)، وفوكنييه (1984م)، وآخرين قد أصبحت تسمح ببلورة فرضيّات أقوى تهتمّ برصد التّراكيب الدّلاليّة بصفة عامّة والتّراكيب الدّلاليّة المولّدة بصفة خاصّة داخل أطر نظريّة واضحة[5].

إنّ الجهود المتأخّرة لتلاميذ تشومسكي **سلّطت الضّوء على مسألة التّوليد الدّلالي**، كبديل عن النّسق السّابق للغة الّذي أقامه أستاذهم تشومسكي، أثمرت نظريّة يطلق عليها اسم"**الدّلالة التّوليديّة**""generative semantics" وهي كما يرى **عادل فاخوري** لا تشكّل فقط تعديلاً للجانب الدّلالي كما يشي بذلك اسمها، بل أعادت صياغة النّموذج اللّغوي بشكل كامل، **حيث إنّ الدّلالة التّوليديّة لا تبدأ بتوليد بنية عميقة نحويّة كما ذهب تشومسكي بل بتوليد بنية دلاليّة مجرّدة تعطي التّمثيل الدّلالي، ومن ثمّ تخضع هذه البنية إلى عدّة تحويلات يتمّ خلالها إدخال مفردات المعجم إلى أن يُتَوَصَّل أخيرًا إلى البنية السّطحيّة**[6].وقد أكّدت الدّلالة التّوليديّة على جملة من الطّروحات أهمّها:

-أنّ التّركيب لا يمكنه أن يوجد في استقلال عن الدّلالة.

-أنّ مستوى البنية العميقة ليس ضروريًّا، ويمكن تعويضه بالتّمثيلات الدّلاليّة الّتي تحدّدها سلامة البناء، وتقوم التّحويلات بالرّبط بين هذه التّمثيلات والتّمثيلات السّطحيّة الّتي تخضع بدورها لشروط التّكوين السّليم.

- ما يظهر في البنية العميقة(التّمثيلات الدّلاليّة)ليس عناصر معجميّة، وإنّما هي وحدات دلاليّة، وأنّ الإدماج المعجمي نوع من التّحويلات.

- أنّ التّمثيلات الدّلاليّة ذات طبيعة صوريّة.

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص290-295.

[2] - ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1985م، ص6.

[3] - ينظر: فايز الداية، هل يوجد علم دلالة عربي؟، موجود في الإنترنيت على الرابط: https://www.alaraby.co.uk/، تاريخ التصفح2025/09/15م، الساعة17:35.

[4] - التوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، ص5(في المقدّمة).

[5] - المرجع نفسه، ص6.

[6] - ينظر: اللسانية التوليديّة والتحويليّة، ص61.

***- نظريّة الدّلالة التصنيفيّة لمازن الوعر:**

خاض الباحث السوري **مازن الوعر** في إطار البحث التوليدي ضمن **النظرية الدلالية التصنيفية** التي صاغها اللساني الأمريكي **والتر كوك**Walter Cookاستمرارا للطروحات الدلالية التي قدمت في إطار النحو التوليدي، وفرضية كوك تهدف إلى تقديم جملة من المعايير الدلالية لوصف المضمون الدلالي للتركيب .

يهدف المنهج الدّلالي التّصنيفي إلى وصف المضمون الدّلالي للتّركيب وهو منهج أعمق من المنهج المعياري الموسّع من النّاحية الدّلاليّة، وذلك لأنّ الظّاهرة الدّلاليّة من وجهة نظر أصحاب هذا لمنهج هي أعمق وأدق من البنية العميقة في المنهج المعياري الموسّع[1].

اعتمد الدكتور مازن الوعر على المبادئ النّظريّة الّتي وضعها**"ولتر كوك**""w.Cook"سنة1979م، وترمي هذه النّظريّة إلى تقديم جملة من المعايير الدّلاليّة لوصف المضمون الدّلالي، للتّركيب وهي عبارة عن نظام من الأدوار الوظيفيّة الدّلاليّة تمنح من خلال اعتبار الفعل محورًا للعمليّات الدّلاليّة، وتمكّن من معرفة أنواع الفعل من خلال الصّفات المميّزة له[2].

وفي هذا الإطار يميّز مازن الوعر بين المميّزات الدّلالية المرتبطة بالفعل، وبين الأدوار الّتي تحدث مع الاسم، والمميزات الدّلالية عموديّة وأفقيّة، وتكون العموديّة، إمّا كونية، وإمّا إجرائيّة، وإمّا حركية، فالمميّز الدلالي[+كوني] يتطلّب دورًا دلاليًّا يعبّر عنه بموضوع ثبوتي، أمّا المميّز الدلالي[+حركي]، فيطلب دورين دلاليين وظيفيين يعبر عنهما بالفاعل والموضوع، إمّا أفقيًّا فيتطلب المميّز الدّلالي[+شعوري]دورًا دلاليًّا وظيفيًّا يعبّر عنه بالمجرّب، بينما يتطلّب المميّز الدلالي[+استفادة]دورًا وظيفيًّا يعبر عنه بالمستفيد، ويتطلّب المميّز الدلالي[+مكاني]دورًا دلاليًّا وظيفيًّا يعبّر عنه بالمكان[3].

وعلى هذا الأساس تُميّز نظرية كوك عموديًّا بين ثلاثة أفعال: أفعال كونيّة وأفعال إجرائية وأفعال حركيّة، أمّا أفقيًّا فتميّز بين أربعة أفعال: أفعال أساسيّة وأفعال شعوريّة وأفعال استفادة وأفعال ظرفيّة(مكانيّة)، أمّا الأدوار الدّلاليّة الوظيفيّة المرتبطة بالاسم فهي نوعان: أدوار دلاليّة سطحيّة تحدث في البنيتين العميقة والسّطحيّة وجوبًا، وأخرى مستترة تحدث وجوبًا في البنية العميقة، واختياريًّا في البنية السّطحيّة(قد تحدث، وقد لاتحدث).

غير أنّ المتتبّع للكتابة التّوليديّة الّتي حاولت تطبيق هذا النموذج أنّها طبّقته بشكل جزئي، حيث شمل هذا التطبيق بعض الأفعال والأسماء الواردة في التراكيب الأساسيّة وليس كلّها، وقد اكتفى مازن الوعر بذكر بعض الأمثلة:

انكسر الكأس ⟵ [+ حركي].

يكسر زيد الكأس ⟵ [+ شعوري].

خوّف زيد عمرا ⟵ أفعال شعوريّة كونيّة.

يأمل زيد النّجاح ⟵ أفعال شعوريّة إجرائيّة.

قال زيد الحقيقة ⟵ أفعال شعوريّة حركيّة[4].

وقد وقف مازن الوعر عند الإشارة للأدوار الدّلاليّة والوظيفيّة والعلاقات الإعرابيّة الّتي تحملها في المتوالية النّهائيّة داخل الشجرة، للجملة: أيُّهم مَرَّ زَيْدٌبِهِ ؟كما في الشّكل التالي[5]:

---

[1] - نحو نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللغة العربيّة، : مازن الوعر، طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، ط1، 1987م، ص75، وينظر: دراسات نحويّة ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، مازن الوعر، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2001م، ص142. وينظر: الجهود اللسانية عند مازن الوعر عامربن شتوح، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد المجيد عيساني، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر،2013م/2014م، ص61.

[2] - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص274، وينظر: اللسانيات العربية الحديثة، ص219.

[3] - اللسانيات العربيّة الحديثة، ص220، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص274-275.

[4] - المرجع نفسه، ص220.

[5] - نحو نظرية لسانيّة عربية حديثة لتحليل التّراكيب الأساسيّة في اللغة العربيّة، ص194، وينظر: اللسانيات العربيّة الحديثة، ص221.

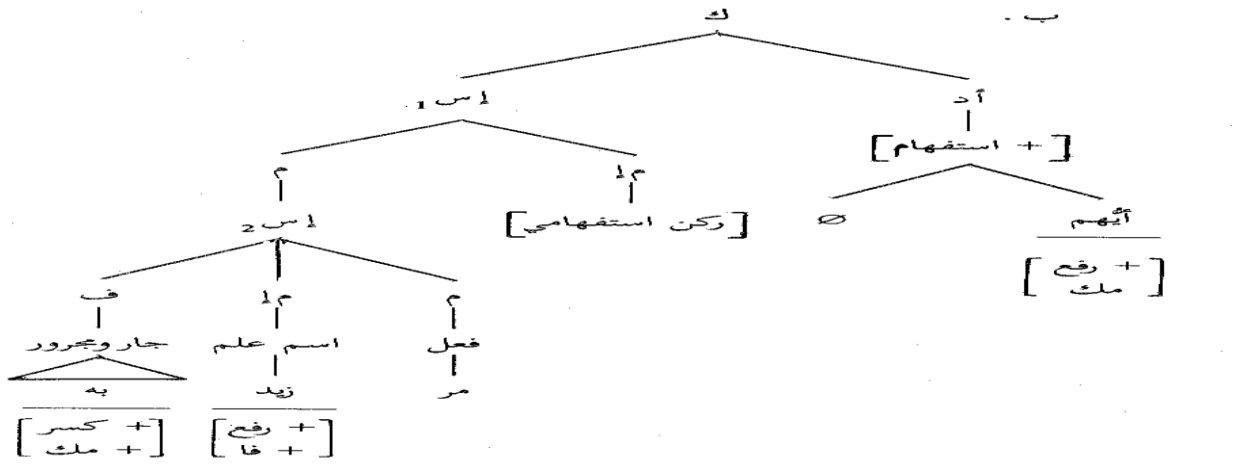

ويعلن مازن الوعر أنّه سيصف البنية العميقة(المقدّرة)للتّراكيب العربيّة مستخدمًا الأدوار الدّلاليّة الّتي اقترحها كوك في منهجه الدّلالي التّصنيفي، وهي: فاعل(فا)، مجرّب(مج)، مستفيد(مس)، مكان(مك) موضوع(مو)، بالإضافة إلى استخدامه الحركات الإعرابيّة: نصب، رفع، جر، كما عالج الوعر في إطار هذا التّصوُّر قضيّة التقديم والتّأخير في التّراكيب العربيّة(الفعليّة الاسمية، الكونيّة)، وعلى العموم فإنّ المتتبّع لتحليلات الوعر يلاحظ أنّه حاول أن يوائم بين الكثير من جوانب نظريّة "ولتركوك" وبين معطيات اللّغة العربيّة غير أنّ بعض عناصر التّحليل، مثل(الحذف، الزّيادة...) غابت عن تحليلاته[1].

أمّا بالنّسبة **للباحثين المغاربة**، فإنّ حظّهم كان أوفر واهتمامهم كان أشد وأعمق بالجانب الدّلالي التّوليدي، وبرز باحثون متميّزون في هذا المجال، **ولقد كان للفاسي الفهري** حديث عن هذا الجانب في إطار تطرُّقه للجوانب التّركيبيّة والمعجميّة الّتي طغت على كتاباته التّوليديّة، لقد انخرط عبد القادر الفاسي الفهري عبر مشاريعه العلميّة في بناء صياغات دقيقة لجميع مستويات الدّرس اللّساني(صرفًا، تركيبًا، معجمًا، ودلالة)، بل عمد إلى طرق مستحدثة مواكبة للتطوّرات العلميّة من قبيل حوسبة اللّغة والتّوظيف الحاسوبي لها والتّخطيط اللّغوي، وقد قدّم مع ثلّة من الباحثين في تخصّصات مختلفة نظامَ محلّلٍ آليٍّ صرفيٍّ وتركيبيٍّ ودلاليٍّ، ونظامَ توليدٍ آليٍّ صرفيٍّ وتركيبيٍّ ودلاليٍّ، كما أسهمت أعماله في الدّفع بصياغة نماذج واصفة للّغة العربيّة على وفق الأسئلة الجوهريّة الّتي عرضها، والمعطيات الّتي تصدّى لها بالتّفسير والتّحليل فكانت نتائج هذه الأعمال والممارسات التّنظيريّة صرحًا واصفًا للغة العربيّة يتجاوز التّراكم الظّاهر إلى استشراف الكشف عن النّسق الثّاوي وراءه[2].

ولعلّ نموذج المبادئ والوسائطPrinciplas and parameters الذي اقترحه تشومسكي سنة(1981م) في إطار نظريّة الرّبط العاملي يمثّل الصورة المتقدّمة للبرنامج التّوليدي في الخمسينيات، والّذي قدّم أجوبة حول إشكالات التّعلّم والحوسبة، فإنّه لبّى عددًا من المتطلّبات العصريّة للنظريّات، ومن أبرز ما تميّز به طابعه القالبيmodular، فعلاوة على أسسه الفلسفيّة التّصوّريّة والمنهجيّة، وبرنامجه الإبستمولوجي يمتاز النّموذج بمحتوى نظريّاته الفرعيّة أو قالبه، وهذه الأخيرة تتميّز بالمرونة الكافية لصياغة المبادئ والضّوابط الوصفيّة والنّظريّة، بل إنّها تتّسع لمقترحات مختلفة داخل نفس الأنموذج[3].

ولا يخفى على المتتبّع لتطوّرات النّظريّة التّوليديّة أنّها تشتغل حاليًّا على **برنامج الحد الأدنى** minimalist program، والّذي يسعى إلى بلوغ التّفسيريّة من طريق **الأدنويّة**، بوصفها نهجًا نظريًّا يسعى لأن يقوم بتغطية أكبر عدد من الوقائع والتّجارب، عبر استنتاجات منطقيّة مرتبطة بعدد قليل من الافتراضات والمسلّمات، بمعنى أنّ أي خطوات زائدة أو إسقاطات أو رموز أو وظائف أو تمثيلات، ليست ذات ضرورة للرّبط الأمثل بين الصّوت والمعنى غير المرغوب فيها، وقد سعى عبد القادر الفاسي الفهري إلى استلهام هذا البرنامج والتّعريف به، ومحاولة تطبيقه على اللّغة العربيّة وذلك في كتابه المقارنة والتّخطيط، وكذلك في كتاب ذرّات اللّغة وهندستها دراسة استكشافية أدنويّة[4].

---

[1] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص277-281.

[2] - االلسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص284.

[3] - ينظر: البناء الموازي، ص19، وينظر: التّفكير الدّلالي في الدّرس اللساني العربي الحديث، ص213-214.

[4] - ينظر: التفكير الدّلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص214، وينظر: ذرات اللغة وهندستها دراسة استكشافية أدنويّة، ص7.

وعمومًا فبرنامج الفاسي الفهري لمعالجة الجانب الدّلالي للّغة العربيّة يندرج ضمن نظريّة شاملة ومشروع متكامل للسانيات العربيّة، والّتي يقسّمها الدّارسون إلى[1]:

- قسم يتعلّق ببناء أوصاف دلاليّة ذات أسس نظريّة واضحة، وذلك في ضوء مستويين مترابطين، مستوى التّركيب الدّلالي ومستوى الدّلالة المعجميّة، بما في ذلك دراسة الأوّاليات الدّلالية الّتي تقوم عليها بنية المفردات في المعجم العربي والوقوف على الاطّرادات الدّلالية الّتي تنظّمه.

- قسم يتعلّق بمحاولة تسجيل تاريخ التّطوّرات الدّلالية عند العرب القدماء في إطار الإسهام في بناء نظريّة تؤرّخ للفكر اللّغوي العربي بعيدًا عن الإسقاطات الظّرفيّة يتبنّى منهجيّة المحاور، والنّفاذ إلى الأفكار الدّالة في الفكر العربي اللّغوي والمبادئ الموجّهة للبحث في اللّغة عند العربي.

ومن هنا يمكن القول بأنّ النّظريّة الدّلالية عند الفاسي الفهري تعتمد على تكييف معطيات النّظريّة التّوليديّة الغربيّة بما يتماشى وخصائص اللّغة العربيّة، وهذا العمل من شأنه أن يسهم في تطوير النظريّة التّوليديّة نفسها.[2]

وإذا كان الفاسي الفهري طغى عنده الجانب التّركيبي المعجمي(النّحو المعجمي الوظيفي)فإن بعض تلاميذه تخصّصوا في هذا الجانب الدّلالي بالذّات ومن هؤلاء **محمد غاليم** في كتبه، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم عن دار توبقال للنّشر(1987م) والنّظريّة اللّسانية والدّلاليّة العربيّة المقارنة مبادئ وتحاليل جديدة عن دار توبقال للنّشر (2007م) وكذلك قام بالمساهمة في ترجمة بعض الكتب الغربيّة في هذا التخصّص، مثل كتاب:"دلالة اللّغة وتصميمها" لـ" ر.جاكندوف، و:ن. تشومسكي، و: ر. فندلر، رفقة: **محمّد الرّحّالي وعبد المجيد جحفة**، ومن **الباحثين المغاربة البارزين** في هذا المجال كذلك **عبد المجيد جحفة** في مجموعة من الكتب والأبحاث، مثل كتاب:"دلالة الزّمن في العربيّة دراسة النّسق الزّمني للأفعال" عن دار توبقال للنشر، وكذلك كتاب"مدخل إلى الدّلالة الحديثة" عن دار توبقال كذلك وبحث بعنوان:"المركّب الاسمي والجهة"، بالإضافة إلى مشاركته في ترجمة الكتاب المذكور ، وكذلك **شوطا عبد اللّطيف** في بحث بعنوان:"تناظر الأوضاع وطبقات الأسماء".

ومن المسائل الّتي عالجها الباحثون المغاربة في هذا الجانب موضوع " **التّبئير**"الّذي اهتمّ به عبد القادر الفاسي الفهري بشكل خاص، ذلك أنّه إلى جانب كونه يمثّل مسألة تركيبيّة من ناحية، فهو عبارة عن تقديم وتأخير في البنية(حركة أفقيّة)، كما أنّه يلعب دورًا مهمًّا من النّاحية الدّلاليّة، ذلك أنّ كلّ حركة في التّركيب ينتج عنها انزياح أو تغيُّر في الدّلالة وبالتّالي يمكن القول بأنّ التّبئير ذو شقّين، تركيبي بحكم أنّه تغيُّر في مواضع العناصر اللّغويّة من جهة، ومن جهة أخرى أنّ ذلك التّغيّر لا يكون اعتباطيًّا، بل ينتج عنه تغيّر في الدّلالة، يقول الفهري:«**التّبئير "Focalisation" كما يسمّه البعض، أو الموضعة"Topicalisation" كما يقول بعض آخر، عمليّة صوريّة يتمُّ من خلالها نقل مقولة كبرى كالمركّبات الاسميّة أو الحرفيّة أو الوصفيّة...إلخ، من مكان داخلي(أي داخل ج)، إلى مكان خارجي(أي خارج ج)**[3]».

إن هذه الحركة لا تكون عفويّة فهي محكومة بشروط وضوابط أو قيود هي[4]:

- قيود على المكان المصدر؛ أي المكان الّذي تنطلق منه المقولة المنقولة، - قيود على المكان الهدف- قيود على ميدان التّحويل - قيود على صورة التّحويل،- قيود على خرج التّحويل؛ أي البنية النّاتجة عن تطبيق التّحويلSutput Structure). ومن المسائل الّتي تكلّم عنها الدّكتور **محمّد غاليم** في كتابه التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم مسألة:

*- **التّوليد الدّلالي عند القدماء**: يرى **محمّد غاليم** أن اللّغويّين العرب القدامى تعرّضوا لمسألة التّوليد الدّلالي وتعدّد الدّلالة الّذي تجاوز نطاق الدّراسات القرآنيّة وإن ظلّ وثيق الصّلة بها، ليهتمّ به فقهاء اللّغة في أبواب المشترك اللّفظي والأضداد والمجاز، والأصوليّون في مقدّماتهم اللّغويّة، والبلاغيّون في أبواب البيان خاصّة.

وإن انطلقنا من هؤلاء جميعًا، فإنّهم اتّفقوا على تقسيم وجوه العلاقة بين اللّفظ والمعنى إلى ثلاثة أقسام هي[5]:

- اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين.

---

[1] - ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث ، ص216-217.

[2] - ينظر: المرجع نفسه ، ص225-226.

[3] - اللسانيات واللغة العربيّة، ج1، ص114.

[4] - للاطّلاع أكثرعلى المسألة، ينظر: المرجع نفسه، ص115-123.

[5] - التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، ص13.

- اختلاف اللفظين والمعنى الواحد.

- اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين.

لقد فصّل الباحث في هذه المسائل مستفيضاً في شرح المشترك اللّفظي، بناءً على تحليلات اللّغويّين القدامى، كابن يعيش والسّكّاكي وأبي حسن البصري وابن جني.

فاختلاف اللّفظين واختلاف المعنيين في نظر أبي على الفارسي مثلا ينبغي ألاّ يكون قصدًا في الوضع ولا أصلاً، ولكنّة من لغات تداخلت، ومن أمثلته"**الألفت**"، وتعني الأحمق في لغة قيس، والأعسر في لغة تميم، وكذلك لفظ" **السّليط**" وتعني الزّيت عند عامّة العرب ودهن السّم عند أهل اليمن.

وعن النّقل المجازي يتحدّث أبو علي الفارسي" بأن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثمّ تُستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل، فالهلال، هلال السّماء، فقد يعني "حديدة الصّيد"، و"قلامة الظّفر"، لتشابههما معه في الشّكل[1].

وتحدّث عن موضوع الأضداد، ويكون من خلال التّداخل كلفظ"الدّفّة"، فتعني الظّلمة في لغة تميم والضّوء في لغة قيس ويكون كذلك من خلال الاتّساع في المعنى، حيث حاول ابن الأنباري تعليل قسم من الأضداد بالتّغيّر والاتّساع الّذي يلحق المعنى المركزي المشترك بين اللّفظين، فيكون الأصل في المعنيين المتضادّين لمعنى واحد ، ثمّ تداخل الاثنان على جهة الاتّساع، فمن ذلك الصّريم، تُقال للّيل والنّهار، لأنّ اللّيل ينصرم من النّهار والنّهار ينصرم من اللّيل[2].

وتحدّث **محمّد غاليم** عن المجاز، والّذي يعني استعمال اللّفظ في غير معناه الوضعي، وقد عبّر البيانيّون عن طرفي النّقل المجازي بمفهوم: الحقيقة والمجاز، وهما مفهومان مرتبطان بمفهوم الاستعمال، ذلك أنّ اللّفظ قبل الاستعمال لا يتّصف بكونه حقيقة، ولا بكونه مجازًا لخروجه عن حدّ كلّ منهما[3].

وعمومًا يقول محمّد غاليم أنّ القدماء لاحظوا كثيرًا من الظّواهر المتعلّقة بالتّغيّر الدّلالي، وجرّدوا مجموعة من العلاقات الرّابطة بين المعنى المنقول والمنقول عنه، لكنّهم اختلفوا في حصرها، وفي تحديد بعضها، لذا نراهم يشيرون إلى عموميّة العلاقات المجازيّة مثلاً، وإلى أنّ العبرة بأنواعها لا بأشخاصها، إذ يكفي أن تتوفّر العلاقة ليصحّ التّجوُّز[4].

إنّ العلاقات المجازيّة الّتي جرّدها القدماء، قد ظلّت على مستوى الملاحظة **لا تظهر قيمتها الإجرائيّة في رصد العلاقات الدّلاليّة المعجميّة، وآليّات التّوليد الدّلالي بكيفية واضحة**، ويرجع ذلك **إلى عدم صياغتها في إطار نظريّة الدّلالة المعجميّة** وهو ما ترتّب عن غياب تصوّر نسقي للمعجم يمكنه أن يُعطِي لمثل هذه العلاقات معناها داخل بنية نظريّة محدّدة، وختَم محمّد غاليم حديثه هذا بتقديم مخطّط توضيحي للعلاقة بين اللّفظ والمعنى اعتمادًا على تحليل القدماء للمسألة[5]:

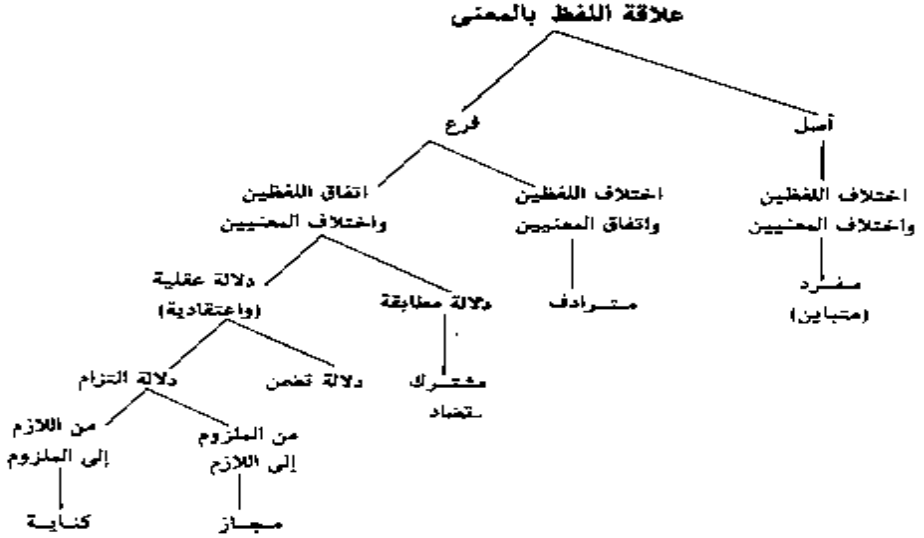

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص15.

[2] - ينظر: التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، ص17.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص19.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص32.

[5] - المرجع نفسه، ص33.

رابعا: الجهود الدلالية العربية في إطارالاتجاه الوظيفي التداولي:

لم تعرف الثّقافة العربيّة الحديثة أيّ اهتمام حقيقي بالدّراسات التّداوليّة العصريّة وبهذا يمكن اعتبارها نادرة وشبه منعدمة، غير أنّه لا يمكن نكران ما ما قدّمه أحد المفكّرين الأوائل الّذين حاولوا التّعريف بالفكر التّداولي وتطبيقه في بعض مناحي الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، ومن هؤلاء **طه عبد الرّحمان**[1]، **أحمد المتوكّل الذي سبق أن تناولنا جهوده في إطار نظرية النحو الوظيفي التي تمزج بين النحو فهناك وظيفتان تركيبيتان هما"وظيفة الفاعل ووظيفة المفعول" والوظائف الدلالية وتدخل فيس مجال اللسانيات الدلالية كوظيفة"المنفذ والمتقبِّل والمستقبل والمستفيد والزمان والمكان والأداة" والوظائف التداولية وهي أهم ميزة في النحو الوظيفة، حيث تشمل خمس وظائف وظيفتان داخليتان هما"البؤرة والمحور" وثلاث وظائف خارجية هي"المبتدأ والذيل والمنادى" وقد سبق الإشارة إليها**، كما يجب نذكّر بالمحاولة العربيّة البكر، ونعني بها محاولة **تمام حسّان** في إطار نظريّة المعنى، واقترابه كثيرًا من هذا الاتّجاه بمفهومه الجديد حيث يعد كتابه مزيجا بين البنية والوظيفة وقد حاول أن يمزج بين النحو والمعنى ملامسا بذلك نظرية النظم للجرجاني ومتّأثر بأستاذه جون فيرث صاحب نظرية السياق المعروفة وقد سبق الإشارة إلى هذه المسألة.

1- جهود طه عبد الرّحمان:

هو فيلسوف اللغة وأستاذ المنطق وفلسفة اللّغة الباحث المغربي طه عبد الرّحمان الّذي اهتمّ بالقضايا التّداوليّة من وجهة نظر منطقيّة وفلسفيّة، مستمدًّا وسائلة النّظريّة والمنهجيّة من علمين حقّقا نتائج باهرة هما: اللّسانيات والمنطق، وقد قسّم اللّسانيات إلى ثلاثة أصناف[2]:

أ- الدّاليات: وتختصّ بوصف ومحاولة تفسير الدّال الطّبيعي في نطقه وصوره وعلاقاته، وهي تشمل الصّوتيات والصّرف والتّركيب.

ب- الدّلاليات: وتختصّ بوصف ومحاولة تفسير العلاقات بين الدّوال الطّبيعيّة ومدلولاتها كصور ذهنيّة أو ظاهرة.

ج- التّداوليات: وتختصّ بوصف ومحاولة تفسير العلاقات الّتي تجمع بين الدّوال الطّبيعيّة ومدلولاتها وبين الدّالين بها.

يعتبر **طه عبد الرّحمان** من المنادين بضرورة اعتماد اللّسان على المنطق بشكل مدروس غير آلي ولا الانغلاق داخل نسق صوري، بل لابدّ من التّطبيق المحكم والتّوسيع لمجال المنطق نفسه بتطوير أساليبه وأدواته، ليتناسب مع طبيعة اللّسان المنطوق الدّاليّة والدّلالية والتّداوليّة[3]. وهو أوّل من اقترح مصطلح التّداوليّة كمقابل لـ Pragmatique، وقد تبنّاه **أحمد المتوكّل**واستعمله، فلقي استحسان المختصّين الّذين تداولوه في محاضراتهم وكتاباتهم[4]،كما وضع مصطلحات جديدة معتمدًا على إستراتيجيّة قائمة على التّأصيل متجاوزًا الآلية المعتمدة في ترجمة الأفكار والنّظريّات، مستثمرًا فكر علماء الإسلام في البحث التّداولي، ولقد دعا إلى التّرجمة التّأصيلية واعتمادها كمنهج عمل، وظهرت إيجابياتها في تذليل وتسهيل كثير من إشكالات التّرجمة إلى اللّغة العربيّة، وأنّ انتشار الكثير من مصطلحاته وجريانها على اللّسان واستحسانها، ما هو إلاّ دليل على ضرورة الاعتماد على هذا النّوع من التّرجمة والعمل به[5].

وكان له آراء لافتة في مجال التّداوليّة فتحدّث عن الحجاج وربطه بالتّواصل كما أشرنا سابقًا، وكان له مواقف معارضه لنظرية الأفعال الكلاميّة **لغرايس وسيرل** معتبرًا أنّهما قد قاما بتحليل الأفعال البسيطة، ولم يشتغلا أو يهتمّا بالأفعال المركّبة واعتبر أنّ الباحثين"**فان إيمرن**"و"**خروتندوف**" أدركا هذا الخلل، **فقاما بتوسيع هذه النّظريّة حتى تشمل الأفعال المركّبة والحجاج أيضًا**[6].

---

[1] - ينظر: اللسانيات العربية الحديثة، ص249.

[2] - ينظر: اللسانيات العربيّة الحديثة، ص249.

[3] - ينظر: المنطق والنّحو الصّوري، طه عبد الرّحمان، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط1، 1983م، ص7(في المقدّمة).

[4] - تجلّيات مفاهيم التّداوليّة في التّراث العربي، ص32 .

[5] - ينظر: المنطق التّداولي عند طه عبد الرحمان وتطبيقاته ، ص287-292.

[6] - ينظر: التّواصل والحجاج، ص12-13.

2- جهود أحمد المتوكل:

في إطار النّحو الوظيفي قام **المتوكل** في كتاباته العديدة بمحاولة وصف وتفسير كثير من قضايا اللّغة العربية منظورًا إليها من وجهة النّحو الوظيفي سواء بالقياس للفكر اللّغوي العربي القديم أو بالقياس للتّحاليل اللّسانية الحديثة، ويمكن تقسيم ما قدمه المتوكل من تحليلات إلى ثلاثة أنواع:(-**تحليلات معجمية-تحليلات تركيبية -تحليلات تداولية).**[1]

***-الوظائف التداولية:**اهتمّ المشروع الوظيفي **لأحمد المتوكّل** أساسًا بالوظائف التّداوليّة، وهي الميزة الّتي تميّز النّحو الوظيفي عن غيره من الأنحاء الأخرى، وحصر **سيمون ديك** الوظائف التداوليّة في أربع هي: **المبتدأ، والذّيل، والبؤرة والمحور**، وأضاف **المتوكّل** إلى هذه الوظائف وظيفة خامسة هي وظيفة المنادى، وذلك لأهمّية هذا العنصر في جميع اللّغات الطّبيعيّة ولغنى خصائصه في بعضها على غرار اللّغة العربيّة[2].وتتميّز الوظائف التّداولية بكونها علاقات تقوم بين مكوّنات الجملة، انطلاقًا من البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام.

وتقسّم هذه الوظائف في النّحو الوظيفي إلى نوعين من الوظائف:[3]

-**وظائف داخليّة:** وهي البؤرة، والمحور.

-**وظائف خارجيّة:** وهي المبتدأ، والذّيل. والمنادى.

وترى **نعيمة الزّهري** أنّ مهمّة الوظائف التّداولية، تكمن في تحديد الوضع التّخابري للمكوّنات داخل المحيط التّواصلي الّذي تستكمل فيه، ويتشكّل الموقف التّواصلي من الخلفية الإخباريّة لدى المتكلّم والمخاطب والخلفية الاجتماعيّة الثّقافيّة الّتي تحكم عمليّتي الإنتاج والفهم، **ويشكّل الكل ما أسماه سيمون ديك بـ: (المعلومات التّداوليّة)، الّتي تضمن مكوّنات ثلاثة**[4]:

-**المعلومات العامّة** المتعلّقة بطرفي الخطاب.

- **المعلومات المقاميّة** المرتبطة بالموقف التّواصلي.

- **المعلومات السّياقية** المتعلّقة بالعبارات اللّغويّة أثناء عمليّة التّواصل.

ويمكن الحديث باختصار عن الوظائف التّداوليّة الأربعة المذكورة الّتي اقترحها سيمون ديك، يضاف إليها الوظيفة الخامسة(المنادي) الّتي أضافها أحمد المتوكّل:

أ- **المبتدأ**: وهو وظيفة خارجيّة يدلّ على مجال الخطاب الّذي يعدّ الحمل الموالي واردًا بالنسبة إليه، كقولنا:

زيد ، قرأت كتابه.

ب- **الذّيل**: وهو وظيفة خارجيّة وهو المكوّن الّذي يوضّح أو يعدّل معلومة أو يصحّحها واردة في الحمل، كما في قولنا:

قرأت كتابه، **زيد.**

ج- **البؤرة:** وهي وظيفة داخليّة وتسند إلى المكوّن الحامل للمعلومات الأكثر أهمّية أو الأكثر بروزًا في الجملة، بحسب مقترح ديك 1978م، كقولنا:

البارحةأتممت كتابة المقال(لا اليوم).

د- **المحور:** وهو وظيفة داخليّة وتسند إلى المكوّن الدّال على الذّات الّتي تشكّل محط الحديث داخل الحمل، كقولنا:

متى أتممت **المقالة؟**

هـ- **المنادى:** وهو وظيفة خارجيّة وتسند إلى المكوّن الدّال على الكائن المنادى في مقام معيّن، كقولنا:

يا خالد، لا تخاصم أخاك.

---

[1] - ينظر: اللسانيات العربية الحديثة، ص268- 272.

[2] - ينظر: الوظائف التداوليّة في اللغة العربية، ص160.، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص362.، وينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث ص 314-315.

[3] - ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص301، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص352.

[4] - التّفكير الدّلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، ص301، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص395.

خامسا: الجهود الدلالية العربية في إطارالاتجاه التوفيقي التجسيري:

1-جهود النظرية الخليلية الحديثة لعبد الرحمان الحاج صالح:

سبق أن تناولنا النظرية الخليلية الحديثة في محاضرةخاصة تناولنا فيها التعريف بهذه النظرية لصاحبها الباحث الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح كما تناولنا مفاهيمها الأساسية، وإن المتعمق في فهم هذه النظرية يدرك أنها قد عاجت مسائل ذات صلة مباشرة بل تدخل في صميم الدلالة وعلم الدلالة الدلالة مثل[1]:

-مفهوم الاستقامة من الكلام والإحالة وما يترتب عن ذلك من التفريق المطلق بين ما يرجع إلى اللفظ وما يرجع إلى المعنى.

- مفهوم الانفراد في التحليل وما يتفرع عنه والحديث عن اللفظة كمفهوم جديد، وما ينفصل ويبتدئ وما ينفصل ولا يبتدئ.

- مفهوم اللفظ وعلاقته بالعامل .

- مفهوم الأصل والفرع

وكلها مفاهيم ومسائل في صميم علم الدلالة.

*- تأسيس مشروع الذّخيرة العربيّة:

مشروع الذخيرة العربية هو مشروع هام دعا إليه عبد الرحمان الحاج صالح والذّخيرة هي عبارة عن بنك معلومات آلي هدفه الأساس تمكين الباحثين والدّارسين من العثور على معلومات شتّى من واقع استعمال اللّغة العربيّة بكيفية آلية وفي وقت وجيز، وهذا البنك يتضمّن أمّهات الكتب التّراثيّة والعلميّة والتّقنيّة وغيرها، وعلى الإنتاج الفكري العربي الحديث والمعاصر في أهم صوره، إضافة إلى عدد كبير من الخطابات والمحاورات العفويّة بالفصحى في شتّى الميادين، ولذلك فهو بالأساس بنك نصوص لا مفردات مستقلّة، ولكن طبيعته الألية الحاسوبية تمكّن من تفكيكه إلى مفردات وأصوات...إلخ حسب السّياقات النصيّة وهو سر تميّزه، وسينتج عن هذا البنك المسمّى عند المهندسين بقاعدة المعطيات النصيّة العديد من المعاجم نذكر منها[2]:

أ: **المعجم الآلي الجامع لألفاظ العربيّة المستعملة:** ويحتوي جميع المفردات العربيّة المخزّنة في النّصوص القديمة والحديثة تحدّد فيه معاني كل مفردة باستخراج هذه المعاني من السّياقات الّتي ظهرت فيها.

ب- **المعجم الآلي للمصطلحات العلميّة والتّقنية المستعملة بالفعل:** وتكون المصطلحات إلى جانب العربية باللّغة الإنجليزيّة والفرنسية.

ج- **المعجم التّاريخي للّغة العربيّة.**

د- **معجم الألفاظ الحضاريّة(القديمة والحديثة).**

هـ- **معجم الأعلام الجغر افية.**

و- **معجم الألفاظ الدّخيلة والمولّدة.**

ز- **معجم الألفاظ المتجانسة والمترادفة والمشتركة والأضداد.**

والذّخيرة قابلة لأن يضاف إليها معاجم ومعلومات جديدة أو كتب قديمة أو جديدة، كما ينبّه الحاج صالح إلى أن ألفاظ الذّخيرة هي الّتي استعملت بالفعل، وليست الموجودة في المعاجم والقواميس، وما لم يرد في نصّ يشار إليه حتّى يُعرف.

2-جهود محمّد الأخضر غزال في مشروع معجم الرصيد اللغوي:

هو الباحث **المغربي أو عميد اللّغويين المغاربة والملقّب بأبي الهندسة اللّغويّة العربيّة محمّد الأخضر غزال رحمه الله** لقد كان الأخضر غزال عضوًا في أكاديميّة المملكة المغربيّة منذ تأسيسها سنة1977م وله إسهامات فعّالة في إعداد أجيال من الباحثين اللّغويين المغاربة لمّا كان مشرفًا على معهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب الّذي سيّره لمدّة قاربت الثّلاثين(30)عامًا وهؤلاء يشكّلون اليوم مدرسة مغربيّة عربيّة متميّزة[3].

ولقد اشتهر الأخضر غزال بشكل خاص بعمله الخالد **في مجال إصلاح الطّباعة العربيّة، وإدخال الحرف العربي في الإعلاميات والحاسوب، وقد نال براءة اختراع في ذلك، تبنت المنظّمة العربيّة للتّربيّة والعلوم والثّقافة (الألسكو) عمله**

---

[1] - ينظر: الجهود الدلالية عند العرب المحدثين في القرنين التاسع عشروالعشرين، ص207.

[2] - ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيية، ج1، ص397-398.

[3] - ينظر: نظريّة العامل النّحوي وتعليميّة النّحو العربي مفهومه في النّظريّة الخليليّة وتطبيقه في تعليميّة النحو العربي، ص14(في الهامش).

بوصفه الشّفرة العربيّة الموحّدة المستعملة في الكتابة الحاسوبيّة، قام بأعمال علميّة ميدانيّة لحصر الرّصيد اللّغوي لدى أطفال بلدان المغرب العربي الرّئيسيّة المغرب والجزائر وتونس المعروف بـ"**معجم الرّصيد اللّغوي**"، وهو معجم يضمّ كلّ الألفاظ العربيّة الّتي يمتلكها أطفال الدّول المغاربيّة قبل أن يدخلوا إلى المدرسة، وذلك من شأنه أن يمكّن القائمين على المناهج من إعداد مناهج التّعليم على أساس علمي، ولقد كان **لعبد الرحمان الحاج صالح** شرف الاشتراك في هذا العمل الهادف، وكذلك الباحث اللّغوي **التّونسي محمّد العابد**، لكن هذا المشروع النبيل والمهم والهادف ظلّ يتيمًا في الوطن العربي، ولم يطبّق بشكل مناسب ولم يُعمل به رغم أهمّيته[1]، حتّى في دول المغرب العربي نفسها، وتجدر الإشارة إلى أنّ الباحث **الأخضر غزل**، ورغم العمل الّذي قام به لم ينل الاهتمام اللاّزم واالشّهرة الكافية بل إنّ أعماله بقيت مفقودة ويصعب الحصول عليها، إلاّ بعض المعلومات اليسيرة على الإنترنيت.

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص14.

المحاضرة الرابعة عشرة:(اللسانيات العربية والمشكلات اللغوية)

تمهيـــــد:

لقد ورث العرب تراثا لغويا ضخما يعبر عن عقلية عربية وإسلامية فذة أبدعت إبداعا في البحث اللغوي قل نظيره بل لا نظير له كما يذهب كثير من الباحثين، تحركها في ذلك عوامل دينية وسياسية واجتماعية وقومية وتعليمية، وإذا كان العربي قديما شديد الصلة بلغته لا يجد صعوبة بخصوصها وأن المحرك الأساس للبحث في اللغة وقوانينها كان لغاية دينية تهدف بشكل خاص إلى مساعدة المسلمين من الأعاجم للتعامل مع النص القرآن بسبب الصعوبات التي واجهوها في هذا الخصوص غير أنه بمرور الزمن أصبح حاجة عامة فأصبح العرب أنفسهم يحتاجون إلى هذه القواعد والعلوم لتعلم اللغة لضعف السليقة واختلاط الألسن بسبب اتساع رقعة دولة الإسلام، وبمرور الزمن تعدت الدراسة اللغوية الغاية التعليمية إلى المسلك العلمي الذي يبحث في اللغة من أجل ذاتها، إن هذا التراث يتفاوت من حيث القيمة والجودة فهناك تراث وتراث كما يقول الباحث الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح، وفي العصر الحديث تغيرت الظروف وضعفت السليقة أكثر وتغيرت النظرة إلى التراث اللغوي العربي تغيرا جذريا وأصبح المتعلم العربي يواجه صعوبات لتعلم اللغة والنحو، وفي هذا السياق أثيرت عدة مسائل كانت الشغل الشاغل للسانيات العربية في العصر الحديث كإشكالية الترجمة والمصطلح وتيسير النحو والصراع بين التراث والحداثة والكتابة ومشكلة الكثرة والتراكم... وسنتطرق لهذه الإشكاليات في هذه المحاضرة .

أولا: إشكالية الترجمة:

تلعب التّرجمة دورًا محوريًّا رئيسًا في الحياة البشريّة، ولا نُبالغ إذا قلنا بأنّ الفضل في ما وصل إليه العالم من تقدّم وتطور يعود في كثير منه إلى التّرجمة، فقد مثّلت همزة الوصل وشريان تواصل الحضارات والتّقدّم الطّبيعي التّدريجي للعلوم والنّظريّات وتلاقُحها، ويكاد يجمع المؤرّخون لتاريخ العلوم بأنّه لولا علماء الحضارة الإسلاميّة لتوقّف سير المَدَنِيَّةِ عدّة قرون فهؤلاء يعود لهم الفضل في ترجمة المؤلفات اليونانيّة والسّريانيّة والقبطيّة والفارسيّة والهنديّة وغيرها من جهة، كما كان لهم السّبق إلى كثير من النّظريات العلميّة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والطّب والفلسفة من جهة أخرى، هذا الإرث الحافل الّذي ترجمه علماء الغرب وبنوا عليه، فاستفادوا مما ترجمه العرب من الحضارات القديمة وممّا ابتكره العرب أنفسهم معًا، فكان ذلك وقود النّهضة الغربيّة ومفتاح توهّجِها، وقد كانت التّرجمة وسيلةً ناجعةً لنقل العلوم والنّظريات ولم تكن غاية في حدّ ذاتها ولم تكن ميدان تنافس أو شهرة أو موضة أو شحناء، فلعبت دورها العلمي المنوط بها على أكمل وجه وعلى أحسن صورة ممكنة بيد أنّ الأمر اختلف في وقتنا الحاضر في الثّقافة العربيّة، فقد تغيّر حال العرب من الأصل المنقول عنه إلى حال التّابع النّاقل ونظرًا للانبهار المفرط بالحضارة الغربيّة، صارت التّرجمة عنه غايةً في حدّ ذاتها وموضة يتسابق كثير من الباحثين العرب على وُلُوجِها وَرُكُوبِ مَوْجَتِهَا، ففقدت الترجمة روحَها وبريقَها عند هؤلاء، وأصبحت عائقًا أمام تقدّم العلوم واستثمارها في الثّقافة العربيّة الحديثة ومن بينها اللّسانيات.

1 -**مفهوم الترجمة:** الترجمة نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى هو المفهوم المشهور للتّرجمة، وإن كانت الإبانة والإيضاح والتفسير ترافق هذا المعنى أيضا بعد نقله إلى اللّغة الأخرى؛ إذ يتّضح معنى الكلام المترجَم بعد أن كان غامضا أو غير مفهوم. فيما زاد آخرون عليه، فقالوا: "هي التّعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده"[1] .

وفي مجال اللسانيات تتطلب عملية نقل المعارف اللسانية ترجمة الكتب من اللغات الأجنبية التي كُتبت بها اللسانيات، وهذه العملية ليست سهلة كما يعتقد الكثيرون؛ إذ كثير من هذه الترجمات تضلل القارئ وتلبس عليه المفاهيم الجديدة ما يؤدي إلى نقل أخطاء معرفية وضخّ مصطلحات عديدة للمفهوم الواحد[2]، وعلى الرغم من الصعوبات الّتي يواجهها المترجمون بسبب كثرة المصطلحات اللّسانية الجديدة الّتي لا عهد للغة العربيّة بها، والصعوبة البالغة في إيجاد الأمثلة اللّغوية العربيّة المناسبة، فقد

[1] الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دمشق، ط2 1998، ص258.

[2] ينظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي،دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص27.

تمّت ترجمة نسبة هامّة من الدّراسات اللسانيّة الغربيّة الرّائدة في مجالها وإن لم يكن هذا العدد المترجم كافيا[1]، رغم ذلك فقد تعرّف القارئ العربي على عدد من الأعمال اللّسانية الغربيّة الرّائدة، كأعمال دي سوسير وتشومسكي وجاكبسون ومارتيني وتروبتسكوي على سبيل المثال وأصبح لهذا القارئ نظرة عامّة حول تلك الأعمال وما وصلت إليه اللسانيات من مستوى علمي في تلك الأقطار بفضل تلك التّرجمات[2].

ونظرا للعوائق والصعوبات الّتي تعترض ترجمة اللسانيات بشكل عام والمصطلح اللّساني بشكل خاص، فقد حاول بعض الباحثين ضبط هذه المسألة من خلال التركيز أثناء ترجمة المصطلح على ترجمة المتصورات والمفاهيم لا على ترجمة الدّلالات والتّسميات؛ فهي نقلٌ للمتصور في ثوب لغويّ جديد للتّعبير عن مفهوم يأخذ مصطلحا جديدا، وقد حُدّدت عملية ترجمة المصطلح في ثلاث مراحل، موضّحة كما يلي[3]:

- **مرحلة تحديد المتصور:** وفيها يتمّ التّركيز على المتصورات ثمّ صياغتها في مفاهيم ومصطلحات داخل اللّغة المترجم إليها(اللغة العربية مثلا).

- **مرحلة ضبط المفهوم:** وفيها يتمّ تحليل المفهوم وضبط سِماته المفهومية بدقّة حتى يتمكّن المترجم من الإلمام بها قبل ترجمتها وفيها يتمّ رصد التكوين المفهومي للمصطلح في سياق إنتاجه وسياق استعماله؛ لأنّ الترجمة المفهومية تستند إلى ضبط المتصورات أولا ثمّ تحديد المفاهيم انطلاقا من هذا الضبط.

- **مرحلة ترجمة المصطلح:**_ وفيها يتم وضع المصطلح بناء على ما وصلت إليه المرحلتان السابقتان من نتائج متعلقة بضبط المتصور وتحديد المفهوم وفهم العلاقات الرابطة بينهما في اللّغة الأجنبية ثمّ ترجمتها إلى اللّغة العربية.

ويمكن التمثيل لبعض المصطلحات اللّسانية المترجمة فعلا إلى اللّغة العربية، حيث تمّت المحافظة على خصائص اللغة العربية، من ذلك مثلا المصطلحات الآتية:

- (اللسانيات) في مقابل اللفظ الأجنبي (linguistics)
- (التداولية) في مقابل اللفظ الأجنبي (pragmatics)
- (الصوتيات) في مقابل اللفظ الأجنبي (phonetics)

2- إشكالات ترجمة اللسانيات في الوطن العربي:

سنسلّط الضّوء في هذا العنصر على إشكالات التّرجمة في المجال اللّساني في الثّقافة العربيّة الحديثة، والّتي يمثّل تعدد المصطلح اللساني المتداول في هذا المجال من أوضح تجلّياتها ومن أكبر معوّقات استثمارها والإفادة منها في مجال البحث اللساني العربي، وممّا نلاحظه من إشكالات تعترض ترجمة المصطلح اللّساني ما يلي:

أ- مشكل تعدّد المصطلحات والتّسميات :

إنّ تعدّد المصطلحات والتّسميات في أي علم من العلوم تعيق تطوّره وازدهاره، وهو أمر يخلق لدى القارئ إحساسا بالخلط والارتباك المتبوعين بالتّساؤل والحيرة أي المصطلحات أجدر بالاستعمال[4]، وتجنّب هذه الفوضى في التّسميات يستوجب ضرورة العمل على استعمال موحّد للمصطلح اللّساني، فالمعرفة اللّسانيّة – كسائر العلوم- يحاكي تبلورها واتّضاحها محاكاة طرديّة اتّضاح جهازها المصطلحي واستقلاله، وهو ما يشكّل قانونا يحكم المعرفة في مختلف لحظاتها، فيتأسّس منه قانون زماني بمقتضاه يغدو تبلور المصطلح متناميا تناميا طرديّا مع تبلور المعرفة، فالمصطلح إذا بلغ سنم التّجريد الذّهني أحال في مفرد لفظه على جماع النّظريّة واستجمع في أحاديّ عبارته شتات المفاهيم، فإذا كان الأمر كذلك أدرك الباحث خطورة المصطلح في بنية المعرفة لا سيما المختصّة منها[5].

---

[1] اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفربات النشأة والتكوين، مصطفى غلفان ، شركة النشروالتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006 ص148.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص148.

[3] ينظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، ص75.

[4] اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفربات النشأة والتكوين، مصطفى غلفان، ، ص148.

[5] ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات مثال الترجمات العربية الخمس لدروس فردينان دي سوسير، حسن السّوداني، مجلة اللسانيات العربيّة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربيّة، ع: 7، جويلية2018 ، ص22.

إنّ ضبط المصطلح ومعه المفهوم يساعد في توحيد النّظرة إلى حقائق الأشياء والخروج من الذّاتية في التّناول الّتي هي آفة العلم، ففي اللسانيات على سبيل المثال هذه الإشكالية طاغيّة بشدّة، فحتّى المصطلح الّذي يُطلق على هذا العلم "اللّسانيات""linguistics" الذي اقترحه الباحث الجزائري الرّاحل الدّكتور عبد الرّحمن الحاج صالح-رحمه الله- ورغم الاتفاق الّذي تم عليه في ندوة اللّسانيات بتونس سنة 1978م، لكن الكثير من المصطلحات الموازية له مثل: علم اللّغة العام، علم اللّغة الحديث، اللّسنيات، الألسنية...إلخ، مازالت رائجة عند الكثير من الباحثين العرب.

ويظهر هذا كثيرا في المؤلفات التي كتبت بعد هذا التّاريخ، وفي ترجمة محاضرات دي سوسير نفسه، فقد ترجمت ترجمات عديدة إلى اللغة العربية موضحة كالأتي[1]:

- **دروس في الألسنية العامة:** وهي التّرجمة التونسية لكلّ من: محمد صالح القرمادي ومحمد عجينة ومحمد الشّاوش.
- **فصول في علم اللّغة العام:** وهي التّرجمة المصرية لأحمد نعيم الكراعين.
- **علم اللّغة العام:** وهي التّرجمة العراقية ليوئيل يوسف عزيز.
- **محاضرات في الألسنية العامّة:** وهي التّرجمة السّورية ليوسف غازي ومجيد نصر.
- **محاضرات في علم اللّسان العام:** وهي الترجمة المغربية لعبد القادر قنيني.

وفي هذا العلم الحديث توجد مفاهيم كثيرة جدّا اختلفت ترجماتها إلى اللّغة العربيّة، منها على سبيل المثال: مفهوم(phonetics) الذي ترجم ترجمات عديدة منها: الفونتيك، علم الأصوات الصوتيات، الأصواتية...

وفي اللسانيات التداولية نجد عدّة استعمالات لكلمة (pragmatics) في اللّغة العربيّة منها: البراجماتية أو البراكماتيك والمقامية والوظيفية والسّياقية والذّرائعية والنّفعية والتّداولية وغيرها[2]، إلاّ أن المصطلح الأخير شاع أكثر من غيره، وهذا الاختلاف في استعمال المصطلح ليس راجعا إلى اختلاف جنسية الباحثين في البلدان العربية المختلفة، بل قد يكون في القطر الواحد أيضا منها، ففي الجزائر مثلا نجد الكثيرين من يستعمل مصطلح التّداولية كمسعود صحراوي وجلّ الباحثين في هذا المجال، في حين نجد عبد الرّحمن الحاج صالح في كتابه(الخطاب والتخاطب) قد استعمل المصطلح المعرّب(البراكماتيك) في إشارة منه إلى أن النّظرية غربية المنشأ، إضافة إلى استعمال لفظ (التخاطب) للدّلالة على المفهوم نفسه[3]، وفي هذه النّظرية مصطلحات كثيرة تعدّدت ترجماتها أيضا، ومنها: مفهوم (speech acts)، حيث ترجم إلى العربية بعدّة مصطلحات منها: أفعال اللّغة أو أفعال الكلام أو أفعال الخطاب أو غيرها.

فمشكلة تعدّد المصطلح شائكة في اللّغة العربية ولابد من وجود حلول لها إن وُجدت الإرادة لذلك.

ب- التّرجمة غير الجيّدة:

بعض الباحثين في هذا المجال يتجرّأ على ترجمة كتب اللّسانيات الغربيّة بحثًا عن الشّهرة والمنفعة الذّاتية، فقلّما يُعنى هؤلاء بترجمة ما يترجمون على الصّورة الصّحيحة، فربّما تجد في هذه التّرجمات عدم الإلمام المعرفي الكافي بالعلم، أو عدم القدرة على صياغته بلغة عربيّة سليمة، والفوضى في استعمال المصطلحات، وغير ذلك من السّلبيات[4]، فينتج عن هذا السلوك المُشين اختلافات وتباينات ومغالطات والتباسات كثيرة في المصطلحات وفي النّظرة العامّة للّسانيات.

ج- السّرقات في مجال التّرجمة:

حيث يعمد بعض الباحثين إلى الترجمة من لغة أجنبيّة معيّنة ثمّ ينسبه إلى نفسه دون الإشارة إلى المصدر الأساس، وهناك وجه آخر لهذه السّرقات وهو ترجمة ما ترجمه الآخرون والاعتماد عليه في أعماله دون الإشارة إلى ذلك أيضا، بينما الّذي قام به في الحقيقة هو تغيير بسيط من أجل التّعمية[5]، ومثل هؤلاء لا يكلّفون أنفسهم بتاتا عناء الاطّلاع على النّص الأصلي(الأجنبي) وإنّما يعيدون صياغة ما ترجمه غيرهم باللّغة العربيّة، بحثا عن الشّهرة أو المنفعة وفي غياب تام للضّمير والأمانة العلميّة، ودون إحساس بالمسؤولية.

---

[1] ينظر: ، إشكالية ترجمة المصطلح اللساني عند عبد الرحمان الحاج صالح وأزمة الإشكال، سمير معزوزن، مجلة المرتقى، مج2، ع1،جانفي 2019 ص22-23.

[2] ينظر: ، في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص65.

[3] ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط 2012، ص225.

[4] قضايا ابستمولوجية في اللسانيات ،حافظ اسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص196.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ص196.

د- خوض غير المتخصّصين في هذا المجال:

معلوم أن غير المتخصّص في شيء ما لا يكون دقيقا في عرض معلوماته، وممّا تعاني منه اللّسانيات بشكل خاص مشكلة خوض غير المتخصّصين فيها، في حين أنّه ينبغي لمترجم اللّسانيات أن يكون متمكّنا منها، لأنّها أقرب إلى العلوم التّجريبيّة وقد عبّر الباحث المغربي الدكتور أحمد العلوي عن هذه الفكرة بالقول: "ليس من يُؤرّخ للعبة لا يُحسنها كالّذي يُؤَرّخ لها وهو أحد المتمتّعين بالخوض فيها"[1]، فليس كلّ من يجيد لغتين قادرا على إجادة فنّ الترجمة أيضا، بما فيها القدرة على صياغة المصطلح، فالترجمة المتقنة تحتاج إلى متخصّص إضافة إلى ما ذكر سابقا، لأن التّرجمة عند غير المتخصّصين تركّز على معنى نقل كلمة من لغة إلى أخرى عندما تتشابه مفهومات أصول الدّلالة اللّغوية، فتكون التّرجمة بهذا المفهوم في نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه فقط لا بلفظه، فوضع المصطلحات ليس أمرا سهلا كما يعتقد الكثيرون، بل يتطلّب تمكّنا من المادّة وفِقْهًا في اللغة ووقوفا على النشاط العلمي المعاصر[2].

هـ- النّوايا السّيّئة المبيّتة من قبل الكثير من المترجمين:

في بداية ظهور اللّسانيات اندفع الكثير من الباحثين العرب والمستشرقين اتجاهها، وظهرت بعض الدّعوات المغرضة كالدّعوة إلى التخلي عن النّحو وعن العربيّة، وقد كانت الترجمة وسيلة لإيصال هذه المفاهيم، لذا شابها الكثير من الشبهات وهذا ما جعلها تحيد عن مهمّتها النبيلة فأصبحت في موضع الاتّهام والتّغريب بدل التّقريب والتّعريب، حتى وصف أحد المستشرقين التّعريب بأنّه حصان طروادة للتّغريب[3].

و- غياب ثقافة المجموعة والعمل التّشاركي الفعلي في هذا المجال:

إنّ سبر أغوار الظّاهرة اللّغويّة أمر صعب المنال، فمهما حاول الباحث اللّساني فإنّه لن يتوصّل إلاّ إلى حقيقة ما هو جزئي ونسبي بسبب التشعّب الكبير للقضايا اللّغويّة، وهذا أمر يقتضي ويتطلّب توحيد الجهود وتقسيم المهام والاختصاصات بين الباحثين للتّغلّب على هذه العقبات العويصة، ولنا في عمل اللّسانيين الغربيين أسوة حسنة؛ فتشومسكي على سبيل المثال استطاع تطوير نماذجه التوليديّة اعتمادا على آراء منتقديه ومساعديه، كما استند في الوقت نفسه على أطروحات علماء وباحثين في تخصصات أخرى، ممّا أكسب النّحو التّوليدي قدرة فائقة على تطوير نماذجه واستمرار تجدّدها[4]، فممّا يشوب البحوث العربيّة في اللّسانيات وفي الترجمة وفي غيرها غياب ثقافة المجموعة والعمل التّشاركي الفعلي، بينما تعتبر التّرجمة من الميادين الّتي تتطلّب حدّا أدنى من التّنسيق والتّعاون أكثر من غيرها، ولا ننكر وجود بعض الهيئات ذات الصّلة، كمكتب تنسيق التّعريب بالرباط الذي أُلحق بالمنظّمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم، فتابع حركة التعريب والمصطلح ونشر دراسات معمّقة في هذا الشأن، إضافة إلى جهود المجامع اللّغوية والعلمية المختلفة في البلدان العربية والّتي كان من أهدافها المحافظة على سلامة اللّغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون ومواكبة التّطور العلمي والتّقني في العالم[5]، ولكن العمل التّشاركي المجمل لم يتحقّق بالصورة المطلوبة، لذا لم تصل إلى الأهداف المرجوّة منها.

ز- عدم مواكبة النّظريات والنّماذج اللّسانيّة:

فكتاب دي سوسير على سبيل المثال "محاضرات في اللّسانيات العامّة""Cours de Linguistique Générale"(باللغة الفرنسية) الّذي نشر عام 1916م، لم يُترجم إلى العربيّة بصورة كاملة إلاّ في أواخر القرن الماضي، بينما قام جيل الخمسينيّات والسّتّينيّات بترجمة ثنائيات دي سوسير وبعض فقرات كتابه، وهو الحال نفسه تقريبًا مع النّظريّة التّوليديّة لتشومسكي الّتي ظهرت أواسط الخمسينيّات، ثمّ تلتها نماذجها ونظرياتها الأخرى، والتّي تعرّف عليها الباحثون العرب بعد مرور أكثر من عشر سنوات على الأقل من ظهورها.

---

[1] المرجع السابق، ص14.

[2] ينظر: ، إشكالية المصطلح في الفكر العربي(الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات)، علي بن إبراهيم النملة، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط1 2010، ص19-20.

[3] ينظر: تاريخ النّحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد ابّاه ، دار التّقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط2، 2011، ص691.

[4] ينظر: اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقّي وإشكالاته، حافظ إسماعيلي علوي، ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009 ، ص86.

[5] ينظر: نحو منهجية موحّدة لوضع المصطلح، شحادة الخوري، ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المؤتمر الثالث ص7-8.

ح- غياب ضوابط قانونية تضبط المسألة:

إنّ التّرجمة في الإطار العلمي تحتاج إلى ضوابط قانونيّة ومنهجيّة علميّة وأخلاقيّة تؤطّرها، فلا يمكن أن تبقى مفتوحة ومشرّعة الأبواب بلا حسيب ولا رقيب، وكما هو معلوم فالكثير من التّرجمات لم ينشغل أصحابها بالاطّلاع على مصادرها الأصليّة- كما سبق التّذكير- بل هي ترجمات منقولة عن ترجمات أخرى، إضافة إلى عدم التقيّد بمنهجيّة موحّدة لوضع المصطلح اللّساني رغم ما ورد عن بعض الهيئات التي حاولت وضع منهجيات معيّنة لوضع المصطلح حتى يصبح معترفا به ومتداولا عند الباحثين العرب، إلاّ أن المصطلح اللساني لم يخضع لهذه الضوابط والمنهجيات التي وُضعت له، ما جعله يتّصف بالتعدّد في الاستعمال والتّداول بدل الوحدة[1].

3-بعض المقترحات للحد من هذه الإشكاليّات:

ممّا يمكن أن يُقترح للحدّ من إشكالات التّرجمة في مجال اللّسانيات،بل وفي كلّ المجالات العلميّة الأخرى ما يلي:

أ- تفعيل دورالجامعات و إنشاء لجان علميّة مختصّة في التّرجمة:

ينبغي على المجالس العلميّة في معاهد اللّغات أن تتصدّر المشهد وأن تُدلي بدلوها في المجال وأن لا تترك السّاحة للدّخلاء وهؤلاء يجب أن يُستعان بهم عند الحاجة في كلّ المجالات ذات الصّلة.

ب- تفعيل دورالمجامع اللّغويّة في الدّول العربيّة وتشجيع العمل التشاركي الفعلي:

التّرجمة عمل صعب وشاقّ، وما أحوجها إلى ثقافة الفريق الّذي يشدّ بعضه بعضا، فتتكاثف فيه الجهود وتُسَدُّ فيه الثّغرات، لذا يجب أن يلقى موضوع التّرجمة اهتمامًا أكبر من المجامع اللّغويّة عوض الأفراد، بل يمكن الاقتصار على هيئة عربية واحدة للتّرجمة تكون مرجعا للجميع، فتقوم بالتّرجمة من اللّسانيات ومن غيرها من العلوم حتى يُمْكنَ التّحكّم في الميدان واستثماره بشكل ناجع، ورغم وجود محاولات في هذا المجال كالمعجم الموحِّد لمصطلحات اللسانيات الذي حاول القائمون عليه توحيد المصطلحات اللّسانية المستعملة في الوطن العربي فوضعوا معايير لاختيار المصطلح بصفة عامّة يمكن ذكرها في ما يلي[2]:

- تفضيل الكلمة العربية على المعرّبة.
- مراعاة شيوع المصطلح.
- تفضيل المصطلح الأحادي على المركب.
- سهولة النطق بالمصطلح.
- طواعية الكلمة المترجمة بصفة عامّة للتّثنية والجمع والتّصغير والنّسبة.

إلاّ أنّ ما ورد فيه لم يستثمر فِعْلا عند الكثير من الباحثين العرب، فلو تتبنى الهيئات المختصّة في البلاد العربية بالتّرجمة التنميط الصادر عن الهيئة المشتركة لوضع المصطلح المترجم لسهلت عملية توحيد المصطلح اللّساني وتداوله.

ج- إنشاء مجالس عليا للتّرجمة مهمّتها المصادقة ومنح تأشيرات التّرجمة:

فيمكن مثلا أن يُشترط موافقتها عن التّرجمة اللّسانية، من خلال استئذان المصدر الأصلي في حالة ترجمة مؤلف له واحترام المنهجيات المعتمدة في وضع المصطلح وفق التّنميط المعتمد لديها، فتمنح تأشيرات مصادقة على التّرجمات، وتكون في أوّل الكتب المترجمة، فيطّلع عليها القرّاء، ويميّزون على أساسها بين الكتب المترجمة المحكّمة وغير المحكّمة.

د- وضع ضوابط قانونيّة صارمة للمسألة:

من خلال وضع آليات لتسويق الكتب والمؤلفات المتعلقة بها في إطار قانوني أواعتمادها في الجامعات العربية المختلفة، وغير هذا يعتبر مخالفة فلا تعتمد بصفة رسمية، ولا يسمح بتسويقها في المعارض الدّولية للكتاب أو غيرها من آليات التّسويق الرّسمية في الوطن العربي.

---

[1] ينظر: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، ص75.

[2] ينظر: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات(إنجليزي-فرنسي-عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(مكتب تنسيق التعريب)، ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002 ، ص9.

هـ- وجوب أن يجري طلبة التّرجمة تربصات طويلة المدى في جامعات الدّول التي يتعلّمون لغاتها:

وذلك من خلال تسطير برنامج تعاون وتوأمة بين الجامعات العربيّة ونظيراتها الغربيّة لتحقيق هذه الغاية، فاللّغة تحتاج إلى ممارسة وتطبيق، ولا يمكن أن يتحقّق ذلك في مدرجات الجامعة وداخل أسوارها، وإن تحقق فليس بالصّورة المطلوبة

إنّ إشكالات ترجمة العلوم ومنها اللّسانيات كثيرة وظاهرة لا يمكن نُكرانها أو التّقليل من شأنها، فقد شكّلت الكثير من التّرجمات في المجال اللّساني عائقا وحاجزًا أمام فهم اللّسانيات والتمكّن منها، بل إنّ الكثير منها جعل هذه العاهة شبه مستديمة لكن مع ذلك ينبغي أن ننوّه بالكثير من الجهود القيّمة في هذا الشأن، خاصّة إذا اقترنت بالاجتهاد وصدق النّوايا، وقد كانت لها بصمة واضحة في نقل اللّسانيات وتقريبها إلى القارئ العربي، وحبّذا لو وجدت البيئة المناسبة لتوحيد المصطلحات اللسانية المترجمة في الوطن العربي للحدّ من هذه الإشكالات أو القضاء عليها إن أمكن، وهو أمر ممكن إذا صدقت النّوايا وبُذلت الجهود المطلوبة.

ثانيا: إشكالية المصطلح

1-مفهوم المصطلح:

لقد تعدّدت تعريفات المصطلح ، ومنها: بأنه: " عبارةٌ عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"[1].وأنه: " كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصّصة(علمية أو تقنية...) موروثا أو مقترضا ويستخدم للتعبير بدقّة عن المفاهيم وليدلّ على أشياء مادّية محدّدة"[2]. وعرّف أيضا بأنّه:"اسم قابل للتّعريف في نظام متجانس، يكون تسمية حصرية (تسمية لشيء)، ويكون منظما(أي في نسق متكامل)، ويطابق دون غموض فكرة أو مفهوما"[3].

فالملاحِظ للتّعريف الأول يرى شرط الاتفاق فقط بارزا فيه، في مقابل وجوب تحرّي الدقة في تحديد المصطلحات وربطها بمفهومها في التعريفين الأخيرين، فتعريفات المصطلح متباينة عند الباحثين، وهذا ما يظهر جليّا في استعمالاته المتعدّدة أيضا كما سيتّضح في ثنايا هذا البحث.

2-الخصائص والشروط الواجب توفرها في المصطلح:

معلوم أنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها، وعنوان ما يتميّز به كلّ واحد منها عمّا سواه، وإذا كان الأمر كذلك، فإن أمر العلم موكول بمصطلحاته، فلا يفهم ما لم تكن هذه المصطلحات قادرة على التّواصل العلمي المطلوب محقّقة قدرا كبيرا من الدّقّة المتوخاة؛ لذا نرى العلماء-غربا وشرقا،قديما وحديثا- قد أفردوا للمصطلحات اهتمامهم العظيم[4]، ومن أهم الخصائص والشروط الواجب توفرّها في المصطلح نذكر[5]:

- أن يوجد المفهوم قبل المصطلح.
- أن يدلّ المصطلح على مفهوم واحد.
- المصطلح العلمي لا يلتبس بغيره ولا يلتبس مفهومه بمفهوم غيره.
- التّواضع العرفي عليه بين أهل الاختصاص في مجال علمي ما.
- الثّبات والاطّراد.
- فهم المصطلح يكون في منظومة اصطلاحيّة.
- لا يشترط في المصطلح الدّلالة على كلّ صفات الشّيء المصطلح عليه.
- العلاقة بين المصطلح والمفهوم تكون علاقة رمزية، لا وصفيّة؛ لذلك فهو مختصر مكثّف.
- لا يشترط أن يتكوّن المصطلح من لفظة واحدة أو كلمة واحدة.
- أن يكون منسجما - قدر المستطاع- مع طرق صياغة الكلمات في اللغة الّتي يستخدم فيها.

---

[1] التعريفات، الشريف الجرجاني(علي بن محمد)، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص28.

[2] الأسس اللغوية لعلم المصطلح ،محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب،القاهرة، دط، دت، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص12.

[4] المصطلح اللساني العربي وقضية السيرورة، عبد الله محمد العبد، ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات11، 2011،ص31.

[55] ينظر: المرجع نفسه، ص32-39.

3-طرائق نقل المصطلح إلى اللغة العربية:

نقل الباحثون في المجال اللساني وغيره المصطلحات المختلفة إلى اللغة العربية بطرق مختلفة أهمها التعريب والترجمة التي سبق الحديث عنها وسنركز على التعريب:

***-التعريب :**

وهو إلحاق الألفاظ المأخوذة من اللغات الأخرى بأبنية كلمات عربية معروفة فتخضع لتغييرات بسيطة تجعلها مجانسة للكلمات العربية الأصيلة، ومنسجمة مع نظامها وقواعدها ولا يشذّ عن ذلك إلاّ القليل، ويكون هذا بنقص بعض الحروف أو زيادتها أو غير ذلك[1].

وقد دافع بعض الباحثين عن قضية التعريب؛ إذ رأوا في الأمر سعة، مستدلين باحتواء اللغة العربية قديما على الكثير من الكلمات الأجنبية حتى صارت جزءا منها في الاستعمالات المختلفة[2]، ولا يمكن تمييزها عنها في الاستعمال خاصة بعد خضوعها لنظامها وقواعدها الصرفية والتركيبية وغيرها.

ولكنّ التعريب لم يلق قبولا كافيا عند الباحثين فأجازه بعضهم عند الضرورة فقط، فلا يعني استعمال المصطلح المعرّب عند هؤلاء قبولا لهذه الطريقة إجمالا، بل هناك حيطة وحذر في قبولها[3]، وفي الحقيقة من ينظر لجهود المجامع اللغوية العربية يجد ميولا إلى الترجمة الفعلية للمصطلح اللساني الأجنبي في الوطن العربي، ورغم التوصيات والاقتراحات الصادرة من هنا وهناك إلاّ أن الكثير من الباحثين لازالوا يعتمدون استعمال اللفظ المعرّب دون ترجمة فعلية فنجدهم يستعملون مصطلح (الفونتيك) على سبيل المثال وما يتفرع عنها من تعبيرات كما ذكر الدكتور مصطفى غلفان ومنها[4]:

- الفونتيكا السمعية، النظام الفونتيكي، الفونتيكا الأوكستيكية، الرموز الفونيتكية، الألفبائية الفونيتكية، والفونولوجيا...

وفي أحيان أخرى يرفقون المصطلح الأجنبيّ بنظيره العربيّ، بل يقدمونه عليه في الاستعمال أحيانا، ومنه مثلا:

- الصورة الصوتية أو ألوفون.
- الوحدة الصرفية أو المورفيم.
- العائد الإشاري أو أنافورا.

ثالثا: قضية تيسير النحو

يعد تيسير النحو سمة بارزة في العصر الحديث ولكن جذورها قديمة تعود إلى ابن مضاء القرطبي وكتابه الرد على النحاة وقد شاع مصطلح التيسير إضافة إلى مجموعة من المصطلحات المشابهة له مثل:الإحياء والتبسيط والتسهيل والتجديد والإصلاح...، لكن مصطلح التيسير أكثرها استعمالا وانتشارا.

وتجمع كل الدراسات أن الطهطاوي أول من حاول ابسيط النحو في العصر الحديث ووضع في ذلك كتابا استعان فيها بالجداول التعليمية بعنوان"التحفة المكتبية في تقريب العربية"الذي يعد أول كتاب خرج عن كتب عصره التي ما كانت إلا متونا ومنظومات وشروحا وتقريرات ومن مظاهر التجديد التي ابتكرها في هذا الكتاب ما يلي[5]:

-استخدتم لغة سهلة مباشرة متحررة من القوالب المألوفة في الكتب القديمة.
- تحاشي الخلافات النحوية وتعدد الآراء والتعليل في سوق القواعد .
- استخدام الخط الكبير خاصة في المصطلحات النحوية وعناوين الأبواب للفت انتباه المتعلمين.
- تذييل الكتاب المذكور بخاتمة في الخط والإملاء وحسن القراءة وهي أمور لم تكن تلق الاهتمام في كتب النحو القديمة.

---

[1] ينظر: آليات التعريب وصناعة المصطلحات الجديدة، كمال أحمد غنيم، ، مجمع اللغة العربية الفلسطيني المدرسي، غزة، 2014، ص15-16.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص16.

[3] ينظر: الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، محمد علي الزركان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص153.

[4] ينظر: طبيعة المفهوم اللساني وتحديده في معجم اللسانيات الحديثة، مصطفى غلفان، ، بحث ضمن كتاب المعجمية العربية قضايا و آفاق،تقديم: منتصر أمين عبد الرحيم وحافظ اسماعيلي علوي، داركنوز المعرفة العلمية ، عمان،ط1، 2014، ج1، ص218-219.

[5] - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة حفريات النشأة والتكوين، ص24-25.

1-مفهوم تيسير النحو:

عرّف مهدي المخزومي التيسير بأنه ليس اختصارا ولا حذفا ولكنه عرض لموضوعات النحو ييسّر للناشئين أخذها واستيعابها وتمثلها، ولن يكون التيسير وافيا ما لم يسبقه إصلاح شامل لمنهج هذا الدرس وموضوعاته أصولا ومسائل، وذلك يتحقق بخطوتين[1]:

-الخطوة الأولى: أن نخلص النحو مما علق به من شوائب جرتها الفلسفة وفكرة العامل.

-الخطوة الثانية: أن نحدد موضوع الدرس اللغوي ونقطة البدء به ليكون الباحثون على دراية كافية بما يبحثون فيه.

ويعرفه أحمد عبد الستار الجواري بأنه يعني التسهيل والاختصار وتذليل الصعب من مباحث النحو وتمهيد الوعر من مسالكه[2]، كما يعرفه شوقي ضيف بأنه إعادة تنسيق أبواب النحو وإلغاء بعضها ووضع تعريفات دقيقة لأبوابه العسيرة فالتيسير عنده هو إعادة ترتيب أبواب النحو وحذف بعضها وتقديم مادته بصورة سهلة ليسهل استيعابها وفهمها من المتعلمين[3].

ولقد كان لظهور اللسانيات ودخولها الثقافة العربية عن طريق البعثات العلمية إلى الجامعة الغربية تأثيرا واضحا في هذا التوجّه(إعادة النظر في قواعد النحو العربي)، حيث أتيحت الفرصة لكثير من الباحثين العرب لتلقي هذه الثقافة الجديدة في مهدها في الجامعات الغربية خاصة البريطانية أمثال: إبراهيم أنيس وعبد الرحمان أيوب وتمام حسان.... وعند عودة هؤلاء حاولوا نشْر هذه الثقافة الجديدة وتطبيقها على اللغة العربية تطبيقا مباشرا، وقد كانت مواقفهم رافضة ومتصلبة تجاه التراث النحوي العربي خاصة نظرية العامل، في حين بقي فريق آخر متمسكا بالتراث من حيث الجوهر مع دعواته بوجوب تقويمه وإصلاحه وتيسيره وتجديده، ومن هؤلاء مهدي المخزومي شوقي ضيف عباس حسن أحمد عبد الستار الجواري ...

وفي هذا السياق يذكر شوقي ضيف بأنّ الصّيحات المنادية بتيسير النّحو وتخليصه ممّا فيه من تعقيد وعسر شديد تعالت منذ أكثر من أربعين عاما، وأنّه استجاب لهذا النداء، حيث يقول:«**وإنه لحري بنا أن نستجيب إلى هذا النداء حتّى نخلّص النّاس من صعوبات النّحو التي ترهقهم من أمرهم عسرا، ولن يكلفنا ذلك جهدا، فقد مهّد لنا ابن مضاء الطّريق**[4]»، ولقد ألفت لهذا الغرض لجنة بوزارة المعارف، وكتبت تقريرا مسهبا ضمّنته مقترحات حول التّيسير المنشود، قام مجمع اللّغة العربية بالقاهرة بدراستها في مؤتمره سنة1945م، وأدخل عليها تعديلات، وألّفت بعد الثّورة كتب النّحو التّعليمي على ضوء صورة التيسير التي أقرها المجمع، غير أنّه لم يكتب لها النّجاح المنتظر[5]، وفي اعتقادي إنّ هذا العامل- التّحجّج بصعوبة النّحو وتعقيداته- هو مطيّة يستعملها كل من سلك هذا الطّريق، ولكن السّؤال المطروح، هل الصّعوبة تكمن في طبيعة النّحو في حدّ ذاته، أم تتعلّق بطريقة عرضه وتقديمه للنّاشئة، وهل يلقى النّحو العربي الاهتمام اللاّزم من الدّول العربية حتّى يقال بأنّه صعب التّناول والفهم، ثمّ عن أيّ مستوى من النّحو نتحدّث، أم أنّه يؤخذ كلّه بدرجة واحدة، لكنّ الأهمّ، لماذا هذه الطّفرة في الاهتمام بما يسمّى بتجديد النّحو وتيسيره، ولماذا تزامنت مع ظهوراللّسانيات عند الغرب واطّلاع الدارسين العرب على المناهج الجديدة وهذا ما يشير إلى السّبب الموالي المتمثل في الموضة ومسايرة العصر، فهذا العامل له دوره في توجيه الباحثين العرب المحدثين هذه الوجهة.

إن الفترة التي عاش فيها هؤلاء هي الفترة التي شهدت حراكا منقطع النّظير في مجال الدّراسة اللّغوية حرّكتها عدّة عوامل بدءا بتأثير اللّسانيات الغربية، ورجوع الموفدين من أمثال الطّهطاوي، وإبراهيم أنيس، وتمام حسان، وغيرهم كثير، نتج عنه شبه تنافس بين هؤلاء، خرج عن نطاق البلد الواحد، إلى التّنافس بين المشرق، خاصة العراق ولبنان وسوريا، والمغرب، تحديدا مصر يضاف إلى ذلك الاهتمام الرّسمي به من قبل الحكومات، كوزارة المعارف في مصر، وكذلك مجمع اللّغة العربية في كلّ من مصر ودمشق.

وعلى العموم يمكن تلخيص الأسباب العوامل التي أدب إلى ظهور هذى المسعى "تيسير النحو وتسهيله في العناصر الآتية:

- الحاجة إلى عرض النحو بطريقة جديدة تناسب العصر.

---

[1] - ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص15-16.

[2] - نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، دط، 1984م، ص15.

[3] - ينظر: تجديد النحو، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط6، دت، ص4-5.

[4] - كتاب الرّد على النحاة لابن مضاء القرطبي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت، ص47-48.

[5] - ينظر: تجديد النحو، ص3.

- تنقية النحو مما علق به من شوائب بسبب تأثره بالفلسفة والمنطق وعصر الضعف.
- نفور الطلبة من دراسة النحو والعربية الفصحى.
- التيسير ضرورة من أجل التطور.
- تقريب النحو لأبناء العربية وغيرهم ممن يسعى إلى تعلم العربية.

رابعا: الصراع بين التراث والحداثة:

يذهب اللسانيون العرب المحدثون وخاصة الذين اتصلوا بالدرس اللساني الغربي الحديث عن طريق البعثات إلى القول بأن تجاهل هذه المعرفة الجديدة يشكل عائقا أمام تطور الدرس اللغوي العربي وفي هذا السياق تأتي دراسة عبدة الراجحي في كتابه "النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج" ونحن أحوج ما نكون-حسب رأيه-إلى البحث في منهج النحو العربي وذلك لأن هذا النحو له من التاريخ ما لا يعرف عن نحو آخر، وأنه قد كثر فيه الحديث واللغط، وقد انقسم حوله الباحثون بين متمسك به كما هو بكل شوائبه ورفض أي مساس به وفريق ثان دعا إلى تركه والتفريط فيه واستبداله باللسانيات التي تمثل الحداثة[1] في حين ذهب فريق ثالث إلى التوفيق المعرفي بين التراث واللسانيات وطرح إمكانية التلاقح الإيجابي بينهما بما يكون في مصلحة التراث من جهة واللسانيات نفسها من جهة ثانية لأن هذا الصراع بين التراث والحداثة صراع وهمي نفسي بين الباحثين العرب كما يذهب مازن الوعر فهو ليس صراعا بيت الأعمال اللغوية التي وضعها العرب القدماء وبين الأعمال اللسانية المعاصرة التي وضعها علماء اللسانيات المحدثون في الغرب[2].

إن الصراع بين القديم والحديث من الإشكاليات التي تؤرق البحث اللساني العربي هذا الصراع الذي أهدر الطاقات واستنفد الوقت والجهد وهو صراع عقيم لا يحق الغاية ولا يخدم اللغة[3] ، وأن هذا الاختلاف بينهما هو أصلا اختلاف إبستيمولوجي فهما نمطان مختلفان لذا يجب أن يكون الاختيار بين أحدهما تدفعه أسس علمية صرفة فتقديس القديم موقف خاطئ والانطلاق من فرضيات البحث العلمي المعاصر موقف خاطئ أيضا، وإن التأكيد على صحة موقف أحدهما يكونا نسبيا دوما وإلا فإن موقف الباحث يكون إيديولوجيا لا منهجيا علميا كما يتطلبه البحث العلمي الدقيق[4].

وانطلاقا من فرضية التأكيد النسبي لصحة مقولات الأقدمين ومقولات المعاصرين يتوجب على الباحث العربي عبور الزمان للنشر عن العرب الأقدمين، وعبور المكان للنقل عن الغربيين، وذلك بمحاورة الفكر اللساني العربي القديم والبحث اللساني المعاصر أملا في اكتشاف ما هو جدير بالاكتشاف في هذا الفرع من العلوم الإنسانية[5].

خامسا: إشكالية الكتابة العربية:

للكتابة العربية محاسن وعيوب كما هو الحال بالنسبة إلى جميع الخطوط إلا أن عيوبها من الناحية الأدائية التبليغية كثيرة وخطيرة بالنسبة لمقتضيات العصر الخاضر فمن محاسنها أن القوانين الإملائية تلزم أن لا يستعمل حرف إلا للدلالة على جنس من الأصوات ينطق به بالفعل أو لؤدي غرضا تمييزيا معلوما، ولكن يؤخذ على الكتابة العربية ما يلي[6]:

1-اتفاق أشكال الكثير من حروفها، وهذا سبب الكثير من النقط ومن ثمة حدوث مشقة بالنسبة للكاتب والتباسات بالنسبة للقارئ كلما تهاون الكاتب بوضعها الوضع اللائق.

2- عدم اندراج الشكل في مدارج الكتابة، وهذا يسبب جهدا زائدا في تصوير علاماته على مستويات مختلفة (وفي قراءتها) حتى يفضي بالكاتب إلى تركه(وكذلك بالنسبة للطباعة) فيصبح النص لغزا لمن لا يعرف العربية معرفة كافية.

3- تعقيد أشكال الحروف بدون فائدة، إلا نوعا من التزيين اتفق عليه الخطاطون في القديم وهذا يسبب تكليفا كبيرا بالنسبة للكاتب باليد وعلى الآلة الراقنة وبيستلزم عددا ضخما من القوالب المطبعية.

---

[1] - ينظر: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، عبدة الراجحي، ص5.

[2] - قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، مازن الوعر، ص354.

[3] ينظر: اللسانيات العربية نشأتها تطورها آفاقها المستقبلية، فريد خلفاوي، ص216.

[4] - ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، ص11-12.

[5] - قضايا لغوية تراث وحداثة، محمد بوعمامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2017م، ص6-7.

[6] - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمان الحاج صالح، ج1، ص151.

4- عدم وجود كتابة خاصة بالطباعة.

***-مشاريع إصلاح الكتابة العربية:**

من أجل محاولة استدراك المشاكل المذكورة في الكتابة العربية بذلت جهود كبيرة في هذا السبيل ومن هذه المشاريع ما قدمة على الجارم العضو بالمجمع اللغوي المصري سنة 1941م، حيث حاول أن يدرج الشكل في المكتوب فوضع علامات جديدة للحركات والسكون والتنوين وغرها من علامات الشكل إلا أنه لم يوفق في ذلك حيث زاد الأمر تعقيدا، كما برزت في هذا السياق فكرة استبدال الكتابة العربية بالكتابة اللاتينية وأول من نادى بذلك عبد العزيز فهمي وأثار بذلك جدلا واسعا في الأوساط العربية. وبذلك لم يرض المجمع اللغوي عن هذين المشروعين وبقي المشكل قائما حتى أن المجمع اللغوي المصري نظم مسابقة للحصول على أحسن مشروع لتحسين الكتابة العربية سنة1945م وكانت الجائزو أنذاك ألف جنيه مصري وهو مبلغ معتبر حيث في سنة 1947 درست العشرات من المشاريع في هذا الصدد من جميع الأقطار العربية لكن اللجنة لم ترتح لأي مشروع منها ارتياحا كاملا فتخلت عن هذه المسابقة وألغت الجائزة، وبقيت تبحث عن حل لهذه المشكلة وبعدها توالت المشاريع حتى بلغ عددها128مشروعا[1]، ورغم هذه المحاولات بقي مشكل الكتابة العربية قائما ولم يجد حلا مناسبا وهو ما يعني وجوب السعي في هذا السبيل حتى إيجاد الحل المناسب انطلاقا من الفكر العربي لا الغربي أو التأقلم مع الوضع الرهن لأن أي محاولة للإصلاح لم تزد الأمر إلا تعقيدا وصعوبة كما سبق التذكير.

سادسا - مشكلة الكثرة والتّراكم:

يشكّل ما تراكم من بحوث حول اللّسانيات ترجمة وتأليفًا عقبة لا تقل حدّتها عمّا سمّاه الباحث المغربي الدكتور محمّد الأوراغي صعوبة الفقر المعرفي، فكلاهما يشكّل عائقًا يحدّ من وتيرة نموّ اللّسانيات وتطوّرها في الثّقافة العربيّة[2]، وقد قال العلّامة ابن خلدون قديما: " اعلم أنّه ممّا أضرّ بالنّاس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التّآليف واختلاف الاصطلاحات في التّعاليم وتعدّد طرقها، ثمّ مطالبة المتعلّم والتّلميذ باستحضار ذلك"[3].

فكثرة البحوث اللسانية لها جوانب إيجابية كثيرة، إلاّ أنّ لها جوانب سلبية أيضا -كما ذكر الأوراغي- إذا اجتمعت فيها مواصفات من قبيل[4]:

- أن يُعتبر عند بحث الظّاهرة اللّغوية كلُّ ما خلّفه النظار في اللّغة من أعمال تعبّر عنها وتصفها فلا يهمل منها ما يكون في متناول اليد تحت أي علّة أو حجّة، لأنه بوسع أيّ فريق من اللّسانيين تلفيق مبرّرات واختلاق أسباب من أجل إبعاد تصوّرات غيرهم.
- أن ينشأ حول موضوع الدّراسة الواحد المتعيّن بذاته أكثر من نظريتين متغايرتين يصل اختلافها إلى درجة التّضاد، لأنّ هذا يفوّت إمكان الاهتداء في أقصر وقت وبأقلّ جهد إلى أنسبها .
- أن تُفتعل الشّهرة لنظرية لغوية في حقبة زمنية معيّنة، ويُصطنع لها التّفوق العلمي أو التقني على غيرها، فينجذب إليها عدد كبير من الباحثين المهتمين بالمسألة اللّغوية رغبة في تحقيق منافع خاصّة.

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص152-153.

[2] ينظر: محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية (أفول اللسانيات الكلية)، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001، ص31.

[3] ابن خلدون (أبوزيد عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988 ص727.

[4] ينظر: محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية (أفول اللسانيات الكلية)، ص32.

المحاضرة الخامسة عشرة(آفاق البحث اللساني العربي)

تمهيـــد:

لا شك أن اللسانيات العربية في وضع لا تحسد عليه فهي تعيش واقعا مزريا إلى حد كبير، وقد عبر الباحث مصطفى غلفان عن هذا الواقع بمصطلح الأزمة فالبحث اللساني العربي يعيش أزمة حقيقة على كل الأصعدة، وقد أشرنا إلى بعض مظاهر هذا الضعف والهوان، هذا الواقع يحتاج إلى إرادة حقيقية ودراسة وتشخيص دقيقين من أجل الوصف الدقيق للواقع وتشخيص الخلل وتحديد الإشكاليات لتحديد نقطة الانطلاق لتغيير الوضع الراهن للبحث اللسانتي العربي والعمل على تطويره وترقيته لبلوغ الأهداف المرجوة بما يفتح مجال البحث اللساني العربي إلى آفاق أوسع وأرحب أكثر نجاعة وديناميكية وتطورا خدمة للبحث اللساني العربي بالدرجة الأولى، وعموما سنعالج قضية آفاق البحث اللساني العربي من خلال العناوين الآتية:

أولا: تصحيح الموقف من اللسانيات نقطة الانطلاق "لماذا اللسانيات؟"

قد يتساءل القارئ لماذا اللسانيات كمنوال نقيس في ضوئه الكتابة اللسانية العربية الحديثة؟ ما هي مشروعية هذه المرجعية؟ أليس هذا الموقف ذاته انتماء صريحا للمعاصرة؟ وبالتالي هناك تعسف في الحكم على القيمة العلمية للبحوث اللسانية العربية؟

إن اختيار اللسانيات العامة في الواقع يرجع لعدة أسباب لخصها مصطفى غلفان في النقاط الآتية[1]:

1- علمية اللسانيات: إن اللسانيات تحتل اليوم صدارة العلوم الإنسانية ليس فقط لكونها علما يتوفر على مقومات وشروط المعرفة العلمية بل لكونها غدت أنموذجا يحتذي به في كثير من العلوم الإنسانية فمن فضول القول لذوي العلم والرجحان أن يتحدث المرء اليوم عن اللسانيات ووجاهة شأنها، فلو فعل لكان شأنه لديهم شأن من ينوه بالرياضيات الحديثة بين أهل العلوم الدقيقة أو شأن من يمتدح قيمة التحاليل العضوية وكشوف الأشعة في حقل علوم الطبيعة.

2- وجود بحوث لسانية عربية في المستوى العلمي يمكن وصفها بالجادة –رغم كل العوائق-وهي تأسس لخطاب لساني علمي وهذه الكتابات –على قلتها- تتميز باحترامها التام لشروط الممارسة العلمية ولأهدافها وحدودها.

3- أن اللجوء للسانيات العامة ليس بدعة في الثقافة العربية الحديثة ، فاللسانيات تتمتع بوضع مريح في بعض المجالات المعرفية كالدراسات المتعلقة بالنقد الأدبي والفكر العربي والإسلامي.

4- بالنسبة للذين لا يلتزمون بالبحث اللساني موضوعا ومنهجا ويوظفون اللسانيات لغايات فكرية أخرى(كدراسة الفكر اللغوي العربي القديم) لا يرفضون اللسانيات بل على العكس من ذلك تماما ينوهون بها ويؤكدون على ضرورة التسلح بها كنظريات ومناهج لفهم عميق وحداثي للتراث اللغوي العربي القديم.

إن تناول القضايا اللسانية اليوم لم يعد ممكنا أو مجديا بتعبير أدق بمعزل عن اللسانيات وفروعها والشروط العلمية والمنهجية التي تقترحها، من هذا المنطلق يجب التعامل مع اللسانيات بنوع من الانفتاح من خلال محاولة الجمع بين بعدين :عام(اللسانيات العامة) وخاص(الكتابة اللسانية العربية وكيفية تناولها للغة العربية) من خلال التركيز على السمات والخصائص النظرية والمنهجية للكتابة اللسانية العربية في ضوء اللسانيات العامة، إن قيام لسانيات عربية في المستوى المطلوب يتطلب بالضرورة التقيد بالمتطلبات التي يقوم عليها البحث العلمي في اللسانيات التي تتلخص أساسا في تحديد الموضوع المدروس ووصفه وتفسيره في إطار مجموعة من الفرضيات التي تقترحها نظرية معينة ويتم صياغتها صوريا[2].

ثانيا: وجوب التحرر من الهيمنة المزدوجة:

إن أزمة اللسانيات العربية أزمة أسس؛ أي أزمة في المنطلقات الفكرية النظرية والمنهجية سببها الرئيس أن الخطاب اللساني العربي يعيش هيمة مزدوجة هيمنة التراث اللغوي العربي القديم وهيمنة اللسانيات الغربية الحديثة ما جعله يفرز أشكالا متعددة ومتناقضة من العوائق المادية والصورية ينتج عن هذه الهيمنة المزدوجة مواقف متباينة في تصور طبيعة العمل اللساني وهدفه ، وهذه المواقف هي[3]:

---

[1] - ينظر: اللسانيات العربية الحديثة، مصطفى غلفان، ص49-50.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص50-50.

[3] - ينظر: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، مصطفى غلفان، ص49.

-التشبث المطلق بالتراث اللغوي العربي القديم(وهو خطاب لغوي قديم يردد ويشرح ويبسط مضامين التراث اللغوي العربي القديم أي خطاب يهيمن عليه التراث).

- التقليد والتطبيق الحرفي للنظريات اللسانية الغربية(وهو خطاب تابع للنظريات اللسانية المعاصرة في جزئياتها وتفاصيلها، أي خطاب تهيمن عليه اللسانيات).

- التوفيق المعرفي بين التراث واللسانيات الحديثة(وهو خطاب توفيق معاصر في منطلقاته النظرية والمنهجية تراثي في نتائجه توفيقي في أهدافه من حيث إنه يتوخى التوفيق بين فكرين لغويين التراث اللغوي العربي القديم والنظريات اللسانية الغربية الحديثة، وهذا الاتجاه يسميه غلفان لسانيات التراث فهو لا يختلف كثرا عن الفريق الأول).

وتكاد الوضعية السابقة أن تكون مألوفة في الفكر العربي الحديث ، ذلك أن الفكر العربي الحديث في بحث مستمر عن هويته المعرفية وعن الطريق التي يتعين عليه أن يسير فيها لإبراز ذاتيته التاريخية في مواجهة الآخر وقدراته الحضارية التي كانت له في فترة سابقة من تاريخ الفكر اللساني الإنساني ويلحق بركب الحضارة الإنسانية ليسترد ما فقده، وليس في هذه الوضعية غرابة ما دام الخطاب اللساني العربي الحديث يعكس بوضوح تام إشكالات الفكر العربي الحديث بمستوياته الفكرية والسياسية والاجتماعية ومن ضمنها إشكالية الأصالة والمعاصرة[1]. إن البحث اللساني العربي في بحث مستمر عن هويته المعرفية وعن الطريق التي تبرز ذاتيته وقدراته الحضارية والمعرفية التي تميز بها تاريخيا ليلحق بركب الحضارة ويسترد مكانته المفقودة.

ثالثا: نحو طريق بديل والبحث عن الاستقلالية:

إن الخطاب اللغوي العربي الحديث مطالب بالبحث عن الاستقلالية إزاء هيمنة القديم والحديث والمقصود بالاستقلالية – كما يعتقد الباحث مصطفى غلفان-القدرة على التعامل مع قضايا اللغة العربية واتخاذ المواقف النظرية والمنهجية المناسبة لا تجتر القديم ولا ولا تقلد الحديث بطريقة حرفية عمياء، فيجب أن يكون للسانيات العربية الحديثة معالجتها الخاصة بما يلائم المشاكل التي تواجه اللغة العربية ومن شأن هذه الاستقلالية أن تحقق للسانيات العربية هويتها الخاصة بها والنتيجة الحتمية لذلك الاستغناء عن كثير من الإشكالات الزائفة مثل التبعية للقديم أو الحديث وغياب الإبداع والتجديد في البحث اللساني[2].

إن الانطلاقة الحقيقية لتأسيس بحث لساني عربي حديث بالمواصفات العلمية المطلوبة يقتضي القيام بنقد مزدوج نقد التراث والمستورد وتمحيصهما على حد سواء وأن ينظر إليهما بوعي وبصيرة والتعامل مع أي نموذج قديما أو حديثا لا يعني تبنيه أو رفضه أو التوفيق بينه وبين نموذج آخر لأسباب ذاتية أو اختيارية تخضع للمزاج والذوق الشخصي دون مساءلة نقدية أو مقدمات نظرية ونتائج منهجية، فالتعامل مثلا مع التراث اللغوي العربي القديم يجب أن يقوم على النظر إليه كما هو في ذاته في سياقه التاريخي والمعرفي ومرجعيته الفكرية الخاصو يعيدا عن كل أنواع الإسقاط النظري والمنهجي الذي ينظر إليه من زاوية هذا النموذج اللساني أو ذاك كما يفعل التوفيقيون أو يقوم بنقده نقدا عاما كما يفعل الوصفيون العرب عندما رفضوا التراث جملة وتفصيلا بحجة أنه معياري بسبب رفض اللسانيين الغربيين للنحو التقليدي الأوروبي وهذا الأمر ينطبق على التعامل مع اللسانيات أيضا بالطريقة نفسها[3].

ومعنى هذا أنه لا يهمنا في اللسانيات امتلاك ناصيتها في جزئياتها التي تكون عليها في الثقافة الغربية بشكل مطلق وعام، بل ينبغي أن نعرف جيدا كيف نستفيد من اللسانيات وتحديد من مقوماتها المعرفية ومفاهيمها الإجرائية، فما نحن بحاجة إليه ليس إذلال العلم ولا تسخيره بل نحتاج إلى تلك الأرجل التي يمشي عليها العلم ويتحرك وينمو بها فنحن نسعى إلى خلق ثقافة لسانية عربية جديدة تتجاوز حدود التعامل مع نسق اللغة العربية لمعانقة حقول معرفية أخرى في الواقع العربي تتعلق بفحص المظاهر الاجتماعية والتفسية والأنثروبولوجية الملازمة للظاهرة اللغوية في حضن المجتمع العربي أو المترتبة عنها فنحن في أمس الحاجة إلى دراسات سيكولسانية وسوسيولسانية تتعلق باكتساب اللغة العربية وحدود استعمالها في علاقاتها المتداخلة مع اللهجات العربية واللغات الأجنبية، فهذا الجانب العلمي التطبيقي غائب كليا في البحث اللساني العربي الحديث[4].

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص50.

[2] - ينظر: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، مصطفى غلفان، ص50-51.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص51.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص52.

إن هذا الموقف لا يعني مطلقا بأن البحث عن الاستقلالية والخصوصية هي دعوة إلى رفض كل ما يغاير الفكر اللغوي العربي القديم أو ما هو مطروح راهنا، بل يجب أن ننطلق من اللسانيات باعتبارها ثقافة معاصرة تقدم أدوات تصورية ومنهجية مضبوطة ذات مردودية في تحليل الظاهرة اللغوية، ومن ثمة نحاول اختبار جدواها وإمكاناتها النظرية والمنهجية بالنسبة إلى اللغة العربية، يتعين إذن أن نستوعب المضامين المعرفية التي تقدمها اللسانيات لإنتاج معرفة لسانية جديدة تتناول واقعنا اللغوي برمته مثلما هو حاصل في ثقافات أخرى[1].

رابعا-تقويم البحث اللساني والبعد عن التعميم والتنظير:

من أجل تقويم مسار البحث اللساني الذي نعتناه بأنه متردي ومتأزم يقدم مصطفى غلفان مجموعة من الشروط والمقومات التي تجعل منه خطابا علميا منهجيا بما ينسجم مع متطلبات العصر وذلك من خلال الاعتناء بثلاثة قضايا أساسية تخص البحث اللساني العربي[2]:

- **القضية الأولى:** العودة إلى جوهر العمل اللساني بتحليل اللغة العربية من حيث هي بنيات صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية ومعجمية.
- **القضية الثانية:** ضبط المصطلح اللساني العربي وتوحيد استعماله.
- **القضية الثالثة:** إعادة النظر في تدريس اللسانيات في الجامعات والمعاهد العليا في الأقطار العربية..

وفي هذا السياق يذكر **مازن الوعر** مجموعة من الشروط والإجراءات الواجب اتخاذها في سياق تقويم مسار البحث اللساني العربي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية[3]:

- الاهتمام باللسانيات كعلم قائم بذاته وجعلها مادة مستقلة بنفسها.

-إنشاء كليات خاصة تكون اللسانيات قسما خاصا بذاته وهذه الكلية ينبغي أن تتألف من :(قسم اللسانيات الحديثة، قسم دراسة اللغة العربية الحديثة، وقسم اللغات الأجنبية العالمية).

وهذا الأمر حسب الوعر يجب أن يقترن بوجوب الاهتمام باللسانيات في إطارها الأكاديمي وتكوين باحثين متخصصين في هذا الحقل للرقي بهذا العلم والرفع من مكانته من تكوين باحثين متخصصين في هذا الحقل المعرفي ما يمكن من إنجاز بحوث ودراسات أكاديمية متخصصة وجادة تتميز بالبعد المنهجي المنضبط والمتخصص.

وتتسع دائرة آفاق اللسانيات **عند الفاسي الفهري** فهو يربطها بتطور المجتمع ككل ما يخلصه من الجهل والتخلف ما يسمح ببعث روح جديدة في المجتمع العربي بإعادة روح المبادئ والقيم التي تبني المجتمعات عن طريق الوعاء اللغوي ذلك أن تطوير البحث اللساني لا يتأتي ولا يتحقق إلا بالعودة إلى الجوانب اللغوية المجتمعية، وفي هذا السياق أيضا يقترح عبد الرحمان الحاج صالح حلولا علمية أكثر فعالية ونجاعة بهدف تقريب التصور العلمي للدرس اللساني العربي من خلال ربطه بالجانب التطبيقي الذي يعتمد على الاختبار من خلال استثمار الوسائل العلمية والتكنولوجيةالحديثة أو ما يطلق عليه حوسبة اللغة العربية، وهو المشروع الذي يحقق نهضة حقيقية للدرس اللغوي العربي ما يسمح بترقية اللغة العربية والرفع من قدرها والبحث اللغوي العربي القديم أو الأصيل كما يطلق عليه ذو فكر علمي رياضي بالأصل[4].

ويدعو **عبد الرحمان الحاج صالح** إلى ضرورة التمسك بمسألة تحديد هوية اللسانيات العربية من خلال دعوته إلى إعطاء البحث اللساني حقه في إلقاء خطابات علمية بنفسها دونما إسقاطات فكرية أو إملاءات منهجية أو ما يسميه بالتقليد حيث نجده يرفض فكرة الاستلاب بفكر الآخر، وفي سبيل تجاوز هذا الوضع نحو رؤية جديدة لواقع اللسانيات العربية يدعو وبنظرة موضوعية إلى مبدأ التفاعل في النشاط الفكري ، ذلك أن الإنسان يستحيل أن يعيش بالاعتماد على ما يصنعه وحده أو يرقى به العلم دون أن يراعي ما ابتكره الآخرون ، والعلم بهذا الاعتبار هو أحوج الأشياء إلى التفاعل والتداخل والأخذ بما يأتيه الآخرون[5].

---

[1] - المرجع السابق، ص53.

[2] - المناهج اللسانية العربية بين و اقع النشأة و آفاق التطور، عبد الحليم معزوز، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مج:7، ع: 2، ديسمبر2021م، ص187.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص187-188.

[4] - ينظر: اللسانيات العربية نشأتها تطورها آفاقها المستقبلية، فريد خلفاوي، ص226-227.

[5] - المرجع نفسه، ص227-228.

ولقد بات مطلوبا من الباحثين اللسانيين العرب في هذا السياق ألا يظل تعاملهم مع اللسانيات تعاملا مجردا وعاما فلا ينبغي أن يبقى البحث اللساني محصورا في عرض التصورات والمفاهيم اللسانية الحديثة عرضا نظريا والاكتفاء بما يناسبها من أمثلة منتقاة من اللغة العربية أو مترجمة إليها فلا قيمة للسرد النظري للسانيات الذي يعد مقدمة البحث اللغوي لا غايته فالبحث اللساني العربي يفتقد إلى دراسة الواقع معطى لغويا واجتماعيا وسيكولوجيا وأنثروبولوجيا، ولهذا فإن اللسانيات بوضعها الراهن لم تسهم بعد في فهم الواقع العربي بدراسته دراسة جديدة من منظور ما تقدمه مختلف النظريات في العلوم الإنسانية[1].

خامسا: نحو فهم وظيفي للمعرفة العلمية اللسانية:

إن هدف الكتابة اللسانية العربية من منظور الفهم الوظيفي للمعرفة العلمية يكمن في البحث عن الإستراتيجية الراهنة للغايات التي يسعى إليها في الدرس اللساني والأدوات النظرية والمنهجية القادرة على تحقيقها بكيفية واضحة تكون ذات مردودية عامة بالنسبة للغة العربية إن المتوخى علميا وعمليا من الكتابات اللسانية العربية هو الارتباط الوطيد والوثيق بالوقائق اللغوية العربية في إطار النماذج اللسانية أيا كان مصدرها، حيث يتعين التساؤل عن أي الفرضيات والمبادئ الأكثر فائدة وكفاية بالنسبة للغة العربية ، لا أن نبحث في اللغة العربية عن أي الظواهر أصلح لهذا النموذج أو ذاك ، يجب أن يتكيف النموذج مع اللغة العربية لا أن نقوم بتكييف اللغة العربية مع النموذج[2].

إن الكتابة اللسانية العربية يجب أن تخذم اللغة العربية قبل أن تخذم النماذج المطبقة عليها وذلك من خلال تقديم تحاليل حقيقية للغة العربية لا تكون عبارة عن سرد لنماذج تجريدية محملة بالأدوات والمفاهيم والاستدلالات الصورية فالعمل اللساني الذي نحتاجه هو الذي يكون فيه النموذج المقترح قابلا للتحقق في اللغة العربية في إطار تصور نظري شامل يتسم باتساق مزدوج : اتساق الظواهر المدروسة واتساق النظرية، مما يشكل إثباتا Validationللنظرية ذاتها باستخدامها واستثمارها بكيفية توجهها الإشكالات التي يمليها واقع اللغة العربية، لا أن تنحصر اللغة العربية في أمثلة جاهزة مترجمة عن بعض اللغات العالمية بشكل انتقائي، ولا يعني ذلك[3]:

- الاعتماد على نموذج خاص باللغة العربية أو اعتبارها لغة فريدة بل أن يلم النموذج المقترح بوقائع مستمدة من واقع اللغة العربية يكون قادرا على وصفها وتفسيرها تفسيرا شاملا وافيا يسمح بإعادة النظر في قضاياها الكبرى.

- ولا يعني الخلط بين العلم كبحث نظري مجرد والعلم كتطبيق، والنظر إلى الشقين يكون من زاوية المردودية بحيث إذا كان العلم الأساس أو الخالص يتجه نحو تفسير الواقع فإن العلم العملي التطبيقي يتجه نحو العمل ضمن الواقع، العلم الخالص علم مترفع والعلم التطبيقي تحكمه اعتبارات المردودية.

- لا يمكن إنكار القيمة المنهجية للفروض الكلية والشمولية وأن قيمة النظريات رهينة بالمعطيات التجريبية وهي وحدها الكفيلة بإثباتها أو دحضها.

إن استثمار المفاهيم الإجرائية في اللسانيات بحسب طبيعة الموضوع والذي هو اللغة العربية خطوة أولية وأساسية للاستفادة من المبادئ اللسانية العامة وتوظيفها في التحليل اللساني العربي بعيدا عن كل أشكال الإسقاطات التعسفية والتحاليل غير الواقعية التي تتناول معطيات لا علاقة لها باللغة العربية الحديثة إما لأنها معطيات قديمة أو لأنها معطيات اصطناعية يغلب عليها التكلف لأنه ثمة الكثير من الظواهر اللغوية في العربية التي تحتاج إلى تحليل أولي يسمح بتراكم نظري وتطبيقي حولها يمكننا من ولوج أبواب النظريات والنماذج اللسانية المختلفة دون إحساس بالفراغ أو غياب الأرضية اللازمة[4].

---

[1] - ينظر: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، مصطفى غلفان، ص54-55.

[2] - اللسانيات العربية الحديثة، مصطفى غلفان، ص46-47.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص47-48.

[4] - المرجع نفسه، ص49.

خاتمـــة:

تم بحمد الله إنجاز هذه المطبوعة البيداغوجية، وما يمكن الإشارة إليه في هذا السياق إن اللغة العربية قد ارتبطت بالإسلام والقرآن الكريم ارتباطا عضويا ووجوديا وهو ما رفع من قدرها وساهم في تكريسها وبقائها، هذه اللغة لم تكن قبل الإسلام تتبع لكيان سياسي أو دولة محددة، فالعرب في الجاهلية كانوا عبارة عن قبائل متفرقة في شبه الجزيرة العربية وإن وحدت بينهم اللغة بسبب نقاء البيئة العربية وعدم اختلاطها بالثقافات الأجنبية، فكانت اللغة العربية محفوظة نقية وكان العرب يتكلمون هذه اللغة بالسليقة ودون الحاجة إلى تعلم قواعدها التي كانت مكنونة فيها، فاللغة والقواعد يرتبطان ارتباطا عضويا فوجود أي لغة يعني وجود قواعد تضبطها، فالعربي قديما يكتسب اللغة بقواعدها في سياق وظيفي واحد وهو يدرك هذه المسألة، ولذلك يرفض أي خروج عن القاعدة فتحدثوا عن اللحن وعن درجات الفصاحة والبلاغة وصنفوا الكلام العربي إلى فصيح وأقل فصاحة وغير فصيح وبليغ وأقل بلاغة وغير بليغ، وكلها أمور تؤشر لإدراك القاعدة أو المعيار اللغوي.

لقد تغير وضع اللغة العربية بظهور الإسلام وانتشار اللحن فضعفت السليقة العربية بسبب اتساع دولة الإسلام واختلاطها بالثقافات الأجنبية فدعت الحاجة إلى البحث اللغوي ووضع قواعد للغة الكامنة فيها أصلا، فالنحاة لم يبتكروا هذه القواعد أو يصنعوها من تلقاء أنفسهم، بل إن دورهم تمثل في إظهار ذلك الكامن في اللغة واستنباطه ليصبح متاحا للتعلم على حدة بمعزل عن اللغة بسبب الضرورة وتغير ظروف العربية، حيث أصبح من يريد اكتساب العربية مجبرا على تعلم وفهم وإدراك قواعدها كحال الأعاجم أولا ثم حال العرب أنفسهم ثانيا بعد انتشار الإسلام واتساع رقعة الدولة.

إن الجهد اللغوي الذي بذله العرب في سياق صون النص القرآني واللغة العربية جهد عظيم لا نظير له بين الأمم لكنه مر بعد ذلك بمرحلة من الضعف والركود الفكري، ولذلك يصنف الباحثون التراث اللغوي العربي إلى تراث أصيل جيد وتراث غير أصيل وغير جيد، هذا الجهد في مجمله أُطلق عليه في هذا المقياس وهذه المطبوعة اسم اللسانيات العربية، وهي قضية مشكلة على اعتبار أن هذا الاسم مرتبط باللسانيات الحديثة التي هي-كما ذكرنا- علم غربي في الأصل يمثل ثقافة أجنبية لها ظروفها وخصوصياتها المختلة كليا عن ظروف اللغة والثقافة العربية، إن هذا المقياس مهم شكلا فهو مادة أساسية بالنسبة للطلبة في هذا المستوى ومضمونا بسبب محتواه ومضمونه الفكري والعلمي الثري الواسع والمتشعب الذي يجمع كل المقاييس والمواد والمستويات فهو ينهل من النحو والصوتيات والصرف والمعجم والدلالة والبلاغة والأسلوب وأصول النحو والتفسير وعلم الكلام وصولا إلى اللسانيات وغير ذلك من المواد والمجالات، ما يجعل القضية تحتاج إلى ضبط وتدقيق، وما يمكن أن نقدمه من مقترحات بهذا الخصوص ما يلي:

- ضبط المصطلح من حيث الدلالة والتوظيف وربطه باللسانيات واعتبار اللسانيات العربية تعني الجهود اللغوية العربية التي ظهرت بعد دخول اللسانيات الثقافة العربية والتي أصبح لها حضور وتأثير في البحث اللغوي العربي بشكل خفي أو جلي.
- ضبط مفردات المقياس بعد ضبط المصطلح بما يحقق الأهداف والغيات المرسومة على أن يكون هذا الضبط إضافة للدرس اللغوي لا تكرارا غير مجد لمقاييس أخرى بشكل أو بآخر.
- إذا تم الاحتفاظ بالمقياس بشكله الحالي نقترح أن يكون مقياسا سنويا لا سداسا بسبب اتساعه وتشعبه ومن أجل أن يجد الأستاذ والطالب المساحة الزمنية الكافية لتقديم مادة ذات شأن خدمة للطالب وللبحث العلمي على حد سواء.
- إن التعديل الذي حدث لمفردات المقياس لم يكن موفقا-في نظرنا- فقد أضاف حصة حيث أصبح عدد الدروس خمسة عشر درسا(15)، وقد كانت أربعة عشر درسا(14)، وهو أمر صعب التحقيق من حيث الزمن.، كما أنه بعد التعديل تم التخلي عن موضوع من أهم موضوعات المقياس ويتعلق باللسانيات التمهيدية والمتخصصة بينما تم تمطيط موضوع النظرية الخليلية إلى حصتين وإضافة درس خاص باللسانيات الصرفية، وهو أمر مهم لكنه على حساب الموضوع سالف الذكر، بينما يمكن استدراك المسألة بعد ضبط المصطلح وربطه باللسانيات فيكون مجال اللسانيات العربية الجهود اللسانية العربية الحديثة وللإشارة فإننا قد اعتمدنا حلا وسطا في هذه المحاضرات فقدمنا النظرية الخليلية في درس واحد(حصة واحدة) كما احتفظنا بموضوع اللسانيات التمهيدية والمتخصصة نظرا لأهميته ولأنه يقع في صميم اللسانيات العربية إضافة إلى الاحتفاظ أيضا بموضوع اللسانيات الصرفية المضاف مؤخرا، فكان مجموع المحاضرات خمس عشرة محاضرة(15)، والله ولي التوفيق.

قائمة المصادروالمراجع:

أولا: الكتب:

01- أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، إعداد وتقديم:حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي دار الأمان، الرباط. ط1، 2009م.

02- أسس علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، 2003م.

03- الأسس اللغوية لعلم المصطلح ،محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب،القاهرة، دط، دت.

04- إشكالية المصطلح في الفكر العربي(الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات)، علي بن إبراهيم النملة، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط1 2010م.

05-الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 2017م.

06-الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2000م.

07- أصول الفكر اللغوي في دراسات القدماء والمحدثين، دراسة في البنية والمنهج، حامد ناصر الظالمي، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط2011م.

08- أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء القرطبي وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1989م.

09- الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين القثلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996م، ج.3

10- أعلام وآثار من التراث اللغوي، عبد القادر المهيري، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، دت

11- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 2008م.

12- الألسنيّة التوليديّة التّحوليّة وقواعد اللّغة العربيّة(النظريّة الألسنيّة)، ميشال زكريا، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت ط2. 1986م.

13- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988م.

14- البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة والجملة، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1990م.

15- تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، هدى صلاح رشيد، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015م.

16- تجديد النحو، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط6، دت،

17- الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، أحمد عبد العزيز دراج، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، دط، 2003م.

18- تحقيق التراث العربي منهجه وتطوّره، عبد المجيد دياب، دار المعارف بالقاهرة، ط1، 1983م .

19- تحليل نماذج تركيبية في اللغة العربية في ضوء نظرية الربط العاملي تحليل نقل الرأس، محمد أمقران، اللسانيات واللغة العربيّة بين النظرية والتطبيق، سلسلة الندوات(4)1992م، جامعة المولى إسماعيل، مكناس.

20- التراث، بقلم رئاسة التحرير، مجلة علم الفكر، الكويت، المجلد:8، العدد:1، أفريل، ماي، جوان1977م.

21- التراث والحداثة دراسات ومناقشات، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م.

22- تاريخ النّحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد ابّاه ، دار التّقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط2، 2011م.

23- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن)، ، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م.

24- التّراث العلمي والحضارة الإسلاميّة ومكانته في تاريخ العلم والحضارة، أحمد فؤاد باشا، دار المعارف بالقاهرة، ط1، 1983م.

25- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية تونس، ط3، 1992م.

26-التعريفات، الشريف الجرجاني(علي بن محمد)، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

27- التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، دراسة إبستمولوجية، د:جلال شمس الدين، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية،دط،1994م.

28- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986م.

29- التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول والاتجاهات، خالد خليل هويدي، مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد ط1، 2012م.

30- التفكير العلمي في النحو العربي(الاستقراء، التحليل، التفسير)، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، ط1 2002م.

31- التّواصل الإنساني دراسة لسانية، امحمد إسماعيلي علوي، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2013م.

32- الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، محمد علي الزركان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م.

33- الحذف النحوي عند سيبويه في ضوء النظرية الخليلية، عائشة جمعي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016م.

34- الخصائص، ابن جني، تح: مجمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط، دت، ج.1

35- الخصائص، أبو الفتح عثمان (ابن جني)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د ط،2000م، ج1 .

36- الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط 2012م.
37- الخطاب وخصائص اللغة العربية،دراسة في الوظيفة والبنية والنّمط، أحمد المتوكّل، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط1، 2010م.
38- الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2004م.
39- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984م.
40- دراسات في اللسانيات العربيّة، عبد الحميد مصطفى السّيّد، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004م
41 - دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 2009م.
42- دراسات وتعليقات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، 1994م.
43- دروس التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا بيروت، دط، 1995م.
44- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، دط، 1980م.
45- دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، مازن الوعر، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2001م.
46- دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1971م.
47- الاستدلال بالحديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية، مكاتبة بينبدر الدين الدماميني، وسراج الدين البلقيني، دراسة وتحقيق، د: رياض بن حسن الخوام، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998م.
48- سر صناعة الإعراب، ابن جني، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993م.
49- شرح المفصّل، ابن علي بن يعيش النحوي، صحّحة وعلّق عليه مشيخة الأزهر المعمور، إدارة الطباعة المنيريّة لصاحبها ومديرها محمد منير الدّمشقي، مصر، دط، دت ج10 .
50- الصرف العربي بين المقاربات اللغوية القديمة والمقاربات اللسانية الحديثة، محمد شندول، مركز النشر الجامعي،، تونس، دط، 2015م
51-الصيغ الصرفية بين النحو واللسانيات بحث في السمات المفهومية والخصائص الدلالية، محمد الصبحي بغزاوي، دار النّهي للطباعة، صفاقس تونس، ط1، 2014م.
52 - الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، رمضان عبد الله، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2006م.
53- الصّواتة والصّرف، ج.كاي، ح، لوفشتام، ج.ر.فيرنيو، م.هالي، أ.هرانتز، ترجمته: محمّد بلبول، وعبد الرزّاق تورابي ، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، ط1، 2007م.
54- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،القاهرة، ط2، 1984م.
55- طبيعة المفهوم اللساني وتحديده في معجم اللسانيات الحديثة، مصطفى غلفان، ، بحث ضمن كتاب المعجمية العربية قضايا وآفاق،تقديم: منتصر أمين عبد الرحيم وحافظ اسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة العلمية ، عمان،ط1، 2014م، ج.1
56- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
57- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1985م.
58- علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، قاسم البرسيم، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2018م.
59- علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2004م.
60- علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، د: محمود السعران، دار النهضة العربيّة، بيروت، دط، دت.
61-العوامل النحوية للجرجاني، تحقيق وشرح محسن محمد معالي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع الأسكندرية، دط، 2009م.
62 - فايز الداية، هل يوجد علم دلالة عربي؟، موجود في الإنترنيت على الرابط: https://www.alaraby.co.uk/، تاريخ التصفح2025/09/15م الساعة17:35.
63- فقه اللغة، حاتم صالح الضامن، مكتبة مازن عبد القادر المبارك، دط، 1990م.
64- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 2004م.
65- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت.
66- الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه، د: علي مزهر الياسري، مجمع البتراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2011م.
67- في أدلة النحو، عفاف حسنين، المكتبة الأكادمية، القاهرة، طبعة جديدة،1996م.
68- في التفكير النحوي عند العرب، زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1986م.
69- في علم اللغة العام، عبد الصّابور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط6، 1993م.
70 - في اللسانيات واللغة العربية، عبد الرحمان بودرع، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016م.
71- في النحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، لبنان، ط2، 1986م.
72- في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.

73- القاموس المحيط، الفيرزابادي، الفيروزبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8(طبعة فنية منقحة ومفهرسة)، 2005م.
74- الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق الدكتور أحمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1976م.

75- قضايا إبستمولوجية في اللسانيات ،حافظ اسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2009م.
76- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي التركيبي، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، دط، 1995م.
77- العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك مع تعليقات المستشرق الألماني شبيتالر، ترجمة وتقديم، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط 1980م.
78 - العربية والإعراب، عبد السلام المسدي، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2003م.
79- كتاب الرّد على النحاة لابن مضاء القرطبي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.
80- اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م.
81- اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، نهاد الموسى، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م.
82- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، د ط، 1994م.
83- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، ج15.
84 -اللسانيّة التوليدية والتحويلية، عادل فاخوري، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط2 ، 1988م.
85- اللسانيات التوليدية، تطور النماذج التوليديّة، مصطفى غلفان بمساعدة: امحمد الملاخ، حافظ إسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 2016م ج2.
86 - اللسانيات العربية أسئلة المنهج ، مصطفى غلفان، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
87 - اللسانيات العربيّة أسئلة المنهج، مصطفى غلفان، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، 2013م.
88- اللسانيات العربية نشأتها تطورها آفاقها المستقبلية، فريد خلفاوي، منشورات مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقدة بجامعة الوادي، مطبعة الأمل المشرق،، الوادي الجزائر ط1، 2022م،
89-اللسانيات وتعليم اللغة، محمود أحمد السيد، دار المعرفة للطباعة والنشر، سوسة تونس، دط، 1998م.
90- اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، مصطفى غلفان ، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006 م.
91- اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقّي وإشكالاته، حافظ إسماعيلي علوي، ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009م.
92-اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 2008م.
93- آليات التعريب وصناعة المصطلحات الجديدة، كمال أحمد غنيم، ، مجمع اللغة العربية الفلسطيني المدرسي، غزة، 2014م.
94 - متن الألفية، ابن مالك، منشورات دار الكتاب، الجزائر، دط، دت.
95 - المدخل إلى دراسة النحو العربي، علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 2006م.
96- المدارس اللسانية في في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة ، الجزائر، 2001م.
97- المدارس النحوية ، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة،ط7، 1992م.
98 - المدخل إلى دراسة النحو العربي ، علي أبو المكارم ، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م .
99 - المدخل في علم اللغة، كارل ديتر بونتينج، ترجمة وتعليق:السعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2006م.
100- المصطلح اللساني العربي وقضية السيرورة، عبد الله محمد العبد، ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات11، 2011م.
101- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي،دار الأمان، الرباط، ط1، 2013م.
102- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات(إنجليزي-فرنسي-عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(مكتب تنسيق التعريب)، ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002 م.
103- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكّل، دار الأمان، الرّباط، ط1 ،2006م.
104- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، توزاد حسن أحمد، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، تونس،ط1، 1996م.
105- المنهج الوظيفي في البحث اللساني، أحمد المتوكل، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2016م،
106 - المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، عز الدين المجدوب، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع سوسة، ط1، 1998م.
107 - مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، دط، 1999م.
108- محاضرات في أصول النحو ،د:التواتي بن التواتي، مطبعة رويغي، الأغواط، ط 2006،1م.
109- مدخل إلى تاريخ نشر التّراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1984م.
110 - مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، 1997م.

111 - مصادر التراث العربي، صبري متولي متولي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2005م.
112- مطبوعة الدروس:مادة أصول النحو، فاطمة عويمر، كلية الآداب واللغات ، جامعة يحي فارس المدية، الجزائر، 2021/2020م،
113- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، دار الثقافة، الجزائر،دط، دت.
114 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب،مطابع السياسة، الكويت، ط1، 2000م، ج.5
115- مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط وتهميش وتعليق: علي زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.
116- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2009م.
117- مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية،عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، الجريسي للكنبيوتر والطباعة والتصوير، القاهرة، ط2 دت.
118- مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، د: جعفر نايف عبابنة، دار الفكرللنشر والتوزيع، عمان،ط1 ، 1984م.
119- من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م.
120- من إسهامات العرب القدامى في مجال الدراسات اللسانية، عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، شبكة الألوكة:https://www.alukah.net/literature_language/0/95484، يوم:2022/10/23 على الساعة:21:30.
121- المنطق والنّحو الصّوري، طه عبد الرّحمان، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط1، 1983م.
122- منطق العرب في علوم اللسان، د: عبد الرحمان الحاج صالح، موفم للنشر، دط،2012م.
123 - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1955م.
124- المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطور، عبد الحليم معزوز، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مج:7، ع: 2 ديسمبر2021م.
125- نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العر اقي، دط، 1984م.
126- نحن واللسانيات بحث في إشكاليات التّلقّي، حافظ إسماعيلي علوي، اللسان العربي وإشكالية التّلقّي، سلسلة كتب المستقبل العربي(55) مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط2، 2011م.
127- نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، دط، 1955م.
128 - النحو العربي بين الأصالة والتجديد، عبد المجيد عيساني، دار ابن حزم، ط1، 2008م.
130- نحو نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسيّة في اللغة العربيّة، : مازن الوعر، طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، ط1 1987م.
131- النّحو واللسانيات تقاطع أم تواز، عبد الله الجهاد، تكوين للدّراسات والأبحاث، الدار العربية للطباعة والنّشر، المملكة العربيّة السعوديّة، ط1 2016م.
132- نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، فاطمة الهاشمي بكوش، اتريك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م .
133- نظرات في التراث اللغوي العربي، عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.
134 - نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، حسين خميس الملخ، دار الشروق للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، 2015م.
135- النظام الصّوتي التّوليدي،sanford. a schane، ترجمة:نوزاد حسن أحمد، الدّار العربيّة للموسوعات، بيروت، ط1 ،2010م.
136 - النظرية اللغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دط، دت.
137- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، نهاد الموسى، دار البشر، عمان، ط2، 1987م.
138- الوسائط اللغوية (أفول اللسانيات الكلية)، محمد الأوراغي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001م.
139- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دمشق، ط2 1998م.
140- الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوية في نظرية النحو الوظيفي، يوسف تغزاوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن ط1 ،2014م..
141- وظيفة المصدر في الاشتقاق والإعراب، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، ط1، 2008م.

ثانيا: البحوث الجامعية : -

142- الاتجاه التّوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح أنموذجًا، معالي هاشم أبو المعالي(رسالة دكتوراه) إشراف:بان صالح مهدي الخفاجي، جامعة بغداد، العراق، 2014م.
143- التراث النحوي العربي واللسانيات الحديثة"دراسة وصفية تحليلية لاتجاهات المنجز اللساني المغاربي المعاصر، علي بلول،(رسالة دكتوراه) إشراف: عبد المجيد عيساتي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)، 2021/2020م.

144- جهود كل من داوود عبده وميشال زكريّا في المدرسة التّوليديّة التحويليّة، حمزة أحمد الخلايفة، رسالة دكتوراه، إشراف، عبد القادر مرعي خليل، جامعة مؤتة الكرك الأردن،2013م.

145- الجهود اللسانية عند مازن الوعر عامر بن شتوح، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد المجيد عيساني، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر،2013م/2014م

146-العامل عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح نموذج لربط التراث النحوي باللسانيات الحديثة، علي بلول(رسالة ماجستير)، إشراف: عبد المجيد عيساتي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)، 2012/2011م.

147- نظرية العامل وتعليمية النحو العربي مفهومه في النظرية الخليلية وتطبيقاته في تعليمية النحو، عبد الكريم جيدور(رسالة ماجستير)، إشراف: عبد المجيد عيساتي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)، 2012/2011م.

ثالثا: المقالات والمداخلات المحكمة:

148 - إشكالية ترجمة المصطلح اللساني عند عبد الرحمان الحاج صالح وأزمة الإشكال، سمير معزوزن، مجلة المرتقى، مج2، ع1،جانفي 2019 م.

149- ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات مثال الترجمات العربية الخمس لدروس فردينان دي سوسير، حسن السّوداني، مجلة اللسانيات العربيّة مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربيّة، ع: 7، جويلية2018م.

150- تعالق المستوى الصرفي بمستويات اللغة الأخرى ودوره في تبيان الدلالة، خالد حسين أو عمشة، المؤتمر الدولي للغة العربية3، بدبي الإمارات من 7-05/10 2014م الموافق ل: 8-1435/07/11هـ، ص4.

151- الجهود الدلالية عند العرب المحدثين في القرنين التاسع عشر والعشرين، نوار عبيدي، مجلة فصل الخطاب، مج: 03، ع:12، دبسمبر2015م.

152- الدراسات الصّوتيّة في اللغة العربية بين الوصف والتّفسير، داوود عبده، ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربيّة بالرباط، أفريل1987 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1991م.

153- اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، عبد القادر الفاسي الفهري، وقائع ندوة جهوية تقدم اللسانيات في الأقطار العربية بالرباط أفريل 1987، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م .

154 - اللسانيات في "مفتاح العلوم للسكاكي"بين التنظير والتأصيل(مقال)، كلثوم حسروف، مجلة اللغة العربية، المجلد:23، العدد:4، جامعة البليدة، الجزائر، الثلاثي الثالث2021م

155 -اللسانيات المغربيّة المعاصرة بين التّراث والدّرس الحديث(قراءة نقديّة)، عبد الجبار توامي، كليّة اللّغة العربية، الرياض، مجلّة الدّراسات اللغوية، مج7،ع4 نوفمبر/ديسمبر2005م.

156- الصرف العربي بين التراث اللغوي والدرس اللساني العربي الحديث، بايزيد جاب الله، الملتقى الدولي حول الصرف العربي في الفكر اللساني الحديث، جامعة زيان عاشور الجلفة-الجزائر، EISSN:2602-5353/ISSN:2170-0583K.

157- علم الدلالة الحديث نشأته أنواعه مدارسه ومصطلحاته، سهام إبراهيم الزروق، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، جامعة أسطنبول آيدن نركيا ، مج:03، ع:05، مايو2022م.

158- المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، عبد الرحمن الحاج صالح،ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية وقائع ندوة جهوية بالرباط أفريل 1987م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

159- مفهوم تحليل الخطاب في النّظريّة الخليلية الحديثة، عتابي بن شرقي، مجلة الصوتيات، مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة2، الجزائر العدد19.

160- من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التّراث قراءة في النّقد اللساني عند الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، محمد صاري،مجلة اللسانيات العربيّة، مركز الملك عبد بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربيّة،العدد:7، شوّال1439هـ ، يوليو2018م.

161- المناهج اللسانية العربية بين واقع النشأة وآفاق التطور، عبد الحليم معزوز، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مج:7، ع: 2، ديسمبر2021م.

162- نحو منهجية موحّدة لوضع المصطلح، شحادة الخوري، ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المؤتمر الثالث. .

163 - نظرية العامل في النحو العربي و دراسة التركيب ، د : عبد الحميد مصطفى السيد ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 18 ، العدد (3 + 4)، 2002 م

.